تشبيهات القرآن الكريم في الموروث البلاغي والنقدي

إعداد

إبراهيم محمد سالم أبو علوش

إشراف

الأستاذ الدكتور يوسف بكّار

حقل التخصص : لغة عربية ـ أدب ونقد(بلاغة قرآنية)

تاريخ تقديم الأطروحة : ١٨ / ١٢/ ٢٠٠٣م

تشبيهات القرآن الكريم في الموروث البلاغي والنقدي

إعداد

إبراهيم محمد سالم أبو علوش

ماجستير في اللغة العربية وآدابها

تخصص أدب ونقد

جامعة اليرموك ـ ١٩٩٢م

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة دكتوراة الفلسفة
تخصص لغة عربية- أدب ونقد في جامعة اليرموك

وقد وافق عليها أعضاء لجنة المناقشة :

١. الأستاذ الدكتور يوسف بكّار — رئيساً ومشرفاً
أستـــــاذ الأدب والنقد

٢. الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد — عضواً
أستـــــاذ الأدب والنقد

٣. الأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي — عضواً
أستـــــاذ الأدب والنقد

٤. الأستاذ الدكتور قاسم المومني — عضواً
أستـــــاذ الأدب والنقد

٥. الأستاذ الدكتور حسين خريوش — عضواً
أستـــــاذ الأدب والنقد

١٢/١٨ /٢٠٠٣م

شكر وإهداء

أشكر الله عزَّ وجل أنْ قدَّر لي العمل في خدمة القرآن الكريم، كما أشكر جميع أساتذتي في قسم اللغة العربية في جامعة اليرموك الذين دأبوا في تشجيعي على البحث العلمي .

وأهدي هذه الدراسة :

- إلى أستاذي الفاضل العلامة الدكتور يوسف بكّار الذي سدَّد خُطاي وأضاء لي سبيل العلم ، ونمّى في أعماقي جديّة البحث العلمي والتفاني فيه ، وأرجو من الله تعالى أن يجزيه عن طلبة العلم خير الجزاء .
- إلى كل علماء الإسلام ، دعاة الحق والسلام .
- إلى والدي ووالدتي ثمرة من غرسهما.
- إلى زوجتي حنان وأبنائي ؛ مريم وأحمد ومحمد وعبادة الذين صبروا عليَّ ومنحوني من أوقاتهم

إهداء محبة ووفاء وعرفان

مسرد الموضوعات

	الصفحة
الملخص بالعربية	ز
المقدمـــــة	٢
تمهـــــيد :	٩
– مكانة التشبيه في البلاغة العربية.	١٠
– أثر القرآن وتشبيهاته في البلاغة العربية.	١٤
الفصل الأول : (أسباب اهتمام القدماء بتشبيهات القرآن)	١٧
– الأهـمـية الـديـنـيـة.	
– الحـجـاج الـعـقـلـي .	١٩
– الأبـعـاد الـنـفـسـيـة.	٢٥
– القـيمة الفـنية الأسـلوبـية.	٣٠
الفصل الثاني : (تواليف تراثية مستقلة في تشبيهات القرآن)	٣٥
١. " الأمثال من الكتاب والسنة " للحكيم الترمذي .	٣٩
٢. " الجمان في تشبيهات القرآن" لابن ناقيا البغدادي.	٤٥
٣. " الأمثال في القرآن " لابن قيم الجوزية.	٦١
الفصل الثالث : (تشبيهات القرآن في آثار اللغويين والنحاة)	٦٦
١. سيبويه في " الكتاب ".	٦٨
٢. الفرّاء في " معاني القرآن ".	٧٠
٣. أبو عبيدة " معمر بن المثنى " في " مجاز القرآن ".	٧٧
٤. الأخفـش الأوسـط " سـعيد بن مسعدة " في" معاني القرآن".	٨٤

٥. ابن قتيبة الدينوري في " تأويل مشكل القرآن ". ٨٧
٦. أبو العباس المبرِّد في " الكامل ". ٩٧
الفصل الرابع : (تشبيهات القرآن في آثار البلاغيين والنقاد) ١٠٥
١. الجاحظ في " الحيوان " . ١٠٧
٢. الطبري في " جامع البيان عن تأويل آي القرآن " . ١١٥
٣. ابن وهب الكاتب في " البرهان في وجوه البيان " . ١٢٤
٤. الرّماني في " النكت في إعجاز القرآن " . ١٢٦
٥. أبو هلال العسكري في" كتاب الصناعتين؛ الكتابة والشعر". ١٣٦
٦. الباقلاني في " إعجاز القرآن " . ١٤١
٧. القاضي عبد الجبار الهمذاني في " تنزيه القرآن عن المطاعن " و "متشابه القرآن " و " المغني – الجزء ١٦ ". ١٤٦
٨. ابن رشيق القيرواني في " العمدة " . ١٥٢
٩. ابن سنان الخفاجي في " سر الفصاحة " . ١٥٧
١٠. عبد القاهر الجرجاني في" أسرار البلاغة " و" دلائل الإعجاز" و " الرسالة الشافية في إعجاز القرآن " . ١٥٩
١١. الزمخشري في " الكشاف " . ١٧٣
١٢. ابن عطية الأندلسي في " المُحَرَّر الوجيز" . ١٨٥
١٣. فخر الدين الرازي في " نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" و " التفسير الكبير ومفاتيح الغيب " . ١٩٢
١٤. أبو يعقوب السكاكي في " مفتاح العلوم ". ٢٠٨
١٥. ضياء الدين بن الأثير في " المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر " و " الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور " . ٢١١
١٦. الزملكاني في " البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن " . ٢١٧
١٧. ابن أبي الإصبع المصري في" تحرير التحبير " و " بديع

القرآن " . ٢٢١
١٨. الطوفي البغدادي في " الإكسير في علم التفسير " . ٢٢٦
١٩. محمد بن علي الجرجاني في" الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة". ٢٢٩
٢٠. الخطيب القزويني في " الإيضاح في علوم البلاغة " . ٢٣٣
٢١. الطيبي في " التبيان في علم المعاني والبديع والبيان " . ٢٤١
٢٢. العلوي اليمني في " كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز " . ٢٤٦

الخاتمـــــة ٢٥٨
قائمة المصادر والمراجع ٢٦٧
الملخص بالانجليزية ٢٨٢

ملخص الدراسة

تشبيهات القرآن في الموروث البلاغي والنقدي

أطروحة دكتوراة ، جامعة اليرموك-٢٠٠٣م

إعداد

إبراهيم محمد سالم أبو علوش

بإشراف

الأستاذ الدكتور يوسف بكّار

تشتمل هذه الدراسة على مقدمة ، وتمهيد ، وأربعة فصول ، وخاتمة .عرضت في **المقدمة** لأهمية الموضوع ، ودوافع اختياره ،ومنهج الدراسة ، والصعوبات التي واجهتها. أمّا **التمهيد** فتكلمت فيه على مكانة التشبيه في البلاغة العربية ،وأثر القرآن وتشبيهاته في نشأتها . وحاولت في **الفصل الأول** تفسير أسباب اهتمام القدماء بتشبيهات القرآن وردها للأهمية الدينية العقدية و التشريعية ،وما تحمله من أساليب الحجاج العقلي ،وأبعادها النفسية التي تتجاوب أصداؤها في جنبات النفس البشرية ،بالإضافة إلى القيمة الفنية الأسلوبية لها.وتناولت في **الفصل الثاني** التواليف التراثية المستقلة التي أفردها مصنفوها لتشبيهات القرآن؛ وهي " الأمثال من الكتاب والسنة ،للحكيم الترمذي " ، و "الجمان في تشبيهات القرآن، لابن ناقيا البغدادي"، و" الأمثال في القرآن الكريم ، لابن قيم الجوزية " . وعرضت في **الفصل الثالث** لتشبيهات القرآن في آثار ستة من اللغويين و النحاة هي :" الكتاب" لسيبوية ، و" معاني القرآن " للفرّاء ، و" مجاز القرآن " لأبي عبيدة ،و" معاني القرآن " للأخفش الأوسط،و " تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة الدينوري،و "الكامل " للمبرّد. وتناولت في **الفصل الرابع** تشبيهات القرآن عند اثنين وعشرين من أعلام البلاغة العربية ، في بضعةوثلاثين من مصنفاتهم التي جاء بعضها في عدة أجزاء أيضاً ، وتتبعت أقوالهم موازناً بينها ، ووقفت على أهم معالم تناولهم لتشبيهات القرآن ،مبرزاً أدوارهم في تبيان ماهيتها ، وإيضاح تأثيراتها ، وكشف أسرار نظمها ودقائق إعجازها .وعرضت الاعتبارات المختلفة لتقسيماتها عندهم ، وبيّنت أنواعها وأغراضها ،وكيفية استغلالهم

لموادها في إيضاح الصورة القرآنيّة بلحمة بنائها ، وحيوية تشكيلها ، وأبعاد تأثيرها في نفس متلقيها . واتّضح من هذا الفصل أنّ البلاغيين والنقاد وظفوا قواعد البلاغة وفنونها في تحليل تشبيهات القرآن .وتبلورت جهودهم في الاتجاه الأدبي ،الذي ظهر في آثار الجاحظ وأبي هلال وابن رشيق وابن سنان وعبد القاهر وابن الأثير والعلوي اليمني ،وفي الاتجاه المنطقي الفلسفي،الذي ظهر عند كلّ من فخر الدين الرازي، والسكاكي ،والطوفي البغدادي، ومحمد بن علي الجرجاني، والقزويني ،والطيبي ،و في الاتجاه الكلامي ،الذي امتدّعند الأدباء كالجاحظ، وابن أبي الإصبع، وعند الإعجازيين كالرماني، والباقلاني والقاضي عبد الجبار، وعبد القاهر الجرجاني، والزملكاني . وظهرت النزعة الكلاميّة في تفسير تشبيهات القرآن عند من فسّره بالرأي كالزمخشري ،في حين طغى منهج التفسير بالمأثور في تفسيرها عند الطبري وابن عطيّة . ثم جاءت الخاتمة لتجمل ما سبق ، وتذكر أهم ما عسى أن يكون قد حقق .

بسم الله الرحمن الرحيم .

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا . ماكثين فيه أبدا . أنزله معجزة باقية على مدى الزمان ، وأفضل الصلاة والسلام على سيدنا محمد المؤيد بأعظم الدلائل والبينات ، نزّل الله عليه أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ، ومن يضلل الله فما له من هادٍ .

أما بعد :

فيرجع اهتمامي بتشبيهات القرآن الكريم إلى ما ينيف على عقد انصرم أيام كتابتي لأطروحة الماجستير في " المصطلح البلاغي والنقدي عند عبد القاهر الجرجاني " إذ بهرني عبد القاهرحين اتّكأ على تشبيهين قرآنيين في تأسيس نظريته في النظم .

وممَّا أذكى هذا الاهتمام أثناء دراستي للدكتوراة جملة من الملاحظات والتساؤلات الخصبة عن تشبيهات القرآن الكريم في موروثنا النقدي ، كان أستاذي الدكتور العلاّمة يوسف بكّار يطرقها على مسامعي وزملائي في ندوات مادة قضايا النقد العربي القديم ، مما وفقني الله تعالى أن أهرع إليه مستوضحاً ومسترشداً عن هذا الموضوع ، وقد وفقه اللهُ جَلَّت قدرته أن يقفني على نواة هذه الدراسة

تشغل تشبيهات القرآن الكريم مكانة متميزة في تراثنا البلاغي والنقدي ، وهي مكانة ترجع إلى عظمة كتاب الله تعالى وفضله وشرفه الذي لا يدانى روعة بيان ، وعظمة تصوير، وإعجاز نظم ، وإن كانت مادته من لغة العرب التي ألِفوا حروفها وألفاظها وكلماتها ، وإن جاء على طرائقهم في الأداء والتعبير ، إلا أنهم بهتوا فلم ترق أساليبهم إلى مستواه في اتساق المادة ، وجمال نظمها وحسن عرضها ، وبلاغة تشبيهاتها .

إنّ تشبيهات القرآن الكريم – بخصوبة مادتها ، واتساع مجال القول فيها ، وكونها باباً دقيق المسلك صعب المرتقى لطيف المأخذ ، لا تنتهي لطائفه ومعانيه – لتبهر الدارس وتغريه لكشف بلاغة معانيها وسمو أغراضها ، وجمال تصويرها . لذا ملكت هذه التشبيهات الغزيرة في مضامينها وأساليبها على القدماء قلوبهم وعقولهم ، فعكفوا على درسها وتدبرها وتأويلها ، فكانت نظراتهم فيها فيوضاتٍ وإشراقاتٍ ، ما نزال نستضئ بأشعتها ونتفيأ ظلالها .

التفت القدماء إلى القرآن الكريم يتأملون أسلوبه ، وطرائق تشبيهه وتصويره ، وكان من ضمن هؤلاء العلماء أهل البلاغة والبيان الذين رأوا من روعة التشبيه ودقة التصوير في القرآن ومن دلائل الإعجاز ما جعلهم يعكفون على دراسته محاولين استخلاص مقاييس الجمال فيه . وبرز من هؤلاء العلماء أبو الحسن الرماني في رسالته " النكت في إعجاز القرآن " ، وعبد القاهر الجرجاني ، الذي كانت قضية الإعجاز حافزهُ القوي للتعرف على " أسرار البلاغة " و " دلائل الإعجاز " في القرآن ، وابن ناقيا البغدادي في " الجمان في تشبيهات القرآن " ، وابن قيم الجوزية في " الأمثال في القرآن الكريم " ، وغيرهم كثيرون . وربما كانت مادة تشبيهات القرآن الكريم هي السبب في التقدير الكبير الذي حظي به التشبيه في البلاغة العربية ، فالقرآن الكريم وهو المثل الأعلى في بلاغةِ الأسلوب ، وروعةِ البيان ، وكمال الأداء ، قد اتـّخَذَ من الصور التشبيهية وسيلته التي يخاطب بها الناس ، ويقرب إليهم المعاني البعيدة ، ويوضح لهم الصور الذهنية المجردة ، ويضرب الأمثال بالواقع المحسوس المشاهد الذي يخضع لمعطيات الحواس الخمس الظاهرة، وذلك مبالغة في الإقناع ، وتثبيتا للمعنى في النفوس .

ثمة نماذج عدّة للصور التشبيهية في القرآن الكريم بلغت حدّاً فائقاً في الإعجاز البياني ، وتناولت جميع الموضوعات من الوعد والوعيد والترغيب والترهيب ، والتوجيه والتشريع مما يؤكد مكانة تشبيهات القرآن الكريم في قوة التصوير والتأثير والتبليغ .
هذه الأسباب التي نفسر بها المكانة المتميزة لتشبيهات القرآن الكريم ، كانت وراء اهتمام الدارسين بها ،وحسبي أن أشير إلى :

(١) التشبيهات القرآنية والبيئة العربية – واجدة مجيد الأطرقجي(١):

ركزت الباحثة جهدها في هذه الدراسة على ربط التشبيهات بالبيئة العربية ، ودور هذه البيئة في رفد التشبيه القرآني بما في الحياة من حياة ونبات وحيوان وبحار وجبال ، أو ما يدور فيها من معاملات وعلاقات وأعمال مدركة مألوفة .

وأشارت في ثناياها إلى شذرات من جهود القدماء في تفسير التشبيهات ، استفدت من بعضها في الرجوع إلى المصادر . ويؤخذ على الباحثة محاولتها إغراق تشبيهات القرآن في إطار البيئة العربية . ولا يخفى خطل ذلك ، فتشبيهات القرآن جاءت في سياق إنسانيٍّ عام يمكن للجميع فهمه بغض النظر عمّا يمكن أن يقال في أصله أو مصدره وبيئته ، فالسفن والجبال والسراب والرماد والحمار والكلب والحُمُرَ المستنفرة والشجرة والسنابل ورؤوس الشياطين وغيرها من مواد الصورة التشبيهية في القرآن ليست خاصة بالبيئة العربية ، إذ يعرفها العرب وغيرهم(٢).

(٢) أسرار التنوع في تشبيهات القرآن – ملك حسن بخش(٣):

أشارت الباحثة في التمهيد لجهود بعض القدماء في محاولة لكشف أسرار التنوع في تشبيهات القرآن والوقوف على أصولها ، لكنها خلطت بين التشبيهات القرآنية والآيات المتشابهة في المعنى والغرض ؛ وإن لم تحو تشبيهات .

هذه الدراسة، وإن كانت متخصصة بتشبيهات القرآن، تفترق عن دراستي هذه في أنها تحاول تركيز جمّ اهتمامها على استكناه أسرار التنوع في آيات التشبيه القرآني التي تناولت المعنى الواحد غير مرة ، ولم تعبأ باستقراء تشبيهات القرآن في الموروث البلاغي والنقدي بشكل عام على النحو الذي تحاول دراستي هذه الاضطلاع به .

(٣) التشبيه صوره وألفاظه؛دراسة تطبيقية في القرآن الكريم – أحمد لزهري بلخضر(٤):

كانت هذه الدراسة ؛ بما طرحه الباحث فيها من قضايا وبما أثاره من تساؤلات قديمة جديدة من الدراسات التي استفدت منها إذ قادتني من خلال بعض إشاراتها البلاغية النظرية إلى مصادر في التشبيهات القرآنية في الموروث البلاغي والنقدي ، وإن كان جلُّ جهد الباحث انصرف نحو الدراسة التطبيقية من خلال استقراء أنماط التشبيه القرآني .

---

(١) منشورات وزارة الثقافة والفنون – العراق ، سلسلة دراسات (١٤٣) ، ١٩٧٨م .

(٢) علوم القرآن ، د. عدنان زرزور ، ص٣٢٦ (المكتب الإسلامي – بيروت ، ط٣ ، ١٩٩١م) .

(٣) رسالة ماجستير، جامعة أم القرى– مكة المكرمة ، ١٩٨٩م . ونشرت في كتاب صدر عن دار المجتمع – جدة ، ط١ ، ١٩٩٣م

(٤) رسالة ماجستير ، جامعة باتنه – الجزائر ، ١٩٩٢م .

(٤) صورة الإنسان في تشبيهات القرآن – أحمد عبدالله الكاف(١):

تطرق الباحث فيه إلى جهود العلماء في أسلوب التشبيه عامة ، وأشار إلى لقطات من جهودهم في التشبيه القرآني ، لكنه أقام دراسته على استقراء تشبيهات الإنسان في القرآن دون غيرها من التشبيهات . ودراسته وإن اتكأت على بعض كتب التراث لم تنطلق منها كدراستي هذه التي تتخذ الموروث منطلقاً والتشبيهات القرآنية جميعها موضوعاً .

وثمة دراسات أخرى اهتمت بالتشبيهات القرآنية ضمن الاهتمام الأعم والأشمل بعلوم القرآن الكريم وإعجازه ، أو الصور الأدبية المختلفة في تراثنا البلاغي ويمكن أن أشير إلى (من بلاغة القرآن – أحمد بدوي) و (بلاغة القرآن – محمد الخضر حسين) و (الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي – جابر عصفور) و (البيان في ضوء أساليب القرآن – عبد الفتاح لاشين) و(من أساليب البيان في القرآن الكريم – محمد علي أبو حمدة) و (الأمثال في القرآن الكريم – محمد الفياض) و(الصورة الفنية في المثل القرآني – محمد الصغير) و (قبس من البيان العربي – محمد شرشر) و (المشاهد في القرآن الكريم – حامد قنيبي) و (أساليب البيان في القرآن – السيد الحسيني) و (الوصف في القرآن الكريم – يونس جاسم) و (الصورة الأدبية في القرآن الكريم – صلاح الدين المنجد) ، وغيرها من كتب بلاغة القرآن التي عرضت لأساليب بيانه وأسرار إعجازه .

الظاهر أن الدراسات التي عقدت لدراسة التشبيهات القرآنية لم يكن هدفها دراسة هذه التشبيهات في تراثنا البلاغي والنقدي ، وإن أياً منها ، لا يشكل دراسة مستقلة وشاملة قائمة بذاتها . فضلاً عمّا دَلفَ إلى بَعْضِها من خلط بين التشبيهات القرآنية والآيات المتشابهة في القرآن الكريم(٢)، وانصباب بَعْضِها على مختلف طرائق الوصف القرآني دون تقييد ، وتناولها الموضوع من وجهة نظر حقل معرفي آخر ، دون نظر إلى ارتباطه الوثيق بتراثنا البلاغي والنقدي ، بسبب اختلاف حقل الدراسة(٣).

---

(١) رسالة ماجستير ، جامعة مؤته – الأردن ، ١٩٩٦م .

(٢) ينظر : أسرار التنوع في تشبيهات القرآن الكريم، ملك بخش ، ص٢٣-٣٠ .

(٣) ينظر:الوصف في القرآن الكريم ، يونس جاسم ، ص٩ وما بعدها (دار المكتبي– دمشق، ط١ ،١٩٩٥م) .

والدراسات السابقة في مباحث البلاغة المختلفة وعلوم القرآن على كثرتها ، لم تتخصص إحداها أو تنفرد بدراسة شاملة لتشبيهات القرآن الكريم في تراثنا البلاغي والنقدي ، لذلك جاء اختياري لموضوع " تشبيهات القرآن الكريم في الموروث البلاغي والنقدي " .

أما بالنسبة لمنهجي في دراسة الموضوع، فقد أفدت من اتجاهات منهجية متعددة ، فكانت الدراسة استقرائية ، وصفية ، نقدية بلاغية تحليلية أحيانا ، وتحليلية موازنة أحيانا أخرى ، جمعت بين الأصالة وبعض المعاصرة باستقراء تشبيهات القرآن الكريم في كتب التراث البلاغي والنقدي ، وتسجيل مواقف اللغويين والنحاة والبلاغيين والنقاد منها ، وتحليل آرائهم ، ومناقشتها لإبراز الجوانب المختلفة لتشبيهات القرآن ، وكشف وظائفها التصويرية ، واستنتاج خصائصها التعبيرية عن طريق الملاحظة والمقارنة .

وقد جاءت هذه الدراسة في قسمين :

الأول ، دراسة كتب التراث المستقلة ، التي أفردها مصنفوها لتتخصص في تشبيهات القرآن الكريم .

والآخر، دراسة ما جاء في مصنفات العلماء من تشبيهات القرآن متناثرة فيها ، أو مستقلة في باب أو أكثر منها .

وشكل القسمان كلاهما سلسلة لدراسة تاريخية مترابطة اللحمة ، يظهر فيها أثر السابق في اللاحق ،وتميز اللاحق وإضافته على أسلافه أو اتـّكاله عليهم أحيانا ، حتى نصل إلى اكتمال الصورة وتبلورها في دراسة تشبيهات القرآن ، وقد اتضحت معانيها ، وبانت مراميها، وكشفت أنواعها وأغراضها وتم جلاء مواضع الاهتمام بها ، والوقوف على دقائقها وأسرار تنوعها .

ولا بد من الإشارة إلى بعض الصعوبات التي واجهت الدراسة ؛منها امتداد المدة الزمنية التي شملتها ، وتناثر التشبيهات في مواطن مترامية في فصول المصنف الواحد ، أو توزعها على غير مصنف في بعض الأحايين . ممّا أخذ كثيراً من زمن البحث وجهد الباحث في لمّ شتاتها من مواضع متفرقة مراعيا عدم انتزاعها من سياقاتها العضوية والموضوعية ، حتى خرجت هذه الدراسة بصورتها الحالية في وضوح التبويب مع أنها تعاملت – أحيانا – مع علماء كان عمل بعضهم مشوبا بحمية جارفة لا تعرف الأناة في التبويب والتقسيم والتصنيف .

كذلك برزت صعوبة أخرى واجهت الدراسة،هي تكرار بعض النقول المعرفية بطريقة غير مباشرة ، أو ظهورها متمازجة نتيجة لتراكم المعرفة ، وهضمها وتمثلها وتأثر الخلف بالسلف

، مما نجم عنه تكرار مع اختلاف السياق أو تغير لبوس الأفكار أو تمازجها ، فكان لا بد من ظهور مثل هذا التكرار لبيان درجات التأثر والتأثير ، ورصد مواطن الإبداع والتجديد في المعرفة والأسلوب والمنهج ، وقياس كم الإضافات أو نوعها ، أو الوقوف على مواضع الاحتذاء والاجترار .

وكذا كانت الموضوعات الفرعية لتشبيهات القرآن التي تناولتها الدراسة متداخلة ، لأنها تشكل حلقات مختلفة تتكامل جميعها في فصول الدراسة لتشكل صورةً للموضوع الأم، فكان لا بد من إعادة الحديث عن بعض القواسم المشتركة في غير موضع وعند غير ما علم. ونتج من ذلك بعض التكرار أوجبته طبيعة الدراسة التطورية ، على الرغم من محاولتي تجنب ذلك ما استطعت إليه سبيلاً ، وكثيراً ما كنت أحيل لأتفادى ذلك .

وقد نهضت الدراسة على تمهيدٍ وأربعة فصول:

فأما **التمهيد** ، فمهدت فيه بالكلام على المكانة التي يحظى بها التشبيه في البلاغة العربية ، وأثر القرآن وتشبيهاته فيها .

أما الفصل الأول فعرضت فيه لأهم أسباب **اهتمام القدماء بتشبيهات القرآن** ، وهي : الأهمية الدينية ،والحجاج العقلي ،.و الأبعاد النفسية،و القيمة الفنية الأسلوبية.

و أما **الفصل الثاني** ، فتناولت فيه ثلاثة كتب تخصصت بدراسة تشبيهات القرآن بصورة مستقلة، وأبرزت أهمية كلّ منها ، وعرضت مضامينه ، ومنهج مؤلفه ، والسمات المميزة له.

و تناولت في **الفصل الثالث** تشبيهات القرآن عند ستة من أعلام اللغويين والنحاة ،وأبرزت نظراتهم الصائبة ، وعرضت لآرائهم وملاحظاتهم التي كانت نواة لجهود لاحقيهم ، وأجملت القول في السمات العامة لجهودهم مبيناً ما لهم وما عليهم في إطار عصرهم .

و تكلمت في **الفصل الرابع** على تشبيهات القرآن عند اثنين وعشرين من أعلام البلاغة العربية ، في بضعةوثلاثين من مصنفاتهم التي جاء بعضها في عدة أجزاء أيضاً ، وتتبعت أقوالهم موازناً بينها ، ووقفت على أهم معالم تناولهم لتشبيهات القرآن ،مبرزاً أدوارهم في تبيان ماهيتها ، وإيضاح تأثيراتها ، وكشف أسرار نظمها ودقائق إعجازها .وعرضت الاعتبارات المختلفة لتقسيماتها عندهم ، وبينت أنواعها وأغراضها ،وكيفية استغلالهم لموادها في تشكيل الصورة التشبيهية في القرآن لإبراز لحمة بنائها ، وحيوية تشكيلها ، وأبعاد تأثيرها في نفس متلقيها .

ثم جاءت الخاتمة لتجمل ما سبق ، وتذكر أهم ما عسى أن يكون قد حقق ،وخلاصة ما توصلت إليه الدراسة ، تتبعها قائمة المصادر والمراجع كما جرت على ذلك سنة الباحثين من قبل .

ومع ما بذل في هذه الدراسة من جهد وحيطة ، فإنها تظل بعيدة أن يُدَّعى أنها برئت من العيب أو النقص ، فالكمال لله وحده ،وما أبرئ نفسي إنني بشر أسهو وأخطئ ما لم يحمني الله سبحانه .

وهي إذ استوت على سوقها بعد تمازج من لأواء البحث ومتعة النظر في رحاب كتاب الله تعالى أقدمها على استحياء راجيا أن تحقق الهدف ، إذ بذل جهد مضنٍ على مدار عامين ونصف في سبيل تقديمها على هذه الصورة المتواضعة ، خدمة للقرآن ودارسيه وتبصرة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

وأخيراً لا يسعني إلاَّ أن أتقدم بوافر الشكر والعرفان لأستاذي الفاضل العلاّمة الدكتور يوسف بكار الذي ما ضنّ عليّ بعلمه وجهده، وأسأل الله عز وجل أن يجزيه عني الجزاء الأوفى على ما أسدى من أيادٍ ورَبَّ من نعم ،وكِفاء ما أنفق من وقت ومحض من نصحٍ وقوّم من عوجٍ كان له أثره الكبير في إخراج هذه الدراسة إلى حيز الوجود .كما أتقدم بعميق امتناني لأساتذتي العلماء الأجلاء ؛ الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد ,والأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي ,والأستاذ الدكتور قاسم المومني ,والأستاذ الدكتور حسين خريوش,على تفضلهم بقبول مناقشة هذه الدراسة وتهذيب زلاّتها . وأسأله تباركت قدرته أن يجعل هذا العمل علماً ينتفع به ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تمهيد

- مكانة التشبيه في البلاغة العربية .

- أثر القرآن الكريم وتشبيهاته في البلاغة العربية .

مكانة التشبيه في البلاغة العربية

يعد التشبيه من أهم الوسائل التي يمكن للمرء أن يعبر من خلالها عما تجيش به نفسه من المعاني التي لا يمكن للغة بما في ألفاظها من دلالات وضعية أن تعبر عنه . ويقف التشبيه مع الاستعارة في مقدمة الفنون البلاغية التي يقوم الخيال في أكثر صوره في الأدب العربي على كاهلها ، وهما وسيلتان من وسائل تزيين المعاني وبهرجتها وتثبيتها في النفوس[1] .

يرى (آر ليفي R. Levy) أنّ حب التشبيه الذي كان معروفا لكل الحضارات البدائية ظل شائعا بين الساميين ، لا سيما العرب ، بصورة أشد وأوضح ، فهو لذلك قام بدور مهم حتى في أعلى مراتب الأدب العربي[2] .

وقد أدرك العرب أهمية التشبيه واتخذوه وسيلة فنية للكشف عن المعنى ، لكونه من الأقطاب التي تدور عليها المعاني في متصرفاتها ، ومن الأصول الكبيرة التي جل محاسن الكلام متفرعة عنها وراجعة إليها[3] .

وهو من أشرف كلام العرب لأنه موطن الفطنة والبراعة، وركن من أركان البلاغة ؛ لإخراجه الخفي إلى الجلي ، وإدنائه البعيد من القريب ، ومرجع لمحاسن الكلام ومدار للطائف المعاني ، وطريق للحصول على فنون البيان الساحر ؛ إذ يضفي على المعنى شرفاً ووضوحا ويزيده قوة وتأكيداً ، ويرفع من قدر الكلام ، فتهفو النفس له ويتحرك القلب إليه ، لأنه ينتقل بنا من المعنى الأصلي إلى صورة تشبهه ، وكلما جلا التشبيه المعنى وزاده قوة ووضوحا كان أملك للنفس وأبعد للتأثير .

ولأنه يخرج الغامض المستور إلى الواضح ، ويقرب الواضح إلى صورة أدق وأوضح ، ولأنه ترجمان للعقل والبصر والبصيرة ، لذلك كله جعله الشاعر العربي موطن الموهبة والإبداع ، ومثيراً للإحساس الجمالي ، وميداناً واسعاً للكشف عن المعاني المخبوءة في حناياه .

ولم تقف العناية بالتشبيه عند الشعراء ، فقد حظي كذلك بإهتمام اللغويين والبلاغيين والنقاد . وقد وضعوه في أشرف مراتب البيان العربي ، وكان عندهم عنوان البلاغة ، وزمام المهارة وغرة أساليب البيان ، لذا كثر في كلام العرب شعراً ونثراً حتى قال المُبرِّد :

---

(1) اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، د. يوسف بكار، ص٤٣١ (دار المعارف بمصر، ١٩٧١م) .

(2) Encyclopaedia of Islam, vol.3,407,Leyden.London1208-38(4 vols and supplement)

(3) أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، ص٢٧ . (قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة ، ط١ ، ١٩٩١م) .

" والتشبيه كثير ، وهو باب كأنه لا آخر له "[1] . وجعله ابن قتيبة أول أسباب اختيار الشعر وحفظه والاهتمام به يقول : " وليس كل الشعر يختار ويحفظ على جودة اللفظ والمعنى ولكنه قد يختار ويحفظ على جهات وأسباب منها الإصابة في التشبيه "[2] . وعدّ بشار لطائف التشبيهات من أسباب تفوقه الشعري حين سئل : " بم فقت أهل عمرك وسبقت أبناء عصرك في حُسن معاني الشعر وتهذيب ألفاظه ؟ قال لأني لم أقبل كل ما تورده عليّ قريحتي ، ويناجيني به طبعي ويبعثه فكري، ونظرت إلى مغارس الفطن ومعادن الحقائق ولطائف التشبيهات فسرت إليها بفكر جيد ، فأحكمت سيرها وانتقيت حُرَّها ، وكشفت عن حقائقها[3] .

ويذكر ابن طباطبا العلوي " أن العرب أودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحكم ما أحاطت به معرفتها ، وأدركه عيانها ، ومرت به تجاربها .. فتضمنت أشعارها من التشبيهات ما أدركه من ذلك عيانها وحسها ، إلى ما في طبائعها وأنفسها من محمود الأخلاق ومذمومها ، في رخائها وشدتها ، ورضاها وغضبها ، وفرحها وغمها ، وأمنها وخوفها ، وصحتها وسقمها ، والحالات المتصرفة في خلقها ، من حال الطفولة إلى حال الهرم ، وفي حال الحياة إلى حال الموت .."[4]. وكان ابن أبي عون يرى أن أجل أقسام الشعر وأصعبها على الشاعر التشبيه؛ " وذلك أنه لا يقع إلا لمن طال تأمله ولطف حِسه وميز بين الأشياء بلطيف فكره "[5].

وكان ابن وهب الكاتب يرى أن التشبيه " من أشرف كلام العرب، وفيه تكون الفطنة والبراعة عندهم،وكلما كان المشبِّه منهم في تشبيهه ألطف كان بالشعر أعرف"[6].

أما الآمدي فاستطاع ، من خلال منهجه التطبيقي على شعر الطائيين ، أن يبرز المكانة البلاغية للتشبيه ، ويبيِّن فضله في الكلام حيث جعله مقياساً للتفاضل بين الشعراء[7] .

---

(1) الكامل ، ٢ / ٦٩ (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي – القاهرة) .
(2) الشعر والشعراء، ص٣٣ (تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط٢، ١٩٨٥م) .
(3) العمدة ، ابن رشيق القيرواني ، ٢ / ٢٣٩ (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل – بيروت ، ط٥ ، ١٩٨١م) .
(4) عيار الشعر ، ص١٦ – ١٧ (تحقيق عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط١ ، ١٩٨٢م) .
(5) كتاب التشبيهات ، ص٢ (عني بتصحيحه محمد عبد المعيد خان ، مطبعة جامعة كمبردج ، ١٩٥٠م) .
(6) البرهان في وجوه البيان ، ص١٣٠ (تحقيق د. أحمد مطلوب و د. خديجة الحديثي ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، ط١ ، ١٩٦٧م) .
(7) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، ج١ / ٣١ ، ٢٢٣ ، ٢٣٩ (تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعارف بمصر ، ط٢ ، ١٩٧٢م) .

وعدّه الرماني باباً " يتفاضل فيه الشعراء وتظهر فيه بلاغة البلغاء ، وذلك أنه يكسب الكلام بياناً عجيباً وهو على طبقات في الحسن "[1].

ورأى العسكري أنه يزيد المعنى إيضاحاً وتصويراً وتأكيداً. يقول : " والتشبيه يزيد المعنى وضوحاً ويكسبه تأكيداً،ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه ، ولم يستغن أحدٌ منهم عنه، وقد جاء عن القدماء وأهل الجاهلية من كل جيل ما يستدل به على شرفه وفضله وموقعه من البلاغة بكل لسان "[2].

وينظر إليه ابن رشيق على أنه " أشد ما تكلفه الشاعر صعوبة لما يحتاج إليه من شاهد العقل واقتضاء العين "[3].

٢٠٦٦٨٧

وعدّه عبد القاهر الجرجاني من معاني القرآن الرئيسة وأغراضه الأساسية[4] . والتشبيه عنده من دلائل قوة الطبع ، وعيار في الفرق بين الذهن المستعد للشعر وغير المستعد له[5] .ويرى أن تصوير الشبه بين المختلفين في الجنس ، مما يحرك قوى الاستحسان ويثير الكامن من الاستظراف[6] .يقول : " وهل تشك في أنه يعمل عمل السِّحر في تأليف المتباينين حتى يختصر لك بُعد ما بين المشرق والمغرب ، ويجمع بين المُشئِم والمُعرق . وهو يريك للمعاني الممثلة بالأوهام شبهاً في الأشخاص الماثلة ، والأشباح القائمة ، وينطق لك الأخرس ، ويعطيك البيان من الأعجم ، ويريك الحياة في الجماد ، ويريك التئام عين الأضداد فيأتيك بالحياة والموت مجموعين ، والماء والنار مجتمعين ، كما يقال في الممدوح هو حياة لأوليائه موت لأعدائه ، ويجعل الشيء من جهة ماء ، ومن أخرى ناراً ، كما يقال :

أنا نارٌ في مرتقى نظر الحا سد ماءٌ جارٍ مع الإخوان ..."[7]

---

(1) النكت في إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص٧٥ (تحقيق د. محمد خلف الله أحمد و د. محمد زغلول سلام ، دار المعارف بمصر ، ط٢ ، ١٩٨٦م) .
(2) كتاب الصناعتين ، ص٢٤٣ (تحقيق د. مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٩٨١م) .
(3) العمدة ، ١ / ١٩٤ .
(4) الرسالة الشافية في الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، ص٦٠٨ (ملحقة بكتابه دلائل الإعجاز تحقيق محمود شاكر ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ط٢، ١٩٨٩م) .
(5) أسرار البلاغة ، ص١٩١ وينظر الصفحة نفسها قصة عبد الرحمن بن حسان مع أبيه .
(6) المصدر نفسه ، ص١٣١ .
(7) المصدر نفسه، ص١٣٢ ، وينظر ، ص١٣٣ .

وقال عنه السكاكي:" إذا مهرت فيه ملكت زمام التدرب في فنون السحر البياني "[1] ، وقال ضياء الدين بن الأثير " يجمع صفات ثلاثة ، هي: المبالغة، والبيان، والإعجاز "[2] ، وقال محمد بن علي الجرجاني :"عظم علماء البلاغة أمر التشبيه ، لكونه أعلق بالطبع ، وألذ للنفس ، وله نفع عظيم في باب الخطابة : في المدح والذم ، والافتخار وغيرها "[3] ، وقال ابن النقيب : " الغرض بالتشبيه وفائدته الكشف عن المعنى المقصود مع ما يكتسب من فضيلة الإيجاز والاختصار "[4] .وقال العلوي اليمني : " يكسب الكلام أعظم الفصاحة والبلاغة والبيان، ويلحق مَرْآى البصيرة بمرْآى البصر والعيان "[5] .وقال الزركشي : " اتفق الأدباء على شرفه في أنواع البلاغة ، وأنه إذا جاء في أعقاب المعاني أفادها كمالاً ، وكساها حلة وجمالاً "[6] .

وقد ورد أسلوب التشبيه بكثرة في القرآن الكريم ليثبت قضايا مهمة، ومن أجل ذلك اعتنى العلماء به ممّا جعله جزءاً مهماً من دراسات البلاغة القرآنية .

---

(1) مفتاح العلوم ، ص١٤١ (المطبعة الميمنية بمصر ، على نفقة مصطفى البابي الحلبي) .

(2) المثل السائر ، ١ / ٣٩٤ (تحقيق د. أحمد الحوفي و د. بدوي طبانة ، دار نهضة مصر ، ط٢) .

(3) الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ، ص١٥٢ (تحقيق د. عبد القادر حسين ، مكتبة الآداب – القاهرة ، ١٩٩٧م) .

(4) مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن ، ص ١١٣ . وهذا الكتاب طبع منحولاً لابن قيم الجوزية تحت عنوان " الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان " وقام د. زكريا سعيد علي بتحقيقه وتصويب نسبته لابن النقيب (ت ٦٩٨هـ) ونشرته مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ١٩٩٥م .

(5) الطراز ، ٣ / ٥ (دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٩٨٠ م) .

(6) البرهان في علوم القرآن ، ٣ / ٤٧٢ (تحقيق مصطفى عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨م) .

أثر القرآن الكريم وتشبيهاته في البلاغة العربية

ترك القرآن الكريم بصماته الواضحة في علوم العربية التي نشأت لخدمته وتيسير فهمه ، ولا غرو فهو " مفجر العلوم ومنبعها ، ودائرة شمسها ومطلعها "[1] . وكان السبب المباشر في نشأة معظم علوم العربية والعلوم الإسلامية بسبب تفرغ العلماء لخدمته والعناية به في علوم كثيرة قامت لخدمته .

وقد سلك كتاب الله عز وجل في البلاغة مذاهب ينقطع دونها كل بليغ ، وظهر ذلك في غزارة مادة العربية ، وبراعة أساليبها ، واتساع مذاهب بيانها ، وكثرة الأغراض التي يتسابق إليها فرسان الخطابة والكتابة .

وأشهر العلوم التي نشأت البلاغة العربية في كنفها ، ووفرت لها الحضانة والرعاية هي علوم التفسير والكلام وأصول الفقه ، فالأول بسبب انصبابه على شرح القرآن وبيان معانيه ، والثاني لاهتمامه ببيان وجوه إعجازه ، والأخير بسبب تداخله مع علم المعاني . والصلة بين علم التفسير والبلاغة العربية وطيدة ، فالتفسير علم يهتم في مجمله بتحليل القرآن الكريم من نواحيه اللغوية والبيانية، وتحليل الجانب البلاغي في القرآن أحد مستويات التفسير .

بدأ أثر القرآن في البلاغة واضحاً منذ نشأة المحاولات الأولى لعلم التفسير التي بدأت مع مؤلفات أبي عبيدة معمر بن المثنى في " مجاز القرآن " ، والفراء في " معاني القرآن " ، وابن قتيبة في " تأويل مشكل القرآن " فكانت هذه المؤلفات هي بدايات الآراء والأفكار البلاغية المهمة ، واستمرت حضانة علوم القرآن وعلى رأسها التفسير والكلام للدراسات البلاغية ، حتى إننا لنستطيع القول إن البلاغيين الأول هم متكلمون أو مفسرون ، وإن أهم مصادر البلاغة آنذاك هي كتب الدراسات القرآنية مثل " تلخيص البيان في مجازات القرآن " للشريف الرضي، و " الجمان في تشبيهات القرآن " لابن ناقيا البغدادي ، و " بديع القرآن " لابن أبي الإصبع المصري .

اهتم علم الكلام بمسألة إعجاز القرآن ، فألفَ عُلماءُ الكلام المصنفات في ذلك نحو " النكت في إعجاز القرآن " للرماني ، و " بيان إعجاز القرآن " للخطابي ، و " إعجاز القرآن " للباقلاني ، و " دلائل الإعجاز " و " الرسالة الشافية في إعجاز القرآن " لعبد القاهر الجرجاني. وكان الجانب البلاغي في القرآن الكريم أبرز وجوه الإعجاز ؛ حتى إن معظم المؤلفات في الإعجاز

---

[1] السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ١ / ١ (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية – بيروت ، ١٩٨٨م.

تكاد تكون كتباً في البلاغة . وقد حرص المتكلمون على حذق فنون البيان والتمرس بأساليبه كما هو ملاحظ عند معظم البلاغيين المتكلمين .

وانعقد إجماع أهل العلم على أنه لا سبيل إلى الاطلاع على معرفة حقائق الإعجاز وتقرير قواعده من الفصاحة والبلاغة إلا بإدراك علم البيان وإحكام أساسه ، على حد قول العلوي اليمني الذي عرّفه بقوله : " هو العلم الذي يمكن معه الوقوف على معرفة أحوال الإعجاز "[1] .

وتجلى أثر المفسرين والفقهاء في البلاغة وتطورها من خلال حرصهم على وضع مقدمة في البلاغة في مطالع مؤلفاتهم ، لتساعدهم على فهم القرآن واستنباط الأحكام الشرعية منه ، ويعد تفسير الكشاف للزمخشري من أكثر كتب التفسير اهتماما بالبلاغة العربية واستلهامها في تجلية معاني آيات القرآن الكريم .

وأوضح السبكي اللحمة الوطيدة بين علم أصول الفقه وعلم المعاني قائلاً : " واعلم أنَّ علمي أصول الفقه والمعاني في غاية التداخل ، فإن الخبر والإنشاء اللذين يتكلم فيهما المعاني هما موضوع غالب الأصول ، وإن كل ما يتكلم عليه الأصولي من كون الأمر للوجوب والنهي للتحريم ، ومسائل الإخبار والعموم والخصوص ، والإطلاق والتقييد ، والإجمال والتفصيل ، والتراجيح كلها ترجع إلى موضوع علم المعاني ، وليس في أصول الفقه ما ينفرد به كلام الشارع عن غيره إلا الحكم الشرعيّ والقياس وأشياء يسيرة "[2] .

هكذا أثر القرآن الكريم تأثيرا كبيرا في نشأة البلاغة ، وكانت خدمته سببا في تعلمها والبحث فيها . يقول أبو هلال العسكري " إنَّ أحقَّ العلوم بالتعلم وأولاها بالتحفظ – بعد المعرفة بالله جل ثناؤه – علم البلاغة ومعرفة الفصاحة . وقد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة ، وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف ، وبراعة التراكيب ، وما شحنه به من الإيجاز البديع "[3] .

وذهبوا في تعريف البلاغة إلى القول إن البلاغة : " ما بلغ بك الجنة ، وعدل بك عن النار ، وما بصّرك بمواقع رشدك وعواقب غيّك "[4] . وكان ابن خلدون يرى أنَّ ثمرة علم البلاغة "

---

[1] كتاب الطراز ، ١ / ١٣ .

[2] عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ؛ ضمن شروح التلخيص ، ١ / ٥٣ (دار الإرشاد الإسلامي – بيروت)

[3] كتاب الصناعتين ، ص١ .

[4] البيان والتبيين ، ١ / ١١٤ (تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط٥ ، ١٩٨٥م) .

إنما هي في فهم الإعجاز من القرآن" [1]

لذا دارت الدراسات البلاغية في فلك القرآن الكريم ، وكانت آياته أشهر روائع الشواهد البلاغية ، ومن هذه الآيات تشبيهاته التي كان لها أثرها الجليل في غناء البلاغة العربية عامة ، والبلاغة القرآنية خاصة ، فقد كان قوله تعالى :﴿ طلعـــها كأنّه رؤوس الشياطين ﴾[2] سبـــبا في تأليف أبي عبيدة لكتابـــه " مجاز القرآن " وسنعرض لذلك في موضعه .

---

(١) مقدمة ابن خلدون،١٢٧٦/٣(تحقيق د.علي عبد الواحد وافي،ط٣،دار نهضة مصر،د.ت).

(٢) الصافات ، الآية ٦٥ .

الفصل الأول

أسباب اهتمام القدماء بتشبيهات القرآن

- الأهـــمية الديـــنـــية.
- الحـــجاج العـــقـــلي.
- الأبـــعاد النفـــســـية.
- القيمة الفنية الأسلوبية.

أسباب اهتمام القدماء بتشبيهات القرآن

عمد جُلّ القدماء إلى تكرار أكثر الآيات القرآنية التي فيها تشبيه في مصنفاتهم ، ويمكن أن نفسر هذا التكرار ، ونرد سر اهتمامهم بهاإلى الأهمية الدينية العقدية و التشريعية لها،وما تحمله من أساليب الحجاج العقلي،وأبعادها النفسية التي تتجاوب أصداؤها في جنبات النفس البشرية،بالإضافة إلي القيمة الفنية الأسلوبية لها . وفيما يأتي نعرض بالتفصيل لكل منها .

١. الأهمية الدينية:

حوى كتاب الله – عزّ وجلّ – كثيراً من التشبيهات التي تُستقى العبر والعظات من مضامينها ، لأنّ الصورة التشبيهية تؤدي دوراً فاعلاً في تجسيم المعاني المجردة . قال تعالى : ﴿ ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى الناس إلا كفورا﴾ [١]، وقال : ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلاّ العالمون ﴾[٢].

أخرج البيهقي عن أبي هريرة ، قال قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " إنّ القرآن نزل على خمسة أوجه : حلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال ؛ فاعملوا بالحلال ، واجتنبوا الحرام ، واتبعوا المحكم ، وآمنوا بالمتشابه ، واعتبروا بالأمثال "[٣] .

وذكر ابن خلاّد الرامهرمزي (ت ٣٦٠هـ) أنّ الله ،عزّ وجلّ، وعد بأمثال القرآن،وأوعد وأحلّ وحرّم ورجّا وخوّف وقرّع بها المشركين ،وجعلها موعظة وتذكيراً، ودلّ على قدرته مشاهدة وعِياناً وعاجلاً وآجلاً[٤] .

وقال الماوردي (ت ٤٥٠هـ) : من أعظم علم القرآن علم أمثاله[٥]. وقال الشافعي : "ممّا يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن معرفة ما ضُرب فيه من الأمثال الدوال على طاعته ، المبينة لاجتناب معصيته"[٦] . فتشبيهات القرآن وأمثاله من معاني القرآن الرئيسة ، ووجوهه المهمة . لذا حين تكلم عبد القاهر على معاني القرآن ذكر أنّها أصناف منها " الحُجج

---

[١] الإسراء،الآية٨٩.
[٢] العنكبوت ، الآية ٤٣ .
[٣] معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي،١/ ٤٦٤(تحقيق علي البجاوي ،دار الفكر العربي-القاهرة) والإتقان في علوم القرآن ،السيوطي ٢ / ١٣١ (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم،القاهرة، ١٩٦٧م).
[٤] أمثال الحديث ، ص٦ (تحقيق أمة الكريم القرشية ، المكتبة الإسلامية ، استانبول – تركيا) .
[٥] معترك الأقران ، ٢ / ٤٦٤ . ذكر حاجي خليفة أن للماوردي كتاب " أمثال القرآن " وهو مفقود (كشف الظنون ، ١ / ١٥٠) .
[٦] المصدر نفسه ، ٢ / ٤٦٤ .

والبراهين ، والحكم والآداب ، والترغيب والترهيب ، والوعد والوعيد ، والوصف والتشبيه ، والأمثال ، وذكر الأمم والقرون واقتصاص أحوالهم ، والنبأ عما جرى بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام"[1].

وعقد عز الدين بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ) فصلاً بعنوان (في ضرب الأمثال في القرآن حثاً على الطاعات وزجراً عن المخالفات) جاء فيه : ولا تنفك الأمثال من وعد أو وعيد أو مدح أو ذم أو لوم أو توبيخ . مثال الوعد بمضاعفة أجر الحسنات قوله سبحانه : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء ﴾ [2]، وقوله تعالى : ﴿ ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابلٌ فآتت أكلها ضعفين ﴾ [3] . مثّل مضاعفة أجر النفقات بهذين المثلين ترغيباً في النفقات ، ومثّل إحباط الكفر لأعمال البر بالريح تنفيراً من الكفر وتهديداً بأنه يسقط ثواب البر الذي فعلوه، فقال : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ﴾ [4] ، وقال : ﴿ مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صرٌ أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته﴾ [5]. وكذلك مثّل حسبان الكفار أن أعمالهم تنفعهم يوم القيامة بحسبان ظمآن رأى سراباً فظنه ماء فجاءه فلم يجد شيئاً فأخذه الله هنالك، فكذلك تؤخذ الكفار في يوم القيامة التي حسبوا أن أعمالهم تنجيهم فيها من الهلاك .

وشبّه كلمة الكفر بالشجرة الخبيثة تنفيراً منها وذماً لها، وشبّه كلمة الإيمان بالشجرة الطيبة حثاً عليها ومدحاً لها . أما التوبيخ، ففي مثل قوله تعالى : ﴿ ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم ... ﴾ [6]، يقول سبحانه : كيف تأنفون لأنفسكم أن تشاركوا أرقّاكم في أرزاقكم ولا تأنفون لربكم أنّ يشارك الأصنام في صفة الإلهية ، بل ترضون لربكم من مشاركة عباده في ألهيته ما تكرهون مثله لأنفسكم من مشاركة عبيدكم في أرزاقكم . وكذلك شبه مصير المنافقين إلى ظلمات الآخرة بسرعة انطفاء نار المستوقد لما أنارت ما حوله تنفيراً من النفاق وتهديداً عليه" [7] .

---

[1] الرسالة الشافية في إعجاز القرآن ؛ ملحقة بكتاب دلائل الإعجاز ، ص٦٠٨ .
[2] البقرة ، الآية ٢٦١ .
[3] البقرة ، الآية ٢٦٥ .
[4] إبراهيم ،الآية ١٨.
[5] آل عمران الآية ١١٧.
[6] الروم الآية ٢٨.
[7] كتاب الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ، عز الدين بن عبد السلام ، ص ٢١٣ – ٢١٤ (دار الحديث – القاهرة ، د. ت) .

هكذا جاءت تشبيهات القرآن لإثبات قضايا إيمانية مهمة كالوحدانية ،ووصف مشاهد القيامة والبعث ، وبيان أعمال الكفار والمؤمنين ، ووصف نعيم الجنة ، وعذاب جهنّم ، وتصوير قِصر الحياة الدنيا وسرعة زوالها ، ومظاهر القدرة الإلهية في عقاب الكافرين ، وغير ذلك من تشبيهات القرآن المعجزة الخالدة التي سيقت لِتُحدث في النفوس فرحة ورغبة أو تستثير فيها هيبة ورهبة ، أو ترشدها إلى خير ، أو تكفها عن شر ، أو تكشف لها عن حقيقة تجهلها ، أو لا تدري ما كُنهها ، سيقت لتهدي الحائر والضال وتكشف الغشاوات عن البصائر والعيون . فكل تشبيه منها يشرح للناس حقيقة من حقائق الحياة ، أو ضرباً من عجائب الطبيعة ، أو حجة دامغة لإثبات أمر ، أو تقرير مبدأ ، أو إحقاق حق ، أو إبطال باطل .

لقد كان العامل الديني أهم البواعث على الاهتمام بتشبيهات القرآن ، لتثبيت المسائل العقدية ، وترسيخ المفاهيم الإيمانية في النفوس ، وتوضيح هذه المعاني وإبراز أغراض القرآن التعبيرية المختلفة . فقد كان بُعد العهد بين المسلمين في العصر العباسي والمسلمين من العرب الخلص في صدر الإسلام سبباً في خفاء بعض المعاني القرآنية عليهم ، فانطلقوا يسألون عنها العارفين بالعربية وأسرارها . ومن ذلك قصة تأليف أبي عبيدة لـ " مجاز القرآن " بسبب مسألة في تشبيهات القرآن[1] .

وقد لخص بدر الدين الزركشي أغراض التشبيه القرآني بقوله : "ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة ، التذكير والوعظ ، والحث والزجر ، والاعتبار والتقرير ، وتقريب المراد للعقل ،وتصويره في صورة المحسوس ، بحيث تكون نسبته للعقل كنسبة المحسوس إلى الحس . وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر ، وعلى المدح والذم ، وعلى الثواب والعقاب،وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره ، وعلى تحقيق أمر أو إبطاله "[2].

وأبرز الفيروزأبادي الأهمية الدينية لتشبيهات القرآن بقوله:" الأمثال سُرُجُ القرآن "[3]، لما لها من دور في كشف محور الشر الثلاثي الذي يضم اليهود والمنافقين والمشركين المعارضين لدعوة الحق والمنكرين لآياته ودلائل قدرته الصادين عن رسالة التوحيد ، تصنعاً للإنكار ،

---

[1] ينظر : هذه الدراسة ، ص٦٥ للوقوف على تفصيلات القصة .

[2] البرهان في علوم القرآن ، ١ / ٤٨٦ . والإتقان ، السيوطي، ٢ / ١٣١ . وينظر : أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ص٥٩ – ٦٠ .

[3] بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز ، ١ / ٦٩ (تحقيق محمد علي النجار ، مطابع شركة الإعلانات الشرقية ، القاهرة ، ١٩٦٩م) .

وإظهاراً للاستغراب المزيف ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ... ﴾ [1].

إنّ معالجة قضايا حساسة لها شأو رفيع بأسلوب التشبيه القرآني يكشف الأهمية الكبرى للتشبيهات في البلاغة القرآنية . ومن أجل ذلك اعتنى علماء اللغة والأدب والبلاغة والنقد والتفسير بها في كلامهم على الإعجاز البلاغي ، فغدت التشبيهات جزءاً مهماً من دراسات البلاغة القرآنية .

٢. الحجاج العقلي:

كان الحجاج الديني ، ومحاولة تسفيه آراء أهل الظاهر من المفسرين واللغويين من أهم الدواعي إلى التعمق في بحث التشبيه عند المتكلمين المعتزلة ، ليفلتوا من القيود الحسية ومن التجسيم ، وليستدلوا بتشبيهات القرآن على إعجازه ، ويوضحوا محكمه ومتشابهه ، وينافحوا عن حياض الدين ، ويردوا على مزاعم أهل الخلاف والطعن في كتاب الله ، وتفنيد شبهات المشككين ؛ الذين دقت على أفهامهم أسرار تشبيهاته ، وخفيت عليهم لطائف تصويره ووصفه . لذا جاءت المصنفات في إعجاز القرآن عند كل من الرماني والباقلاني والقاضي عبد الجبار وعبد القاهر الجرجاني وغيرهم ، للكشف عن معاني القرآن ، وبيان أسراره، ودقائق أفكاره ، وحقائق إعجازه ، ومن جملتها آيات التشبيهات ، فراح العلماء يكرّرونها ويكشفون قدراتها في الحجاج المنطقي ، يدللون بها على عربية القرآن ، ويتخذونها أداة لتقرير حجة الله في عقول المتكلمين ، ودليلاً على الاحتجاج لنظمه ومزية أسلوبه ، والردّ على كلّ طعّان .

لهضت تشبيهات القرآن على الاستدلال العقلي ، وهي من الطرائق المثلى كما رأى ابن وهب الكاتب " لأنّ الخبر في نفسه إذا كان ممكناً فهو يحتاج إلى ما يَدُلّ عليه وعلى صحته ، والمثل مقرون بالحجة ، ألا ترى أنّ الله عزّ وجلّ لو قال لعباده : إني لا أشرك أحداً من خلائقي في ملكي لكان ذلك قولاً محتاجاً إلى أن يدل على العلة فيه ووجه الحكمة في استعماله ، فلما قال : ﴿ ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل مما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم ... ﴾[2]كانت الحجة من تعارفهم مقرونة بما أراد أن يخبرهم به من أنّه لا شريك له في ملكه من خلقه ، لأنهم عالمون أنهم لا يقرون أحداً من عبيدهم على أن

---

[1] النمل ، الآية ١٤ .
[2] الروم ، الآية ٢٢.

يكون له فيما ملكوه مثلهم ، بل يأنفون من ذلك ويدفعونه ، فإنَّ الله ،عزّ وجلّ، أولى بأن يتعالى عن ذلك.[1]

وقال حمزة بن الحسن الأصبهاني (ت ٣٥١هـ) صاحب " الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة " " وفي ضرب الأمثال تبكيت للخصم الشديد الخصومة ، وقمع لسورة الجامح الأبيِّ، فإنه يؤثر في القلوب ما لا يؤثر وصف الشيء في نفسه ؛ ولذلك أكثر الله تعالى في كتابه ، وفي سائر كتبه الأمثال "[2]. ونقل الزمخشري كلام الأصبهاني هذا في مقدمته لتفسير أول تشبيهات القرآن[3].

وكان عبد القاهر الجرجاني يرى أنَّ فائدة التمثيل وسبب أنس المتلقي بالتشبيهات ، التي تنقله في الشيء عن الصفة والخبر إلى العيان ورؤية البصر ، هو أنَّ بعض المعاني تحتاج في إثباتها إلى بيّنة وحجة لإزالة الشك والرَّيب ، فيأتي التشبيه يفيد فيها " الصحة وينفي الريب والشك ، ويُؤمن صاحبه من تكذيب المخالف ، وتهجُّم المنكر ، وتهكم المعترض ، وموازنته بحالة كشف الحجاب عن الموصوف المُخبر عنه حتى يُرى ويُبصر ، ويُعلم كونه على ما أثبتته الصِّفة عليه موازنة ظاهرة صحيحة "[4]. فهو يرى أنَّ المشاهدة تؤثر في النفوس مع العلم بصدق الخبر ، كما أخبر الله تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام في قوله: ﴿ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ﴾ [5].

لقد ربط عبد القاهر أسباب تأثير التمثيل بالانفعال النفسي المفضي إلى الاستمالة والإقناع العقلي، فرأى : " أنَّ أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفيٍّ إلى جليٍّ ، وتأتيها بصريح بعد مكنيٍّ ، وأنْ تردَّها في الشيء تُعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم . وثقتها به في المعرفة أحكم ، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس ، وعما يُعلم بالفكر إلى ما يُعلم بالاضطرار والطبع ، لأنَّ العلم المستفاد من طرق الحواسِّ أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حدِّ الضرورة ، يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام، وبلوغ الثقة فيه غاية التمام ، كما قالوا : " ليس الخبر كالمعاينة " و " لا الظنُّ كاليقين " ، فلهذا يحصل بهذا العِلم هذا الأنس ، أعني الأنس من جهة الاستحكام والقوة "[6].

---

[1] البرهان في وجوه البيان، ص٥٧(تحقيق د.أحمد مطلوب و د.خديجة الحديثي،منشورات جامعة بغداد،ط،١٩٦٧م).

[2] معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي،١/ ٤٦٥ – ٤٦٦. والإتقان ، ٤ / ٣٩.

[3] الكشاف ، ١ / ٧٩ . وهذه الدراسة ص ١٦٤.

[4] أسرار البلاغة ، ص١٢٤ .

[5] البقرة ، الآية ٢٦٠ .

[6] أسرار البلاغة ، ص١٢١ – ١٢٢ .

ومن تشبيهات القرآن التي نهضت على الاحتجاج العقلي الاستدلال على خلق عيسى عليه السلام إعجازياً بما هو أصعب منه، وهو خلق آدم عليه السلام . قال السيوطي : فيه استعمال قياس الأولى في المناظرة، لأنَّ عيسى إن كان خُلق بلا أب فآدم لا أبَ له ولا أمَّ " [1]، ومن الجوانب العقلية في القياس والاستدلال في قوله تعالى : ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دُعاءً ونداء صمٌ بكمٌ عميٌ فهم لا يعقلون ﴾[2]، تشبيه الكافرين في تقليدهم آباءهم من غير فهم أو تمحيص بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم مراده ، ولأنهم عطلوا جوارحهم أن يستدلوا بها إلى الحقيقة ولم يعملوها كانوا كالصم والبكم والعمي والمجانين من البشر أو كمن لا عقل له من البهائم[3].

هكذا استوعبت تشبيهات القرآن مناحي شتَّى في الاستدلال العقلي، والقياس الاحتجاجي ، والاستنباط المنطقي الذي تقود مقدماته لنتائجه ، فاستنبط العلماء منها الأحكام ، واستفادوا الاعتماد على صحة النظر والاستدلال .

---

[1] الإكليل في استنباط التنزيل ، ص٥٣ (مطابع دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٣٧٣هـ) .
[2] البقرة ، الآية ١٧١ .
[3] مختصر تفسير ابن كثير ، اختصار وتحقيق الصابوني ، ١ / ١٥٠ . وتفسير البيضاوي ، ١ / ٤٨٨ .

وقد تعمق البلاغيون دور التشبيه في التعبير عن الأثر النفسي في جماليات الصورة القرآنية، فنراهم يتحدثون عن وجه الشبه في قوله تعالى : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب۞ أو كظلمات في بحر لُجِّيٍّ يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾[1]، يقول الرماني : " وقد اجتمعا – أي المشبه والمشبه به – في بطلان المتوهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة ، ولو قيل يحسبه الرائي ماء ثم يظهر أنه على خلاف ما قدِّر لكان بليغاً ، وأبلغ منه لفظ القرآن ؛ لأن الظمآن أشد حرصاً عليه وتعلق قلبٍ به ، ثم بعد هذه الخيبة حصل على الحساب الذي يصيره إلى عذاب الأبد في النار – نعوذ بالله من هذه الحال – وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من حسن التشبيه ، فكيف إذا تضمن مع ذلك حسن النظم ، وعذوبة اللفظ ، وكثرة الفائدة ، وصحة الدلالة "[2] . فالرماني يكشف المنحى النفسي في جماليات التشبيه في الصورة القرآنية التي شبّه الله، سبحانه وتعالى، فيها أعمال الكافرين في عدم غنائها بسراب يثير في نفس الظمآن معاني الرِّي والأمل والنجاة ، ثم يجيئه ، فلا يجد عنده إلا الظمأ والعذاب ، وشبّه في الأخرى هذه الأعمال في ضلالها بتلك الصورة المفزعة الرهيبة وما لها من تداعيات نفسية مهولة .

والملاحظ في كلتا الصورتين التشبيهيتين أن القرآن الكريم قد تدرج في تصوير ضياع أعمال الكافرين وعدم انتفاعهم بها يوم القيامة ، من صورة إلى أخرى أكثر تأثيراً في النفوس، وأشد وقعاً عليها ، إذ قدم الصورة البرية التي شبه الله فيها أعمال الكافرين في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئاً، ولم يكفه خيبة وكمداً أن لم يجد كمن غرّه السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله إلى النار ولا يقتل ظمأه بالماء ، وشبهها ثانياً في صورة بحرية تُعدُّ أكثر من سابقتها إيغالاً في ضياع أعمال الكافرين ، فقد اختلطت فيها الظلمات الحسية بالظلمات المعنوية ، وحشدت فيها حشداً ، فإذا هي في ظلماتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها عن نور الحق ظلمات متراكمة من لجّ البحر والأمواج والسحاب ، أهوال لا يستطيع معها راكب البحر أن يرى يده ولو أدناها إلى بصره ، فيقف حائراً لا يلوي على نجاة وسط هذه العواصف العاتية[3] .

---

[1] النور ، الآيتان ٣٩ – ٤٠ .

[2] النكت للرماني ؛ ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص ٧٥ – ٧٦ .

[3] ينظر : الكشاف للزمخشري ، ٣ / ٢٣٨ ، وينظر : المشاهد في القرآن الكريم ، د. حامد قنيبي ، ص ٣٤١ – ٣٤٢ (مكتبة المنار – الزرقاء ، ط١ ، ١٩٨٤م).

وكذا تدرج القرآن الكريم في تشبيه حال المنافقين من صورة إلى أخرى أشد تأثيراً في تحريك المشاعر والأحاسيس ، ففي قوله تعالى : ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ۞ مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ۞ صم بكم عمي فهم لا يرجعون أو كصيّبٍ من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين ۞ يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير ﴾[1]، قدم الله – عزّ وجلّ – صورتين تشبيهيتين للمنافقين :الأولى صورة المستوقد الذي طفئت ناره شبه فيها حال المنافقين في حيرتهم ، واضطراب أمرهم ، وتخبطهم في الغواية ، بصورة الساري قد أوقد ناراً تضيء طريقه ، فعرف أين يمشي ، ثم لم يلبث أن ذهب الضوء ، وشمل المكان ظلام دامس ، لا يدري السائر فيه أين يضع قدمه ، ولا كيف يأخذ سبيله ، فبقي يتخبط في ظلام متحيراً ، متحسراً على فوت الضوء ، خائباً بعد الكدح في إحياء النار[2] .

وشبّه حالهم في الأخرى " بتمثيل آخر ليكون كشفاً لحالهم بعد كشف ، وإيضاحاً غب إيضاح "[3] ، إذ شبههم بقوم أصابتهم السماء بالمطر الشديد الهائل فيه ظلمات داجية ، ورعد قاصف ، وبرق خاطف ، يصك الرعد أسماعهم لشدة هوله ، ويكاد البرق يخطف أبصارهم ، فتراهم لهول الصواعق يجعلون أصابعهم في آذانهم ، يبالغون في إدخالها في آذانهم فراراً من شدة الصوت ، فإذا أضاء البرق مشوا خطوات يسيرة ، وهم في غاية الحيرة والجهل بما يأتون وما يذرون ، وإذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة ، ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فأصمهم ، أو في ضوء البرق فأعماهم[4] . وقد توقف المستشرق جاك بيرك أمام هذه الصورة التشبيهية فقال : " لنستمع إلى القرآن وهو يصف العاصفة مثلاً : إن التتاغم المحاكي سيصور العنف المرعب الذي يحاصر التائه في إعصار المادة . ولكن هل المقصود هو رحالة تائهون في العاصفة أم أن المقصود هو آثمون أضاعتهم جرائمهم ؟ "[5] .

---

[1] البقرة ، الآيات ١٧ – ٢١ ، ومعنى استوقد ناراً : أوقدها ، وبكم : خرس عن النطق بالحق ، والصيب : المطر النازل أو السحاب ، ويخطف أبصارهم : يستلبها أو يذهب بها بسرعة ، وقاموا : وقفوا وثبتوا في أماكنهم متحيرين ، و " أو " هنا بمعنى الواو .

[2] ينظر : الكشاف للزمخشري ، ١ / ٨٠– ٨٢ ، ومن بلاغة القرآن ، أحمد بدوي ، ص٢٠٢ (دار نهضة مصر ، د.ط ، د. ت) .

[3] الكشاف ، ١ / ٨٥ .

[4] الكشاف ، ١ / ٨٦ – ٩٣ .

[5] القرآن وعلم القراءة ، جاك بيرك ، ترجمة د. منذر عياشي ، ص١١٠ (دار التنوير – بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦م) .

أفاض عبد القاهر في حديثه عن هذا الأثر النفسي ، ومما قاله : " واعلم أنَّ ممَّا اتفق العقلاء عليه ، أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني ، أو برزت هي في معرضه ، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبَّهة ، وكسبها منقبة ، ورفع من أقدارها، وشبَّ من نارها ، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب إليها ، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكَلفا ، وقسَر الطباع على أن تُعطيها محبَّة وشغفا .

فإن كان مدحا ، كان أبهى وأفخم ، وأنبل في النفوس وأعظم ، وأهزّ للعِطف، وأسرع للإلف ، وأجلب للفرح ، وأغلب على المُمتدح ، ... ، وأسير على الألسن وأذكر ، وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر . وإن كان ذما ، كان مسُّهُ أوجع ، وميسمه ألذع ، ووقعه أشدّ ، وحدُّه أحدّ. وإن كان حِجاجا ، كان بُرهانه أنور ، وسلطانُه أقهر ، وبيانه أبهر ... وإن كان وَعظا، كان أشفى للصدر ، وأدعى إلى الفكر ، وأبلغ في التنبيه والزَّجر ، وأجدر بأن يُجليَ الغياية ، ويبصر الغاية ، ويُبرئ العليل ، ويشفي الغليل "[1] .

ذهب عبد القاهر إلى أنّ التمثيل أخصُّ من التشبيه في التأثير بالنفس[2] ، لذا كانت أغلب تشبيهات القرآن تمثيلات ، لأنها أكثر قدرة على هزّ النفوس وإطرابها وإحداث الأريحية فيها ، وإثارة مكامن الإعجاب ومواضع الاستحسان والاستظراف .

وتتبدى الأبعاد النفسية لتشبيهات القرآن من خلال رسم صور موضحة لحقيقة الحياة الدنيا وسرعة زوالها ، وصور أعمال المؤمنين وما تبعثه من طمأنينة في النفس ، وفي المقابل تصوير هباء أعمال الكافرين . كذلك تصوير الإنفاق في سبيل الله والإنفاق المشوب بالمنّ والأذى أو الرياء أو الكفر ، ومشاهد القيامة وأحوال الناس عند البعث ، أو رسم صور لعذابات أهل جهنّم أو نعيم أهل الجنة . ذلك كله له وظائف نفسية تحث على الترغيب في العمل الصالح والإنفاق في وجوه الخير ، والتحذير من الشرك والرياء وسبلهما، وذلك " لتوطن النفس بذلك على ما لا يمكنها التحرز منه إذ لا يحسن منها التحرز من ذلك ، ولتحذر ما يمكنها التحرز منه ويحسن بها ذلك ، ولترغب فيما يجب أن يرغّب فيه ، وترهّب فيما يجب أن ترهبه ، وليقرب عندها ما تستبعده ، ويبعد لديها ما تستقر به ، وليبيّن لهم أسباب الأمور ، ووجهات الإنفاق البعيدة "[3] .

---

[1] أسرار البلاغة ، ص١١٥ – ١١٦. عِطف الشيء : جانبه، وهو من الإنسان من لدن رأسه إلى وركه، والميسم: آلة الكيّ (الكاوياء) . والغَيَايَة: كل ما أظل الإنسان فوق رأسه ، كالسحابة والغبرة والظلّ ونحو ذلك ، والغليل : شدة العطش وحرارته .

[2] أسرار البلاغة ، ص١٣١ .

[3] منهاج البلغاء ، حازم القرطاجني ، ص٣٨٩(تحقيق محمد الحبيب بن خوجة ، دار الغرب الإسلامي – بيروت ، ط٢ ، ١٩٨١م) .

شكلت بعض تشبيهات القرآن نحو قوله تعالى : ﴿ هُنَّ لباس لكم ﴾[1]، وقوله : ﴿ وجعلنا الليل لباسا ﴾[2]؛ منبهات داخلية لحالات نفسية مرتبطة بعوامل غريزية كالجوع والبرد والخوف، أو الشبع والدفء والطمأنينة، أو أي عامل غريزي آخر[3] . هكذا تقف التشبيهات القرآنية ، بما لها من أبعاد نفسية عميقة في إثارة الانفعالات وتهييج المشاعر ، منائر لتحديد الميول والاتجاهات وتوجيه الأعمال لتحقيق الأغراض الدينية في التمسك بالمبادئ والالتزام بالمثل العليا والقيم الرفيعة لديننا الحنيف .

---

[1] البقرة ، الآية ١٨٧ .

[2] النبأ ، الآية ١٠.

[3] التحليل النفسي ، سيجموند فرويد ، ص٢٧ (ترجمة د. محمد الشنيطي ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٥٦م) .

4. القيمة الفنية الأسلوبية:

يمتاز القرآن الكريم بأسلوبه المبتكر ، إذ لا يجد الناظر فيه والسامع شبيها له فيما يعرف من كلام العرب وأساليبهم ، ولا يمكن ان يجد الباحث كلاما أو كتابا يمكن أن يتحد أو يتشابه أسلوبه وأسلوب القرآن . فهو صورة جديدة مبتكرة في البيان العربي جارية على قواعد العرب وطريقتهم في التركيب ، لكنه يختلف عنها كل الاختلاف فيما نسميه بالأسلوب ، بحيث أنك لو خلطت سورة أو جملة آيات بمجموعة أخرى من كلام العربي لاستطعت تمييزها بسهولة . فأسلوب القرآن يتجلى فيه الابتكار الذي لم يعهد له مثيل ، ولا يشبهه شيء من كلام العرب في طرائق بيانه ومناهج خطابه[1] .

ويعد التصوير الفني وسيلة كتاب الله ،عزّ وجلّ، المفضلة في التعبير والإبلاغ ، لما يتمتع به من قوة التأثير في المتلقي ، وبما يختزنه من قدرات إيحائية يستمدها من قوة الخيال . وتكمن دقة التصوير القرآني وروعته في إثارة الحواس المختلفة ، والعواطف المتباينة ، مما يثبت الصورة في الإدراك والوجدان . " فهو يعبر بالصورة المحسَّة المتخيلة عن المعنى الذهني ، والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس ، والمشهد المنظور ، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية . ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة ، أو الحركة المتجددة .فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة ، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد ؛ وإذا النموذج الإنساني شاخص حيّ ، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية[2] . لذا لفتت الصورة القرآنية أنظار اللغويين والنقاد والبلاغيين القدامى والمحدثين ، فتنبهوا إلى قوتها وروعتها ، وبذلوا جهوداً في سبيل إبرازها ، والوقوف على أسرارها ، وذلك لما فيها من " آثار نفسية مختلفة ،وبلاغية رائعة" [3] . " ورأوا فيها من دلالات الإعجاز وأسراره ما جعلهم يعنون بدراستها في أبواب المجاز ، في المثل والاستعارة والتشبيه والكناية" [4].

ويعد التشبيه من أصول التصوير القرآني ، إذ تتخذ طائفة من روائع الصور البيانية في محكم التنزيل منه أسلوباً في التوصيل وإيضاح المعنى ، و وسيلة لإثبات حقائق نظرية أو

---

(1) مقارنة بين أسلوب الحديث النبوي وأسلوب القرآن الكريم ، مصطفى أحمد الزرقا ، ص105 (مجلة البحوث الإسلامية ، الرياض ، العدد الأول ، 1395هـ) .

(2) التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، ص36 (دار الشروق – بيروت ، ط8 ، 1983م).

(3) أثر القرآن في تطور النقد العربي ، د. محمد زغلول سلام ، ص369 نقلاً عن :
Sketches from Eastren History studies ,by Noldeke, p34.

(4) أثر القرآن في تطور النقد العربي ، ص369 .

تجريبية [1]، فهو من أدوات التصوير البياني في النص القرآني[2] .وأمثال القرآن تشمل بالإضافة لاشتمالها على القصص القرآني الصور المركبة التي غالباً ما تعتمد على التشبيه ، وهو أمر يعرض له البلاغيون على نحو خاص [3]. ناهيك بأنّ التشبيه كالأصل في الاستعارة وهي شَبَـيهٌ بالفرع له أو صورة مقتضبة من صُوَره [4]

وقد خضعت تشبيهات القرآن في طريقة عرضها لمقتضى أغراضه الفكرية العقدية ، ولم يمنع هذا الخضوع من بروز سمة التصوير ، التي تعد من أبرز سماته الفنية . لذا نرى تماسك أجزاء النص القرآني المشتمل على التشبيه ، وانتشار معالم الجمال فيه ، وتبدي القوة البيانية متمثلة في إبراز الفكرة عن طريق الصورة التشبيهية الملتحمة الأجزاء . والتشبيه " أكثر الأنواع البلاغية أهمية بالنسبة للناقد والبلاغي " [5]؛أن أسلوب التشبيهات القرآنية حلقة من سلسلة النظم القرآني البديع تشف عن الذات الإلهية ، فالمتلقي للتشبيه القرآني تتجلى له من خلالها ذاتية تصدر من جو علو ، وقوة ، وسطوة ، وقدرة ، وحكمة ، ورحمة . وهذه الذاتية القوية العظمى التي تتجلى من وراء أسلوب القرآن في التشبيه لا تضعف حتى في المواطن التي تعبر فيها عن الرحمة ، وإنّ قوتها واحدة في جميع التشبيهات والأمثال ، فهي دائما ذاتية جبارة قادرة منتقمة عادلة حكيمة رحيمة ، آخذة بزمامين من الترغيب والترهيب ، ذات سلطان مطلق [6].

هذا الأسلوب الآسر في التشبيه القرآني كان محفز العلماء قدماء ومحدثين لأنهم بهروا أمام مزاياه إشراقا وترابطا وتفردا بعظمة البيان ، ومعالم الجمال فأقاموا التشبيهات القرآنية شواهد استدلوا بها على إعجازه ، والاحتجاج لنظمه ، وتجلية لطائف تصويره ووصفه . ورأوها أرقى تشبيهات البيان العربي لاستيعابها جميع صوره واستقطابها ملامح الحس والإدراك البصري والسمعي ، ونسجها ذلك كله في صياغة موحدة تنظر إلى هداية الإنسان .

اشتملت تشبيهات القرآن على عناصر قوية شكلت سرّ خلودها ، ومكنتها من الاستمرار والبقاء ، وأمدتها بحيوية وتطامن على مرّ العصور ، وجعلت علماء البلاغة والنقد

---

[1] بلاغة التشبيه في القرآن الكريم ، د. علي فلاورجاني ، مجلة التراث العربي ، دمشق ، عدد ٥٤، ١٩٩٤م ص٢٩ .

[2] المثل والتمثيل في التراث النقدي والبلاغي ، د. ألفت الروبي ؛ ضمن كتاب المجاز والتمثيل في العصور الوسطى ، مشترك بين مجموعة باحثين ، ص٧٩ (دار قرطبة – الدار البيضاء ، ط٢ ، ١٩٨٢م) .

[3] المرجع نفسه ،ص٧٧.

[4] أسرار البلاغة ، ص٢٩ .

[5] الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، د. جابر عصفور ، ص١٨٧ (دار المعارف ، مطبعة القاهرة الجديدة ، ١٩٧٧م) .

[6] مقارنة بين أسلوب الحديث النبوي وأسلوب القرآن الكريم ، مصطفى الزرقا ، ص١٠٧ .

في دهشة من روعتها ، وتسامق أغصانها ، وتطاول أفيائها . إذ استمدت عناصرها من مظاهر الكون والطبيعة والأرض التي تمثل مسرح الفعل الإنساني للبشر كافة على مختلف البيئات ، وتعاقب الأجيال، لأنها بنباتها وحيوانها وجمادها ومظاهرها المختلفة ترتبط بوشائج قربى وأواصر ألفة مع طبائع النفوس البشرية الراسخة ، والنواميس الكونية التي لا تتغير ، والمظاهر الطبيعية الثابتة التي تحيط بالناس في مختلف العصور والبيئات . فجاءت صورها الحية بحركتها وتلونها تقرّب الأشياء وتبرز الحقائق ، وتعطي العظة من نبات الأرض ، ومطر السماء ، ومقذوفات الرياح ؛ من هشيم أو رماد ، وتقلبات الأجواء وما يرافقها من ليل ونهار ، ونور وظلام ، ورعد وبرق ، وموج ولجج ، وسحاب وضباب ، وسراب ، وريح ، وأصوات ، وأصداء ، وما تثيره من رعب وفزع أو أمن واستقرار .

كذلك عمدت التشبيهات القرآنية ، بالإضافة إلى التشبيه بالظواهر الطبيعية والسنن الكونية ، إلى الكائنات الحية ، فوجدت في العنكبوت ونسجه صورة ملائمة لتصوير وهن آلهة الكافرين ، وفي الحمار يحمل أسفاراً صورة لمن يحمل العلم ولا ينتفع به ، وفي صورة الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث مثال لمن أوتي آيات الله فانسلخ منها ... الخ .

و كما أمدت الطبيعة ، بميادينها الرحبة ، تشبيهات القرآن بالحيوية والتجدد في الأسلوب والمضمون ، أمدت تشبيهات القرآن العلماء قدماء ومحدثين من بحر معانيها وفيوض أسرارها ، فراحوا يكررونها مبهورين أمام عظمة بيانها ، وروعة أسلوبها ، وترابط أجزائها ، وتناثر معالم الجمال فيها .

إنّ قدرة تشبيهات القرآن على التشخيص والتجسيم وإبراز القضايا العقلية بصور حسية مشاهدة ليمثل سمتاً فنياً يجعل منها لوحات رائعة الجمال تنفرد عن غيرها من تشبيهات البشر بإعجاز بياني منماز في لحمته وعناصر تشكّلهِ . ويجدر الإشارة إلى أن أسلوبها يختلف عن آيات الأحكام والتشريعات المباشرة في أسلوبها ، فآية التشبيه في صيغتها تصويرية أولاً ، وآية الحكم تشريعية ، وشتان بينهما فقوله تعالى : ﴿ مثل الذين حُمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ﴾[1] يختلف في أسلوبه وعرضه عن أسلوب قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ﴾[2]. وهذا الاختلاف في العرض سببه أنّ لكلٍ منهما غاية تناسبها صيغة معينة ، فالمهمة الأولى للتشبيه القرآني ليست تشريع الأحكام لكنها مهمة ثانوية قد نهض بها . فقد استنبط العلماء من ثنايا التشبيهات القرآنية شذرات

---

[1] الجمعة ، الآية ٥ .

[2] البقرة ، الآية ١٨٣ .

الأحكام وتشريعات نحو ما أورده أبو جعفر الطوسي (ت ٤٦٠هـ) في قوله تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ... ولو شئنا لرفعناه بها ولكنّه أخلد إلى الأرض واتّبع هواه فمثله كمثل الكلب إنْ تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ... ﴾ [١] من قول البلخي : " هذا إخبار عن قدرته إنّه لو شاء لحال بينه وبين الكفر والارتداد ، وهو الذي نختاره ، لأنّا قد بيّنا أنّ المؤمن لا يجوز أنْ يرتدّ " [٢] ، وفي الآية تنزيه لله عن الظلم ، وعدم تجويز ذلك عليه بدليل المخالفة لقوله : ﴿ وأنفسهم كانوا يظلمون ﴾ [٣] فالظلم يقع من نفس الإنسان ، وهو غير جائز على الله تعالى [٤].

وكذا قوله تعالى : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسرابٍ ... فوفاه حِسَابَهُ والله سريعُ الحساب ﴾ [٥] الذي لمس فيه الجبائي صفات التنزيه لله تعالى إذ قال : " إنّه تعالى يحاسب الجميع في وقت واحد وذلك يدل على إنه لا يتكلم بآلة . وإنه ليس بجسم ، لأنّه لو كان متكلما بآلة لما تأتّى ذلك إلا في أزمان كثيرة " [٦] . " فالجبائي استفاد من سريع الحساب أنّه تعالى سريع المجازاة يحاسب النّاس بوقت واحد بكيفية لا تدرك . وفيه دلالة على أنّه لا يتكلم بجارحة ، وعدم وجود الجارحة يَدُلُّ على عدم جسميته ، فنفى باللازم التجسيم عنه تعالى وهو استخراج دقيق " [٧] .

وممّا استنبطه العلماء من التشبيهات ما أشار إليه الفخر الرازي من حرمة الشرك الخفي وإبطاله في قوله تعالى: ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت...﴾ [٨] ،إذ قال : " ولم يقل آلهة إشارة إلى إبطال الشرك الخفي أيضا . فإنّ من عَبَدَ الله رياءً فقد اتّخَذَ وليا غيره" [٩].

وقد تعمق اللغويون والنقاد والبلاغيون تشبيهات القرآن وأبرزوا مكانتها في تشكيل الصورة الفنية في القرآن الكريم ، وسيأتي تفصيل هذا في مواضعه لاحقاً . كما تنوعت المؤثرات التي تنازعتهم وهم يؤصلون للصورة التشبيهية في القرآن ، فبعضهم تأثر بالمنطق وعلم الكلام ،

---

[١] الأعراف ، الآيتان : ١٧٥- ١٧٦ .
[٢] التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي، ٥ / ٣٩ (تحقيق أحمد القصير ، المطبعة العلمية ، النجف الأشرف، ١٩٥٧م) .
[٣] الأعراف ، الآية ١٧٧ .
[٤] الصورة الفنية في المثل القرآني، د. محمد الصغير، ص٣٧٦ (دار الهادي – بيروت ، ط١، ١٩٩٢م) .
[٥] النور ، الآية ٣٩ .
[٦] التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي ، ٧ / ٤٤٣ .
[٧] الصورة الفنية ، د. محمد الصغير ، ص٣٧٧ .
[٨] العنكبوت ، الآية ٤١ .
[٩] تفسير الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ٦ / ٦٧٣ (قدم له فضيلة الشيخ خليل محي الدين الميس ، دار الفكر – بيروت ، طبعة جديدة ، ١٩٩٥م).

وآخرون تأثروا المقولات الفلسفية ، وسيطر الذوق الأدبي على بعضهم ، وبقي آخـــرون فـــي إسار الدلالة المعجمية اللغوية . لكن النظرة ضاقت مع هيمنة النزعة المنطقية علـــى البلاغـــة على يد متأخري البلاغيين أمثال السكاكي والقزويني وشراح التلخيص ، الذين كانت نظـــرتهم للصورة التشبيهية في القرآن جزئية وضيقة وسطحية أحيانا ، ولم ينظروا إليهـــا مـــن خـــلال ارتباطها العضوي الوثيق بالسياق .

الفصل الثاني

تواليف تراثية مستقلة في تشبيهات القرآن الكريم

١. " الأمثال من الكتاب والسنة ",للحكيم الترمذي.

٢. " الجمان في تشبيهات القرآن "، لابن ناقيا البغدادي.

٣. " الأمثال في القرآن الكريم "، لابن قيم الجوزية.

تواليف تراثية مستقلة في تشبيهات القرآن

تناولت كتب التراث التشبيهات بشكل عام عناوين لمؤلفات مستقلة ، بعضها لم يخصصه مؤلفه بنوع ما ، ولم يقيده بمكان أو زمان نحو " كتاب التشبيهات " لابن أبـــي عون (ت سنة ٣٢٢هـــ)، ولعله أول من خصَّص كتابا عاما في موضوع التشبيهات ؛ قسم فيه تشبيهات الشعر العربي ، بعصوره المختلفة ، ثلاثة أقسام : المثل السائر ، والاستعارة الغريبة، والتشبيه النادر ، ورأى أن أجلّ هذه الأقسام هو التشبيه ، وأبان مزاياه .

بدأ كتابه بتشبيهات خالق الأشياء، جلَّ وعزَّ ،في كتابه[1] ، وجعلها كالمقدمة لكتابه ، إلا أنها كانت ملاحظة عامة ، قسم فيها تشبيهات القرآن صنفين :

أ. تشبيه الأشخاص : ومثل له بقوله تعالى : ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ [2]، وقولـــه : ﴿ كأنَّهُنَّ الياقوت والمرجان ﴾[3]، وقوله: ﴿ كأنَّهُنَّ بيض مكنون ﴾[4] ، وقوله : ﴿ طلعها كأنَّه رؤوس الشياطين ﴾ [5].

ب. تشبيه الأفعال: ومثل له بقوله تعالى: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً ﴾[6]، وقولـــه : ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرمادٍ اشتدت به الريح في يوم عاصف ﴾[7]. واقتصر على هذا القدر للانتقال بعد ذلك إلى موضوعاته الشعرية .

وتأثر محمد بن الكتاني الطبيب (ت ٤٢٠هـــ) بابن أبي عون فألف (كتاب التشبيهات من أشعار الأندلس) قصره على بيئة الأندلس ،لكنَّه لم يعرض لتشبيهات القرآن البتة. وقد كثرت العناية بالتشبيه في آثار القدماء وأفردت فيه، منها كتاب لحمزة بن الحسن، وكتاب "روائع التوجيهات في بدائع التشبيهات" لنصر بن يعقوب، الذي ألف أيضا كتاب " ثمار الأنس في تشبيهات الفرس " [8] ، وكلها فـــي القرن الرابـــع ، وأفرد ابن أبـــي عصرون الكنجـــي

---

[1] كتاب التشبيهات،ص٢.
[2] يس ، الآية ٣٩ .
[3] الرحمن ، الآية ٥٨ .
[4] الصافات ، الآية ٤٩ .
[5] الصافات ، الآية ٦٥ .
[6] النور ، الآية ٣٩ .
[7] إبراهيم ، الآية ١٨ .
[8] تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، د. إحسان عباس ، ص١١٩(دار الشروق-عمّان ،١٩٩٧م) ، ويتيمة الدهر للثعالبـــي ، ٤/ ٣٨٩ – ٣٩٠ (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٥٦م) .

(ت١١٥٠ هـ) مصنفا في التشبيه هو " كتاب رشف النبيه من ثغر التشبيه " [1] .

أمّا الذي يعنيني في هذه الدراسة من كتب التراث ما تخصص في تشبيهات القرآن الكريم سواء بصورة مستقلة ، أم بصورة جزئية في باب من أبوابه ، وهو ما أعرض له في الفصول القادمة، أمّا هذا الفصل فقد خصص للمصنفات التي أفردت لتشبيهات القرآن الكريم .

[1] الكتاب مخطوط بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة ،رقمه العام ٢٧٦١ والخاص ٤١٦/٧٦ بلاغة ، وقام د .فريد النكلاوي بدراسة له نشرتهامطبعة الأمانة ـالقاهرة ،عام ١٩٨٦م (ينظر مقدمة دراسة النكلاوي،ص٩).

(١) " الأمثال من الكتاب والسنة " للحكيم الترمذي*

مؤلف الكتاب : هو أبو عبدالله محمد بن علي بن الحسن بن بشير الحكيم الترمذي . ولد في العشرة الأولى من القرن الثالث الهجري من عائلة تنتمي إلى الجنس العربي [١] , وهو صوفي سني عالم بالحديث والفقه, حنفي المذهب . ولد في ترمذ[٢] , ثم نفي منها حيث اتهمه أهلها بالسوء , ورموه بالقبيح والمنكرات وقد وصل الأمر إلى حد تكفيره ؛ لأنه ألف كتاباً في الإشارات الصوفية الباطنية .،وقال بعض المؤرخين أنه أدعى الكشف والولاية ، وقيل إنَّه قال : إنَّ الأولياء أكرم من الأنبياء وأفضل، وإنه ثمَّ خاتم الأولياء مثل خاتم الأنبياء .

يلحظ القارئ لكتابه (الأمثال) استعماله لكثير من مصطلحات الصوفية وإشاراتها.ذكر ابن حجر أن أهـل ترمذ هجـروه في آخر عمره لتأليـفه كتاب "ختم الولاية وعلل الشريعة "[٣].

اختلفت روايات المؤرخين في تاريخ وفاته فمنهم من قال إنَّه توفي سنة ٢٥٥هـ ، وقال بعضهم سنة ٢٨٥هـ [٤]. وأوردَ ابن حجر أنَّ الأنباري سَمِعَ منه سنة ٣١٨هـ[٥] ، وذهب إلى أنه " عاش إلى حدود العشرين وثلاث مائة "[٦]، ورجَّح هذا الزركلي، فذكر أنه توفي نحو سنة ٣٢٠ هـ[٧] .

تُعدّ مؤلفاته نحو ثلاثين مُصنَّـفاً بين مخطوط ومطبوع , منها هذا الكتاب. وله أيضًا : " غرس الموحدين " و " الرياضة وأدب النفس " و " المسائل المكنونة " و " بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب " و " نوادرُ الأصول في أحاديث الرَّسول " و " الفروق " ؛ يفرق فيه بين المداراة والمداهنة، والمحاجة والمجادلة ، والمناظرة والمغالبة والانتصار والانتقام ..

---

* حقق هذا الكتاب علي البجاوي ، وأعاد تحقيقه د. السيد الجميلي معتمدا كثيرا على التحقيق الأول ، واعتمدت,هنا, تحقيق علي البجاوي (دار التراث – القاهرة) .

(١) ينظر الحكيم الترمذي الفقيه الناقد ،كامل عويضة , دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ،١٩٩٣م. ودائرة المعارف الإسلامية ,٥/ ٢٢٧،وطبقات الشافعية الكبرى ،السبكي،٢/٢٠(تحقيق محمد الطناحي وعبد الفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية –القاهرة) .

(٢) ترمذ مدينة في جمهورية أوزبكستان حاليا؛ وهي إحدى دول آ سيا الوسطى التي كانت من الاتحاد السوفييتي سابقا.

(٣) لسان الميزان ، ٥ / ٣٠٨ (دار الكتاب الإسلامي – القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٠م) .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية ، ٥ / ٢٢٧ ، وينظر : الأعلام للزركلي ، ٦ / ٢٧٢ (دار العلم للملايين – بيروت ، ط١٠ ، ١٩٩٢م) .

(٥) لسان الميزان ، ٥ / ٣١٠ .

(٦) المصدر نفسه ، ٥ / ٣١٠ .

(٧) الأعلام ، ٦ / ٢٧٢.

الخ . و " غور الأمور " و "المنهيات" و " الصلاة ومقاصدها" و " الأكياس والمغترين " و " العقل والهوى " ورسالة " العلل " . ويعد الترمذي بحق رائد محيي الدين بن عربي الذي جاء بعده بثلاثة قرون فدرسه من كثب وأعجب به[1] . استقى الحكيم الترمذي مادة كتابه (الأمثال من الكتاب والسنة) من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة , ومن أقوال أعلام العلماء والبلغاء والحكماء ،وقسّمه ثلاثة أقسام :

١. الأمثال من القرآن .

٢. الأمثال من الحديث النبوي والأخبار .

٣. أمثال الحكماء , ويدخل فيها أمثال من عند الحكيم الترمذي نفسه .

جمع الحكيم الترمذي كثيرا من الأمثال القرآنية نماذج ، لكنه لم يحشدها جميعاً ، إذ لم يقصد الاستقصاء بدليل أنه ترك كثيراً منها ، ومن أمثال الأخبار . وكان يتخير الأمثال التي فيها عظة وعبرة ، وتعليم وفقه وحكمة وتدين ، وحاول أن يكون أثر كتابه عظيماً ، وعظاته أشمل.

وكان في تلك الأمثال كلها يدور في فلكِ القرآن و السنة النبويَّة ، و كان يدعم أمثالَ الحُكَمَاء و العلماء بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، ليعزِّز آراءه ، مِمَّا يَدُلّ على إيمان صحيح و رغبةٍ أكيدةٍ في محاولة الوصول إلى عقل القارئ والأخذِ بيده إلىالطريق المستقيم(٢).

يلحظ قارئ الكتاب أنّ مؤلفه بوّب تشبيهات القرآن الكريم وفق الموضوعات , و رتبها وفق و رودها في القرآن الكريم؛ فبدأ بمثل اليهود مع النبي صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم إياه ، (الآيات ١٤– ١٨ من سورة البقرة) فمثل المنافقين بتكذيب القرآن (الآية ١٩ من سورة البقرة)، فتشبيه قلوب الذين كفروا بالحجارة (الآية ٧٤ من سورة البقرة) ، ومثل محمد صلى الله عليه وسلم مع الكفار (الآية ١٧١ من سورة البقرة)، وهلم جرا .

وكان له فضلُ السَّبْق في التأليف في تشبيهات القرآن الكريم. ونهج منهجا فريدا في استعراضه لظاهرة خاصة في التعبيرعن المعاني , تعمد إلى ضرب الأمثال للإيضاح والبيان .وضمَّن الجزء الأول من كتابه الخاص بأمثال القرآن التشبيهات الآتية :

مثل المنافقين واليهود مع النبي صلى الله عليه وسلم[3] . شبه القرآن الكريم حال المنافقين واليهود مع النبي بالمستوقد نارا ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون الهدى. فالمنافق الذي تكلم بكلمة الإيمان مرائيا للناس له نور بمنزلة المستوقد نارا يمشي في ضوئها ما دامت تتقدُ ناره ، فإذا ترك الإيمان صار في ظلمة كمن أطفئت ناره .

---

[1] دائرة المعارف الإسلامية ، ٥ / ٢٢٧ ، والأعلام ، ٦ / ٢٧٢ .
[2] الأمثال من الكتاب والسنة ، مقدمه المحقق علي البجاوي ، ص٤.
[3] البقرة ، الآيات ١٤ – ٢٠ .

وكذلك اليهود استنصروا الرسول صلى الله عليه وسلم قبل خروجه، وطلبوا خروجه ليأمنوا من سيف الفرقة، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به[1] . وشبه حالهم مع القرآن كقوم نزلوا في فلاة ليلاً ، فجاءهم مطر شديد ،وشبه القرآن بالمطر ، والظلمات بالكفر ، والرعد بما خُوِّفوا به من الوعيد ، والبرق بالإيمان ، وهو النور الذي في القرآن يهتدي الناس ببيانه، كما يهتدي الناس في مثل تلك الليلة بالبرق .

شبه قلوب الكافرين بالحجارة[2]،وشبه الكافرين كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء، صم بكم عمي فهم لا يعقلون، أي لا يفهم معاني الكلام الذي يتعظ به[3]. فالكافر يسمع مواعظ القرآن ولا يعقل كالبهيمة ينعق الراعي بها فتسمع الصوت ولا تعقل ما يقال لها[4] . وشبه الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبةٍ أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم[5]،وشبهها أخرى ﴿ كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلهاضعفين﴾[6]؛ أي بستان في بقعة طيبة أصابه المطر الشديد فأخرج ثمره ضِعفين .وشبه الذي ينفق ماله رياء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر بالصفوان عليه تراب أصابه المطر الشديد ، فلا يبقى على ذلك الحجر شيء ، كذلك صدقة المشرك والمرائي الذي يحسن على الفقير ويؤذيه لا يحصل له شيء من الثواب يوم الجزاء[7] . وشبَّه نفقات الكافرين " كمثل ريح فيها صرّ أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته " أي كريح فيها برد شديد أصابت زرع قوم ظلمكوا أنفسهم لمنع حق الله عليهم فأحرقته[8] .

وشبَّه أعمال الكافرين ﴿ كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ﴾[9] ، وشبه الذي آتاه الله الآيات فانسلخ منها ﴿ كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ﴾[10] ، فالذي نزع منه

---

(1) الأمثال ، ص٥ – ٨ .
(2) البقرة ، الآية ٧٤ .
(3) الأمثال ، ص٩ .
(4) المصدر نفسه ، ص١٠ .
(5) البقرة ، الآية ٢٦١ .
(6) البقرة ، الآية ٢٦٥ .
(7) الأمثال ، ص١٣ ، والبقرة ، الآية ٢٦٤ .
(8) الأمثال ، ص١٤ ، وال عمران ، الآية ١١٧ .
(9) إبراهيم ، الآية ١٨ .
(10) الأعراف ، الآيتان ١٧٥،١٧٦ ، والأمثال ، ص١٧ .

العلم الذي كان يعلمه صار كالكلب ميت الفؤاد يخرج لسانه من التعب أو العطش سواء حملت عليه أم لم تحمل .

وشبه الحياة الدنيا ﴿.. كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو هاراً فجعلناهاحصيداً كأن لم تغن بالأمس،كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ﴾ [1].

وشبه الحق والباطل بالسيل الذي جرى في الأودية فكان منه ما ينفع الناس وكان الزبد الذي لا منفعة منه . وتقصى الحكيم الترمذي جوانب هذا التشبيه التمثيلي فقال : شبه القرآن بالماء لأن فيه منفعة الدين من الأحكام والشرائع ، كما أن في المطر منفعة الدنيا ، ثم شبه القلوب بالأودية لأنه وجد النور في القلب منفذاً ومجازاً ، كما وجد الماء في الأودية منفذاً ومجازاً ، ثم شبه القلوب بالسيل ، وشبه الباطل بالزبد ، فكل قلب لم يتفكر ولم يعتبر ولم يرغب في الحق خذله الله تعالى ، ووجدت الظلمة والهوى في قلبه منفذاً ومجازاً كما أن السيل وجد في الأودية منفذاً ومجازاً ، فلما خُذل هذا القلب احتمل الباطل كما احتمل السيل الزبد ، وإذا وجد القلب التوفيق فتفكر واعتبر احتمل الحق كما انتفع الناس من الماء الصافي ، فشبه الحق بالماء الصافي ، وشبه الباطل بالزبد[2] .

وعرض الحكيم الترمذي بمثل هذا الأسلوب لبعض تشبيهات القرآن الكريم كدعاء الكافرين[3] ، وأعمالهم[4] ، والكلمة الطيبة [5] ، والوثن الذي يعبدونه من دون الله[6]، وناقض العهد[7] ، وقلب المؤمن وأعماله وقلب الكافر وأعماله[8] ، وبيت العنكبوت[9] ، والشرك[10]، والمشرك[11]، والمنافقين مع يهود بني قريظة[12]، واليهود الذين حُمِّلوا التوراة[13].

والأمثال عنده نماذج الحكمة لما غاب عن الحواس ؛ لتهدي النفوس بما أدركت معاينة.فمن تدبير الله لعباده أن ضرب لهم الأمثال من أنفسهم،لحاجتهم إليها،ليعقلوا بها،فيدركوا ما غاب

---

(1) يونس ، الآية ٢٤ ، والأمثال ، ص١٨ .
(2) الأمثال ، ص١٩ – ٢٠ .
(3) الرعد ، الآية ١٤ ، والأمثال ، ص ٢٠ – ٢١ .
(4) إبراهيم ، الآية ١٨ ، والأمثال ،ص ٢١، و ص ٢٦ – ٢٧. والنور ، الآيتان ٣٩ – ٤٠ .
(5) إبراهيم ، الآيتان ٢٤ – ٢٥ ، والأمثال ،ص ٢١ .
(6) النحل ، الآية ٧٥ – ٧٦ ، والحج ، الآية ٧٣ ، والأمثال ،ص ٢٢ – ٢٥ .
(7) النحل ، الآيتان ٩٢ ، ٩٤ ، والأمثال ،ص ٢٣ – ٢٤ .
(8) النور ، الآية ٣٥ ، والأمثال ، ص ٢٥ – ٢٦ .
(9) العنكبوت ، الآية ٤١ ، والأمثال ، ص ٢٧ – ٢٨ .
(10) الروم ، الآية ٢٨ ، والأمثال ، ص٢٨ ..
(11) الزمر ، الآية ٢٩ ، والأمثال ، ص٢٩.
(12) الحشر ، الآية ١٦ ، والأمثال ، ص ٢٩ – ٣٠.
(13) الجمعة ، الآية ٥ ، والأمثال ، ص٣٠ .

عن أبصارهم و أسماعهم الظاهرة؛فمن عقل الأمثال سمّاه الله تعالى في كتابه عالما [1] ؛ لقوله تعالى:﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ [2] .

وحديثه عن الأمثال القرآنية على أنها مرآة النفس ،وعن أنوار الصفات على أنها مرآة القلب ،و أن الله،سبحانه و تعالى،جعل على الأفئدة أسماعا و أبصارا هو مما يرد عند فلاسفة الصوفية في حديثهم عن النفس و القلب و العقل و الروح،و تبيانهم لدرجات المعرفة القلبية و أنوار الرحمة و الرأفة والجود و المجد و العطاء و الإرادة و الهيبةو الوحدانية و الفردية و الكبرياء و المعرفة و العرش و الكرسي و الملك والملكوت [3] .

و يحسن له عدم الميل إلى الرمز و الإشارة، كما هي عادة شيوخ الصوفية في عصره أمثال المحاسبي و الجنيد و الحلاج . وعلى الرغم من ذلك يجلي أسلوبه في الكتاب مسلكه الصوفي في إستعماله لبعض المصطلحات ،فالقارىء تفسيره لآيات التشبيهات يدرك عمقا في الفكر يشي بسعة ثقافة ظهرت في مصنفاته و أثّرت في لاحقيه من المفسرين و البلغاء، لا سيما علماء الصوفية كابن عربي و الغزالي،نحو قوله:"وإن النفس مستقرها في الجوف، و القلب مستقره في الصدر فوق النفس،فالقلب كدلو معلق في الصدر بعروقه و ما فيه من المكنون ؛وتحته النفس ،وفيها الشهوات،و الهوى ريح من تنفس النار خرجت إلى محل الشهوات بباب النار،و احتملت نسيمها و أفراحها حتى أوردتها على النفس ،فإذا هبّت ريح الهوى بأمر ،و جاءت بذلك النسيم و الفرح إلى النفس ،تحركت النفس و فارت، و دبّ في العروق طيبها و لذتها في أسرع من اللحظة،فإذا أخذت النفس في التذبذب و التمايل و الاهتشاش إلى ما تصور و تمثل لها في الصدر تحرك القلب و تمايل هكذا و هكذا من وصول تلك اللذة إليه ،فإذا لم يكن في القلب يثقله و يسكنه مال إلى الناس فانفقا و انسقا على تلك الشهوات ، فإن كانت تلك منهـيـّا عنها، فبرز إلى الأركان فعلها فصارت معصية و ذنبا.و إنّما يثقل القلب بالعلم بالله لأن العلم بالله يورث الخشية،فإذا تأدّت تلك الخشية إلى النفس ذبلت و تركت التردد ،فاستقر القلب ...و القلب موقن بالله بيقين التوحيد فإذا جاءت نوائب الأمور استقر القلب بذلك اليقين لأنه ليس في القلب شهوة،وتذبذبت النفس ،و ترددت بالشهوة التي فيها .فاذا ضربت لها الأمثال صار ذلك الأمر لها بذلك المثل كالمعاينة،كالذي ينظر في المرآة فيبصر فيها وجهه،و

---

[1] الأمثال ،ص٢.

[2] العنكبوت ،الآية ٤٣.

[3] الأمثال ، ص٢ ، ١٦٩ ،٣٢٧، ١٧٠ ،٣٢٨ و الحكيم الترمذي الفقيه الناقد ، كامل عويضة ، ص١٨١ – ١٨٢ .

يبصر بها من خلفه ،لأنّ ذلك المثل قد عاينه ببصر الرأس، فإذا عاين هذا أدرك ذلك الذي غاب عنه بهذا ؛ فسكنت النفس،و انقادت للقلب ،و استقرت تحت القلب في معدنها ؛فهي كالعماد لسطح البيت ؛ فإذا تحرك العماد تحرك السطح و انهار و تبدد العمادُ" [1] .

[1] الأمثال ، ص٣-٤ .

- الجمان في تشبيهات القرآن لابن ناقيا البغدادي (٤١٠ - ٤٨٥هـ)

مؤلف هذا الكتاب من علماء القرن الخامس الهجري . هو أبو القاسم عبدالله ، وقيل عبد الباقي بن محمد بن الحسين بن داود . كان نبطي الأجداد ، ولد في محلة ببغداد تسمى (الحريم الطاهريّ) تطل على دجلة من الجانب الغربي ، وكان متنوع المعرفة ، شاعراً وناقداً ، ولغوياً وأديباً مترسلاً ، له مصنفات كثيرة ، منها ديوان شعر كبير ، وديوان رسائل .شرح كتاب الفصيح لثعلب ، واختصر الأغاني في مجلد واحد ، وله مقالة في التعطيل ذهب فيها مذهب الأوائل ، ذكرها القفطي وابن خلكان والذهبي والصفدي وابن قاضي شهبة والسيوطي والداوودي , وله مقامات أدبية مشهورة[١]. توفي بباب الشام ببغداد[٢] . كان كثير المجون ، وحكى الذي تولى غسله بعد موته أنه وجد يده اليسرى مضمومة، فاجتهد حتى فتحها ، فوجد فيها كتابة بعضها على بعض ، فتمهل حتى قرأها ، فإذا فيها :

نزلتُ بجارٍ لا يُخَيِّبُ ضَيفَـهُ ... أرجي نجاتي من عذابِ جَهَنمْ

وإني على خوفٍ من الله واثق ... بإنعامه والله أكـرم مُنْعِـمْ[٣]

يعد ابن ناقيا أول مصنف افرد تشبيهات القرآن في كتاب مستقل، وإن لم يكن " الجمان " أول كتاب يبحث في تشبيهات كتاب الله العزيز، فقد سبقه الحكيم الترمذي كما أسلفنا، لكنه أورد بالاضافة إلى تشبيهات القرآن تشبيهات الحديث النبوي والأخبار وتشبيهات له ولغيره من الحكماء .

وأكد هذا التفرد مصنف الجمان نفسه بقوله " هذا ما أدى إليه الوسع من تأليف هذا الكتاب , وإن كُنَّا غير مسبوقين إلى إذاعة سره , وافتضاض عُذره , واجتناء ثمره على كثرة ما ألفَ السَّلفُ من الكتبِ في أنواعِ علوم القرآن ، ولم يُفرد لهذا النوع كتاباً ولم يفتحوا إلى القول فيه باباً "[٤]. وأكد السيوطي هذا أيضاً بقوله : " وقد أفرد تشبيهات القرآن بالتصنيف أبو القاسم بن البندار البغدادي في كتاب سماه الجمان "[٥]. وقد تتكب الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة

---

(١) انظر بغية الوعاة، جلال الدين السيوطي،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،٢/ ٦٧ (ط ٢، دار الفكر، ١٩٧٩م) ووفيات الأعيان لابن خلكان،٢ / ٢٨٤، ومقدمة محقق الجمان د.الجويني ؛ ص ٢٦.

(٢) بغية الوعاة ، ٢ / ٦٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ٢ / ٦٧ .

(٤) الجمان لابن ناقيا، تحقيق مصطفى الصاوي الجويني، ص ٣٤٩ (منشأة المعارف – الإسكندرية، د. ت) . وهذا التحقيق هو الذي سأعتمده في إحالات هذه الدراسة .

(٥) الإتقان فـــي علوم القرآن ، ٣ / ١٢٨ .

خديجةالحديثي الدقة حين قالا عن الجمان " أول كتاب يبحث في تشبيهات كتاب الله العزيز"[1].

وكان الدكتور مصطفى الجويني أدقّ وأكثر احترازا حين ذهب إلى أن " صاحبنا ابن ناقيا هو وحده الذي تفرد في المكتبة العربية بتأليف كتابه الجمان في تشبيهات القرآن، أو إن أردنا الاحتراز العلميفأنه لم تصلنا رواية أومعاينة مؤلف في التشبيه القرآني قبل كتاب بن ناقيا"[2] ، أو أن له قصب الريادة بالتصنيف المستقل في تشبيهات القرآن ، في حين كان غيره يدمجها مع تشبيهات أخرى أو مع سائر فنون البيان .

بدأ ابن ناقيا كتابه بمقدمة قصيرة استهلها بحمد الله والصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وتحدث فيها باختصار عن قيمة التشبيه البلاغية ، وأنواعه وأدواته فقال : " التشبيهات نوع مستحسن من أنواع البلاغة ، وقد ورد منه في كتاب الله تعالى ما نحن ذاكروه في هذا الكتاب وذاهبون إلى إيضاح معانيه والتنبيه على مكان الفضيلة فيه .

ونقول في كيفية التشبيه : إن الشيء يشبه بالشيء تارة في صورته وشكله ، وتارة في حركته وفعله ، وتارة في لونه ونجره، وتارة في سوسه وطبعه وكل منهما متحد بذاته واقع من بعض جهاته ، ولذلك يَصِحُ تشبيه الجسم بالجسم ، والعرض بالجسم ، والجسم بالعرض ، والعرض بالعرض.

وللتشبيه أدوات منها الكاف ، وكأن ، ومثل ، وشبيه ، ونحو ذلك . وربما استغنى عن هذه الأدوات بالمصدر ، نحو خرج خروج القرح ، وطلع طلوع النجم ، ومرق مروق السهم . ولا يكثر مثل هذا في التنزيل ، وإنما عامة التشبيهات هناك مقرونة بالأدوات "[3] .

تحدث ابن ناقيا في مقدمة كتابه عن فضل التشبيه ومكانته البلاغية فهو من أنواع البلاغة المستحسنة ، وبين الكيفية التي يقع فيها التشبيه ، وأشار إلى أنّه يقع في جهة من الجهات، فلا يشترط فيه اتحاد طرفيه . وتحدث عن أدوات التشبيه، وعن التشبيه المصدري، وأكد ورود التشبيهات في القرآن وعزمه على إيضاح معانيها وكشف جمالياتها.

---

[1] الجمان في تشبيهات القرآن ، تحقيق د.أحمد مطلوب و د. خديجة الحديثي ، ص٣١ (دار الجمهورية – بغداد ، ١٩٦٨م) .

[2] الجمان بتحقيق مصطفى الصاوي الجويني، ص ٣٤ .

[3] الجمان،ص٦٣ .والنِجر والنجار الطبيعة والأصل ، والسوس أيضا الأصل والطبيعة.

موضوعات الجمان ومنهج مؤلفه ومعاييره النقدية :

تناول ابن ناقيا سبعا وثلاثين سورة ، ذكر فيها ستا وخمسين من تشبيهات القرآن ، مرتبة بترتيب سوره وآياته ، ابتدأها بسورة البقرة وانتهى بسورة الفيل . وإذا كان قد سمّى كتابه " الجمان في تشبيهات القرآن " والجمان لغة جمع جمانة وهي حبة من فضة تعمل على شكل لؤلؤ, وقد يسمى به اللؤلؤ[1] فيجب أن نؤكد أنه لم يعرض لكلّ التشبيهات أو جُلّها . بل أقتصر على شرح بعض نماذجها وقدم لها تحليلات طريفة . إنّ ما ذهب إليه أحمد مطلوب وخديجة الحديثي من أن ابن ناقيا كان يقف عند كل آية فيها تشبيه قول تعوزه الدقة العلمية ؛ لأنّ مواطن التشبيه في كتاب الله كثيرة، ولم يعرض ابن ناقيا لها جميعا، بل اقتصر على بعضها فهو " لم يذكر التشبيهات في سورتي النساء والمائدة، ولكنه قد يذكر بعض التشبيهات من السور التي لم يفرد لها بحثا في مواطن أخرى تستدعي ذكرها،وهذا طبعا عيب منهجي"[2].

إنّ كتاب الجمان ، وإن كان موضوعه الرئيس فرائد التشبيهات القرآنية، لم يقتصر عليها ، إنما أختارها " نواة نبتت منها كثير من الدراسات التي تدل على ثقافة واسعة، ومعرفة عميقة باللغة والأدب ومادة غزيرة من الروائع المنثورة ، ولذلك يمكن عد هذا الكتاب كتاب أدب بالمعنى الواسع لهذا الأدب ، وهو الثقافة المتنوعة في علوم اللغة والأدب ، ويمكن أن يقال إن هذا الكتاب يُعد موسوعة أدبية رائعة بث فيها المؤلف آيات معرفته العميقة بالقراءات والتأويل والنحو والاشتقاق والأدب والتاريخ والقصص"[3]. واتبع المصنف في الجمان منهجا نقديا تطبيقيا ، إذ كان يبدأ بذكر الآية التي ورد فيها التشبيه ، ثم يعمد إلى تفسير المعنى القرآني فيها ، ثم يستشهد بعيون الشعر الذي ورد فيه مثل ذلك التشبيه فيورده منسوبا إلى أصحابه في أغلب الأحايين ، وما يزال ينتقل من شاعر إلى آخر حتى يكاد يستقصي جميع الشعراء الذين عرضوا لذلك التشبيه واضعا أمام القارئ صورة واسعة وشاملة لتناول الشعراء لهذا المعنى ، موازنا بينهم ، محللا لأشعارهم أحيانا ، ومكتفيا بالعرض دون تحليل أحيانا أخرى ومشيرا إلى قصور بعضهم وتفوق آخرين ، لكنّهم جميعا لم يستطيعوا مداناة تشبيهات القرآن الكريم في سمو صورتها وإشراقها وإيجاز عباراتها وإحكام معانيها ، ممّا يثبت إعجاز القرآن وتفرد تشبيهاته وعلو مرتبتها البيانية وتفوقها البلاغي . وكان ابن ناقيا أراد أن يبرز أن القرآن

---

(1) أساس البلاغة ، الزمخشري ، (جمن) (تحقيق عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة– بيروت ، د.ت) .
(2) الجمان بتحقيق الصاوي الجويني ، ص٥٨ .
(3) البيان العربي ، د. بدوي طبانه ، ص ٦١ – ٦٢ (دار المنارة – جدة ، ط٧ ، ١٩٨٨م) .

الكريم ، وإن كان معجزا ، فقد نزل بلغة العرب وعلى مقتضى طرائقهم في إيراد التشبيهات وسائر فنون البلاغة القرآنية ، ولم يخرج على أساليبهم في الكلام إمعانا في التحدي والإعجاز. لذا حشد كثيرا من أشعار الجاهلية المشابهة للتشبيهات التي يعالجها ، وكان يتعمد بيان مدى تأثر الشعراء المسلمين بالتشبيهات القرآنية في محاولتهم محاكاتها واحتذاء سمتها[1]. مؤكدا التفاوت الظاهر بين الشعر والقرآن مما لا يخفى على ذي لب إذا أسهمهما نظره وعاطاهما تأمله[2] .

من السمات الظاهرة في منهج ابن ناقيا ظاهرة اقتران النظائر في التشبيهات القرآنية ، فهو يقرن كل تشبيه ونظيره ليزيد المعنى وضوحا وجلاءً ، دون أن يعلق عليها أو يلتفت إلى أسرار تنوعها والفروق الدقيقة التي بينها. يقول مثلاً في تشبيه الموج في القرآن : " قوله عز وجل ﴿ وهي تجري بهم في موج كالجبال ﴾[3] ، الجري مرٌ سريع كمر الماء على وجه الأرض والسفينة تجري بالماء والفرس يجري في عدوه ... والموج جمع موجه وهي القطعة العظيمة ترتفع عن جملة الماء الكثير، وأعظم ما يكون ذلك إذا اشتدت الريح فدل التشبيه على عظم شأن الأمر من حال الماء وتطبيقه الأرض ومن ملابسة الرياح له ومن ذكر الاعتبار بجري السفينة في هذه الأحوال وناب لفظه مع اختصاره عن شرح كثير. ونحو هذا التشبيه قوله تعالى في سورة أخرى : ﴿ فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ﴾ [4] " [5].

كان ابن ناقيا يورد التشبيهات المتشابهة أحيانا دون تعليق أو موازنة بينها ، فبعد أن ذكر تشبيه سورة الشعراء أعلاه نظيرا لتشبيه سورة هود ، ولم يفسر معانيه ، ولم يعلق عليه، أورد تشبيها آخر مناظرا بقوله : " وقد ورد في التنزيل في صفة موج البحر بالعظم والارتفاع تشبيه آخر ، وهو قوله تعالى في سورة لقمان ﴿ وإذا غشيهم موج كالظلل ﴾[6] لأن موج البحر يعظم فيصير كالظلل في ارتفاعه، وتغطيته ما تحته"[7] .

وكان أحيانا أخرى يقرن بين التشبيهات المتناظرة ، ويعلق عليها معًا . يقول : قوله عزّ و جلّ : ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون

---

[1] انظر الجمان ، مقدمة المحققين محمد رضوان الداية وعدنان زرزور .
[2] الجمان بتحقيق الصاوي الجويني ، ص٧١ .
[3] هود ، الآية ٤٣ .
[4] الشعراء ، الآية ٦٣ .
[5] الجمان ، ص١٢٦ .
[6] لقمان ، الآية ٣٢ .
[7] الجمان ، ص ١٢٨ .

ممّا كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد ﴾[1]... ، والتشبيه في هذه الآية كالتشبيه في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمَنّ والأذى ... ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ كمثل صفوان عليه تراب ﴾[2] . فبين أن أعمال الذين كفروا في ذهابها وإحباطها ، كرماد ذهبت به الريح في يوم عصفها ، وكذلك بيَّن أن العمل يبطل بالمَنّ والأذى كما يبطل بالرياء ، وكما يذهب الوابل التراب عن الصفا[3] .

هذا يبين لنا أن التقسيمات المختلفة لتشبيهات القرآن سواء حسب السور التي وردت فيها أم موضوعات هذه التشبيهات أم اشتراكها في المشبه أو المشبه به إنما هي تقسيمات ظاهرية يهدف المصنفون والدارسون منها تسهيل دراسة التشبيهات القرآنية وتحليلها مع إدراكهم أنها متلاحمة متعاضدة متراحمة يؤكد بعضها بعضا , ولا يمكن إقامة حواجز تفصل بينها إلا لأغراض الدراسة والموازنة والتحليل[4] .

وكان ابن ناقيا يقرن ، أحيانا ، بين آيتين أولاهما ورد فيها المعنى عن طريق التشبيه والأخرى ورد المعنى فيها على الظاهر , على النحو الذي فعله حين قرن قوله تعالى ﴿ وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنّها جان ولّى مدبرا ولم يُعَقّب ﴾[5] الذي جاء فيه تشبيه العصا باهتزازها وخفة حركتها وسرعتها بالجان في صورة الثعبان, بقوله تعالى : ﴿ فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ﴾[6] التي جاء فيها المعنى نفسه على الحقيقة[7] .

وكان يعمد أحيانا إلى قرن النظائر في التشبيهات القرآنية لاشتراكها في المشبه به[8] ، كما فعل حين عرض للتشبيه في قوله تعالى : ﴿ وحورٌ عين كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ [9] .قال:"ونظير التشبيه في الآية قوله تعالى في موضع آخر : ﴿ ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ منثور﴾[10] وقولــه أيضا ﴿ ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورًا﴾[11].

---

(1) إبراهيم ، الآية ١٨ .
(2) البقرة ، الآية ٢٦٤ .
(3) الجمان ، ص ١٣٠ .
(4) أسرار التنوع في تشبيهات القرآن الكريم ، ملك حسن بخش ، ص٢٠ (دار المجتمع – جدة ، ط١ ، ١٩٩٣م) .
(5) القصص ، الآية ٣٠ .
(6) الأعراف ، الآية ١٠٧ .
(7) الجمان ، ص١٧٣ – ١٧٤ .
(8) الجمان ، ص ٢٩٥ ، ٣٠١ .
(9) الواقعة ، الآية ٢٣ .
(10) الطور ، الآية ٢٤ .
(11) الإنسان ، الآية ١٩ .

تطرّق ابن ناقيا إلى موضوعات تصور الطبيعة والإنسان والحيوان والنبات وجوانب الحياة المختلفة من خلال تحليله لتشبيهات القرآن ، ودأبَ فيها على الموازنة بين معانيها وما تحمل من صور بأبيات من الشعر في الكواكب والنجوم والنور والضياء ، والنخل والخمرة وأوانيها ، وما يواجهه الإنسان من مظاهر الطبيعة القاسية . وكان موفقاً في تخيره للنماذج الشعرية التي يوازنها بتشبيهات القرآن يقول : " قوله عز وجل : ﴿ إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر ، تنزع الناس كأنهم أعجاز نخلٍ منقعر ﴾[1] ، كأنهم هاهنا موضع الحال , المعنى تنزع الناس مشبهين النخل المنقعر؛ وهو المقطوع من أصوله . وكانت الريح تكبّهم على وجوههم , والنخل يُذكّر ويؤنّث يقال هذا نخل وهذه نخل فقال منقعر على التذكير ,وقوله في سورة الحاقة ﴿ فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ﴾[2] ، على التأنيث والهاء في قوله فيها عائدة على الريح التي أهلكتهم وقوله أعجاز نخل أي أصول نخل ومما جاء في الشعر في نحو هذا التشبيه على تفاوت الموازنة بينه وبين لفظ القرآن وانحطاطه إلى حال الهجنه واللكنة بالقياس إلى تلك الفصاحة قول إمرى القيس :

حتى تركناهمْ لدىَ مَعْرَك أرْجُلُهُمْ كالخَشبِ الشائِلِ[3]

وقال آخر : كأنهم خشب بالقاع منجدل .

ونظم يحيى بن خالد لفظ القرآن في شعر كتبه إلى الرشيد حين نكب البرامكة ، فقال يخاطبه ويذكر حالهم :

عمتهم لك سخطه لم تبقِ منـــهم باقية

فكأنهم ممًا بهم أعجاز نخل خاوية

فاجابه الرشيد ﴿ وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة ... ﴾[4]، وأما قوله تعالـــى﴿ إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا .. ﴾ ، فالصرصر الشديدة البرد جداً ، قال الشاعر يذكر رجلاً :

يصفقه أنف من الريح بارد ونكباء ليل من جمادى وصرصر

والأصل صرٌ وصرصر متكرر البرد كما تقول صرٌ الشيء وصلٌ إذا سمعت صوته غير مكرّر فإذا أردت الصوت تكرر قلت صرصر وصلصل"[5] .

---

(1) القمر ، الآيتان ١٩ – ٢٠ .

(2) الحاقة ، الآية ٧ .

(3) الشائل : المرتفع ، والمقصود بالبيت أي تركناهم مشبهة أرجلهم الخشب لملقى شيئاً على شيء . ينظر شرح ديوان امرئ القيس للحضرمي ، ص٢٠١ (تحقيق د. أنور أبو سويلم ، ود. علي الهروط ، دار عمار ، عمان – الأردن ، ط١ ، ١٩٩١م).

(4) النحل ، الآية ٧ .

(5) الجمان ، ص٢٨٠ – ٢٨١ .

و ذكر ابن ناقيا في صدد توضيحه للتشبيه في قوله تعالى ﴿ محمد رسول الله والذين ... مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخــرج شطــأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ... ﴾[1] أن الشعراء نقلوا أوصاف النبات والشجر إلى أوصاف الناس لوقوع المناسبة بين الحالين، وكذلك فعلوا في الأسماء فنقلوا كثيراً من أسماء النبات والشجر تشبيها بها كأرطاة وبشامة وثمامة وحرملة وحمزة ومسلمة وسلامة وعرفج وشقيق وعلقمة وطلحة والأترجة والريحانة والأرزة والحنظلة وغيرها[2] .

وقد تأثر ابن ناقيا بسلفه من الذين كتبوا في التشبيهات ، فنراه يورد أبياتاً من الشعر في الطبيعة والإنسان والضياء والنور والخمرة والكواكب وردت عند ابن أبي عون في كتاب التشبيهات[3] . ويبدو تأثره بمنهج الباقلاني (ت سنة ٤٠٣هـ) واضحاً في موازنته بين القرآن والشعر للتدليل على إعجاز النظم القرآني وإن كان أكثر توفيقاً منه في موازنته الأدبية لِسَعَةِ باعِهِ في الأدب والنقد ولتجنبه التأثر بتطرف الملاحده المعادين للقرآن . ونقلت الموازنات المطردة بين القرآن والشعر ابن ناقيا إلى التوصل إلى أن الشعراء أفادوا من تشبيهات القرآن الكريم واستلهموها معاني ومباني وأتكأوا عليها. لذا فهو يرى أنَّ السرقة الشعرية لا تقتصرُ على سطو الشاعر على الشاعر ، إنما تتعدى ذلك إلى الاتكاء على المعنى القرآني واستراقه ولم يتبع في هذا مذهب أبي هلال في (حسن الأخذ) الذي يرى أنَّ المعاني حق مشترك بين الناس جميعا[4]. ويمكن أن يؤخذ عليه أنه تقوقع في إطار المفهوم التقليدي للسرقة ولم يشر إلى قضية الإبداع في تشكيل الصورة أو تغيرها وبقيت نظرته في ضوء السبق في طرق المعنى واتكاء اللاحق على السابق . يعقب على قوله تعالى : ﴿ كلما أضَاءَ لهم مَشوا فيه وإذا أظلمَ عليهم قامُوا ﴾[5]. بقوله نظر أعْرَابيٌّ إلى هذا المعنى من قولِهِ تعالى، فقال:

بليلٍ بهــيمٍ كـُلمَّا قـلت غَـورت ... كَواكِبُــه عَادت فمــا تتــزيَّلُ

به الركب إما اومض البرق يمَّموا ... وإن لم يلح فالقومُ بالسير جُهَّل

---

(١) الفتح ، الآية ٢٩ .
(٢) الجمان ، ص٢٦٥ –٢٧٤ .
(٣) الجمان : ٣٦٥ – ٣٦٩ ، والتشبيهات لابن أبي عون : ٨٤ ، ١٧٣ ، ١٨٧ ، ١٨٨ .
(٤) كتاب الصناعتين ، ص١٧٦ ، ٢٢٥ . وللوقوف على آراء النقاد في القضية ينظر : مصطلحات نقدية من التراث الأدبي ، محمد عزام ، ص٢٧٩ – ٣٠٠ (منشورات وزارة الثقافة – دمشق ، ١٩٩٥م) .
(٥) البقرة ، الآية ٢٠ .

وبين هذا ولفظ التنزيل من التفاوت ما هو ظاهرٌ ظهوراً شديداً لا يخفى على ذي لب إذا أسهمهما نظره ، وعاطاهما تأمله .

وأخذ المعنى أبونواس فنحله ، ووصف الخمر فقال وأطال ، وإن كان محسنا :

وسيَّارة ضلَّت عن القصدِ بَعدما ... تَرادفهم جنح من الليل مظلم

فلاحت لهم منا على البعد قهوة ... كأنَّ سناها ضَوء نار تضرمُ

إذا ما حسوناها أقاموا مكانهم ... وإن مزجت حثوا الركاب ويمموا

وكرر المعنى فقال :

فعلت في البيت إذ مزجت ... مثل فعل الصبح في الظلم

فاهتدى ساري الظلام بها ... كاهتداء السفر بالعلم "[1]

ويبدو تأثره بالثعالبي (ت٤٢٩هـ) الذي ذكر هذه الموازنات في كتابه " الاقتباس من القرآن الكريم "[2] . والذي يميل إليه الخاطر أن التأثر بتشبيهات القرآن الكريم، واستعمالها أداة في التصوير الأدبي، لا يُعَدُّ في باب السرقة أو الاختلاس ؛ وإنما يمكن عَدُّه في باب ما يسميه أستاذي الدكتور يوسف بكار " التناص النسغي " ذا الفاعلية الفائقة في نسغ النص الذي يستضيفه ، لأنَّه ضرب من التمرس الفني بمصطلح " الاقتباس " البلاغي[3] ؛ يحس المبدع فيه أنَّ الاستشهاد بالآية القرآنية بنصها يعبر بأحسن الطرق عما يريد أن يقوله ، وإلا فهو يحورها لتلائم تدفق النص عنده[4] .

وكان ابن ناقيا لا يقتصر على ذكر التشبيه وبيان دوره في بلورة المعنى الذي تتحدث عنه الآية أو الآيات ، لكنه تعدّى أركان التشبيه إلى غيرها من ألفاظ الآية ليبين أثرها في إبراز المعنى واكتمال الصورة ، لأنه ينظر إلى التشبيه أحيانا من خلال نظرية النظم التي تبلورت على يدي معاصره عبد القاهر الجرجاني ، إذ يُعدُّ التشبيه فيها من أبدع طرق التصوير الفني ، وأبرز أنماط مقتضيات النظم التي هي مناط الإعجاز ، لذا فكل لفظة في التشبيه تؤدي دوراً لا يستغنى عنه ولا يؤدى بدونها . لهذا كله لا نستطيع أن نخرج التشبيهات القرآنية عن سياقاتها العضوية في لحمة النظم القرآني المعجز ، وإن كان ابن ناقيا يردد عبارات تشي بأنه كان يؤيد

---

(1) الجمان ، ص٧١ .

(2) الاقتباس من القرآن الكريم ، الثعالبي ، ٢ / ١٦٤ – ١٦٥ (تحقيق د. ابتسام الصفار ، و د. مجاهد بهجت، دار الوفاء – بغداد ، ط١ ، ١٩٩٢م) .

(3) العين البصيرة ، د. يوسف بكار ، ص٢٢ (سلسلة كتاب الرياض ، العدد ٨٦ ، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض ، ٢٠٠١م) .

(4) المرجع نفسه ، ص٢٩ – ٣٠ .

القائلين بإعجاز القرآن بالصرفة كما سنرى لاحقاً ، وكان ابن ناقيا بعد ذكره التشبيه وإيضاح معاني ألفاظه في اللغة ، يستطرد إلى القراءات والأحكام النحوية أحياناً[1] . كما سنرى في النموذج التطبيقي الآتي ؛ الذي يعد من أثر الثقافة الأدبية في خدمة القرآن الكريم .

نموذج تطبيقي على منهج ابن ناقيا في الجمان :

استهل ابن ناقيا الجمان بتشبيهات سورة البقرة فقال : " قوله عز وجل : ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ﴾[2] .معنى قست أي غلظت ويبست وعَسَت ، فكأن القسوة في القلب ذهاب اللين منه ، والرحمة والخشوع ، والرقة ومعنى قوله " من بعد ذلك " يريد من بعد إحياء الميت لكم بعضو من أعضاء البقرة ، أي هذه آية عظيمة كان يجب على شاهدها أن يلين قلبه ويخضع ... ويجوز في قوله " فهي كالحجارة " إسكان الهاء، لأن الفاء مع " هي " جعلت الكلمة بمنزلة فخذ " فحذف منها الكسرة استثقالاً ... ومن قرأ " أشد قسوة " رفع بإضمار هي كأنه قال " أو هي أشد قسوة " ومن نصب فهو خفض في الأصل بمعنى الكاف ولكنه على وزن أفعل لا ينصرف للصفة ووزن الفعل ففتح وهو في موضع جر. وإنّما شبه الله عز وجل قلوبهم في القسوة بالحجارة ، لأن الحجارة هي غاية في المثل، ولذلك قال الفرزدق :

أما العـــــدو فإنا لا نلين لـــه حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

... وقوله تعالى في صفة جهنم ﴿ وقودها الناس والحجارة ﴾[3] فحذر منها بإعلامه أنها تأكل الحجارة ... .

وقد أكثر المحدثون في تغزلهم من تشبيه قلب المحبوب بالحجر ، كقول سلم بن عمر بن عطاء :

يلين مـــن لا أريد رقتـــه وقلب من أشتهيه كالحجر

وقال ابن أبي أميه يصف محبوبا :

أطـــرافه تعقد مـــن ليـــنه وقلبه كالحجـــر القاسي

وقال أبو نواس :

---

[1] الجمان بتحقيق الصاوي ، ص٦٤ و ٨٩ .
[2] البقرة ، الآية ٧٤ .
[3] التحريم ، الآية ٦ .

فيا ليت شعري أمن صخرة فؤادك هذا الذي لا يلين ؟!

... فأما من قصد محض التشبيه في هذا الباب ، واعتمد في أخذه على لفظ الكتاب ، فإنه وقف دون استيفاء المعنى بمثل قوله تعالى : " أو أشد قسوة " وما تبع هذا القول من الدلالة عليه والحجة فيه، والتعليل له ، وكذلك كل ما ينقله الشعراء أو غيرهم من أرباب البلاغة إلى كلامهم من معاني القرآن ، لا يبلغون شأوه ، ولا يدركون مثاله إعجازا ، وإعوازا وإباءً وامتناعا . وبين , جلّ اسمه , كيف كانت قلوبهم أشد قسوة من الحجارة , فقال : ﴿ وإنّ من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ﴾[1] ، يعني العيون التي لا تكون أنهارا . وقد اقتفى ذلك بعض المولدين فقال ، وذكر الشباب وبكاءه :

فلا تلحيا أن فاض دمعٌ لفقده فقل له بحر مـــن الدمع يثمد[2]

ولا تعجبا للجلد يبكى فربما تفطر عن عين من الماء جلمد

وقال أيضا متغزلا :

يا شبيه البدر فـــي الـــ حسن وفي بعد المنال

جُـــد فقـــد يتفجر الـــ صخر بالمـــاء الزلال

ومعنى التنزيل بعد أتم وأعم ، وأوفى وأعلى ، بقوله تعالى : ﴿ وإن منها لما يهبط من خشية الله ﴾ نحو الجبل الذي تجلى الله له حين كلم موسى عليه السلام"[3] .

هذا النموذج من الجمان يدل على أنّ الصورة التشبيهية في القرآن مقصود إليها في مواجهة قوم بلغوا شأوا كبيرا في الفصاحة والبيان ، وهو دليل على أن التشبيه أحد أكبر مكونات الصورة الفنية الداخلة في جوهر النظم الذي يتعلق به مناط الإعجاز[4] ، وأنه ليس عنصرا إضافيا في الجملة ، لكنه جزء أساسي لا يتم المعنى دونه .

و أشار ابن ناقيا إلى أن لفظ التشبيه استعمل في القرآن أحيانا بغير تشبيه ذاكرا أنّه لم يقصد ذكر ذلك في مُصنَّفِهِ ، وذلك في خاتمة حديثِهِ عن تشبيهات القرآن في سورة البقرة فقال : " وقد ورد في القرآن لفظ التشبيه بغير تشبيه كقوله تعالى في هذه السورة : " أو كالذي مرّ

---

(1) البقرة ، الآية ٧٤ .

(2) ثمد الماء : تجمع في الحوض .

(3) الجمان ، ص ٦٤ – ٦٨ .

(4) ينظر : فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن ، د. فتحي أحمد عامر ، منشأة دار المعارف بالإسكندرية، ١٩٨٨م ، ص١٦ وما بعدها ؛ القزويني وشروح التلخيص ، د.احمد مطلوب ، ص ٣٤٩ (مكتبة النهضة ببغداد ، ط١ ، ١٩٦٧م).

على قرية " ، إنَّما ذلك معطوف على معنى الكلام الأول في قوله تعالى : ﴿ ألمْ تر إلى الذي حاجَّ إبراهيم في ربِّه ﴾ ، " أو كالذي مرَّ على قريةٍ ، وموضع الكاف نصب بـــ " تر " فهذا ونحوه لم نقصد ذكره في هذا الكتاب "[1] .

كذلك لم يهتم ابن ناقيا كثيراً بأداة التشبيه، وذهب إلى أن حذفها للمبالغة في وصف المشبه ، يقول : قوله عز وجل: ﴿ويطاف عليهم بآنية من فضه وأكـــواب كانت قواريرا ۞قواريرا من فضه قدروها تقديرا ﴾[2]. يعني أنها كالقوارير في صفائها وشفيفها وبريقها وهي من فضة فهذا على التشبيه وإن لم يذكر حرفه ... وإنما يحذفون حرف التشبيه للمبالغة في وصف المشبه في نحو قولهم في مدح الرجل هو البحر جوداً والدهر بأساً والسيف لساناً ، وقولهم في صفة المرأة ريقها الخمـــر , و ثغـــرها الدر , وكـــلامها السحر , وريحها المسك ... وقوله عز وجل في وصف رحيق الجنة ﴿ ختامه مسك﴾[3]على التشبيه أيضاً أي هو في طيب الرائحة كالمسك[4].

وقد امتدح ضمناً تشبيهات القرآن الخالية من الأدوات , واتّخذ من ذلك قياساً على أن دور حذف الأداة ، المبالغة في الوصف[5] . وأشار كذلك إلى غرض التشبيه ، ففي قوله تعالى: ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾[6]، فالحسنة المرارة والسيئة الغلظة... والتشبيه في الآية للمقاربة، إنما أكد الصفة بتعديد اللفظ، دلالة على قوة السبب في وقوع التشبيه ، وحضاً على استعماله والأخذ بمثاله[7] .

كما أشار إلى أهمية التشبيه في كشف المعنى . يقول : قوله عزّ وجلّ : ﴿ والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ﴾[8] معنى تشبيههم بالأنعام في الأكل ، التخسيس لهم ، والإزراء بهم في هذه الحال ، ووصفهم بالجهل والدناءة ، وأنهم يأكلون للشره والنهم كالبهائم. وذلك أن الأكل على ضربين : أكل نهمة، وأكل حكمة، فأكل النهمة للشهوة فقط، وأكل الحكمة

---

(1) الجمان ، ص٧٣ .
(2) الإنسان ، الآية ١٥ – ١٦ .
(3) المطففين ، آية ٢٦ .
(4) الجمان ، ٣٣١ – ٣٣٣ .
(5) ابن أبي عون وكتابه التشبيهات ، ص ١٤١ .
(6) فصلت ، الآية ٣٤ .
(7) الجمان ، ص٢٤٠ – ٢٤٤ .
(8) محمد ، الآية ١٢ .

للشهوة والمصلحة،والعرب تمدح بقلة الأكل، وخفة الرزء كماتذم بالرغب والبطنة والشره[1].ومن مظاهر سعة باع ابن ناقيا حشده صنوف المعرفة التي تدل على سعة ثقافته وغزارة علمه ، وبسطة يده في مختلف ألوان المعرفة ، فممّا قاله في التشبيه في قوله تعالى : ﴿ فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان ﴾[2] . الانشقاق انفكاك ما كان على شدة الالتئام فالسماء تنشق وتصير حمراء كالوردة ثم تجري كالدهان ، وقيل في قوله فكانت وردة كالدهان أي كلون فرس ورد .

والكميت الورد يتلون فيكون لونه في الشتاء خلاف لونه في الصيف . والدهان جمع دهن كقرط وقراط أي يتلون من الفزع الأكبر كما تتلون الدهان المختلفة ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ يوم تكون السماء كالمُهل ﴾[3] ، أي كالزيت الذي أغلي . وهم يذكرون تغير السماء في شدة الأمر وصعوبته وما يعهدونه من أحوالهم مثل الجدب والجرب . ونحو ذلك ومثله ، قول الشاعر :

ومحمرة الأعطاف مغبرة الحشا خفاف رواياها بطاء عهودها

يعني سنة مجدبة أمطار السماء بها محمرة , والأرض مغبرة , ورواياها يعني سحابتها والعهود أول المطر. قال بعض العرب أيضاً يذكر سنة مجدبة :

وجاءت بالهفّ لا أري فيه وقد سود الشمس فيه القتر[4]

كأن النجوم عيون الكلاب تنهض في الأفق أو تنحدر

أي قد حال الغبار دونها فكمدت ألوانها ... وأما التقرير بالنعمة في قوله تعالى : ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ وليس في انشقاق السماء نعمة يقع التقرير بها فإنما التقرير وقع من جهة الزجر والتخويف بانشقاق السماء فوقع بالسبب وإنما يجب الزجر بالضرر المحض لا بما يقع فيه النفع ولكن بسبب النفع الذي هو الزجر به في دار الدنيا "[5] .

---

[1] الجمان ، ص٢٤٤ ، خفة الرزء : قلة انتقاص مال الغير أو طعامه ، الرغب : امتلاء البطن بالأكل .
[2] الرحمن ، الآية ٣٧ .
[3] المعارج ، الآية ٨ .
[4] سحابة هفّ : أي بلا ماء ، والأري من السحاب : درنه ، والقتر : الغبرة .
[5] الجمان ، ص٢٩٢ –٢٩٣ .

ومن الأحكام النقدية الذوقية عند ابن ناقيا بعض التعابير الدالة على ذلك , نحو قوله ومن أحسن ما قيل في هلاك الأمم وفناء القرون الأول قول الأسود بن يعفر :

ماذا أؤمل بعد آلِ مُحَرِّقٍ تركوا مَنَازلهُم وبعد إيادِ ؟! [1]

وكذا قوله : " والقول الأول على معنى التشبيه أحسن وأعذب وهو المأثور المشهور "[2] ، وأيضا قوله " وأهل العلم بالشعر مجمعون على أن أحسن التشبيه ما يقابل به تشبيهان مشبهين، وأن أحداً لم يقل أحسن من قول إمرئ القيس :

كأنّ قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العُنّاب والحشف البالي[3]

مآخذ على صاحب الجمان :

يؤخذ عليه عدم اشتمال كتابه على معظم التشبيهات القرآنية، وإغفاله جُلَّ التشبيهات التي لم تذكر فيها الأداة، إذ لم يورد إلا تشبيهين . كذلك كان يستطرد كثيراً ذاكراً من الشواهد الشعرية ما فيها صورة تشبيهية قريبة ، إذ كان يتتبع استخدام الشعراء لألفاظ التشبيهات القرآنية في تشبيهات تتصل في بعض ملامحها بالتشبيه القرآني ، نحو ذكره لقول الشاعر :

ما أطيبَ العيشَ لو أنَّ الفتى حجر تنبو الحوادث عنه غير مكلوم[4]

وقول مجنون ليلى مشيراً إلى ما يعانيه من عظم كلفه ، وشدة غرامه ، وشغفه :

ولو أن ما بي بالحصا فلقَ الحصى وبالريح لم يسمع لهن هبوب[5]

فهو يورد بعض التشبيهات لاشتمالها على ألفاظ (الحجر ، والحجارة ، والحصا) المشابهة لألفاظ التشبيه القرآني الذي يتحدث عنه في قوله تعالى ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ... ﴾[6] على الرغم من اختلاف نوع التشبيه. فهو في الآية مرسل مفصّل في حين أنّه في البيت الأول بليغ , وفي الآخر ضمني .

وكان الاستطرادُ ظاهرة لافتة في منهجه إذ كان يقوده الحديث عن تشبيه قرآني ما إلى ما يشبهه من تشبيهات قرآنية يعرض لها موضحا ومفسرا , وغالبا ما يقوده إيضاح المعنى إلى ذكر المعاني اللغوية ، والاشتقاق ، والإشارة إلى ما يشبه المعنى وكلام العرب في أشعارهم

---

(1) ينظر الجمان ، ص٢٨٥ – ٢٨٦ .
(2) الجمان ، ص٣٣٧ .
(3) الجمان ، ص٢٢٠ ، وينظر : معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، عبد الرحيم العباسي ، ٢ / ٨٠ .
(4) الجمان ، ص٦٥ .
(5) المصدر نفسه ، ص٦٦.
(6) البقرة ، الآية ٧٤ .

وأمثالهم وقصصهم , نحو قوله عن التشبيه في قوله تعالى : ﴿ أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾[1] . وصفهم بأنهم لا يبصرون بعيونهم ولا يعقلون بقلوبهم ، فجعلهم في تركهم الحق وإعراضهم عنه بمنزلة من لا يسمع ولا يعقل ... ثم قال " بل هم أضل " وذلك أن الأنعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره وهؤلاء يعلم أكثرهم أنه معاند ، فيقدم على النار . ونظير هذه الآية قوله في سورة أخرى ﴿ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ﴾[2]، أي ليس يسمعون ما تقول يا محمد سماع طالب للإفهام بل كسماع الأنعام. ومن نظائر الآية أيضا قوله تعالى:﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون ﴾[3]،.. وأضاف المثل إلى الذين كفروا ، ثم شبهه بالراعي ولم يقل كالغنم ,لأنَّ المعنى ومثل الذين كفروا فيما يوعظون به كالبهائم التي لا تفقه ما يقول الراعي أكثر من الصوت فالتقدير ، ومثل واعظ الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع . والعرب تحذف إذا دلَّ المعنى على ما يريدون , كما قال تعالى : ﴿ وأشربوا في قلوبهم العجل ﴾ [4]. أي سُقوا حُبّ العجل ، أضمر الحب لأن المعنى معلوم ، وكذلك قوله تعالى:﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ﴾ [5]، المثل للنفقة ، أي مثل نفقة الذين ينفقون ، وقيل المعنى ومثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم وأوثانهم وهي لا تفقه , كمثل الناعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء ، وتأويل قوله ينعق يصوت بالغنم ، وهو النعيق والنعاق ، ومنه قول الأخطل :

فانعق بضأنك يا جرير فإنما منّتك نفسك في الخلاء ضلالا

وتقول العرب أبلد من راعي الضأن ، ويقال في المثل " أحمق من راعي ضأن ثمانين " [6]

.قال الأصمعي : كان لذي الإصبع العدواني أربع بنات فزوجهن ، وزار الكبرى فقال: كيف رأيت زوجك؟ قالت: خير زوج يكرم أهله ، وينسى فضله ، قال : فما مالكم ؟ قالت : الإبل ناكل لحمانها ، ونشرب ألبانها ، تحملنا ورحالنا ، قال : زوج كـــريم ، ومال عميم . ثـــم زار

---

[1] الأعراف ، الآية ١١٩ .
[2] الفرقان ، آية ٤٤ .
[3] البقرة ، آية ١٧١ .
[4] البقرة ، الآية ٩٣ .
[5] البقرة ، الآية ٢٦١ .
[6] مجمع الأمثال للميداني، ١/ ٢٢٤(تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، منشورات دار النصر، دمشق – بيروت ، د. ت).

الثانية ، فقال : كيف رأيت زوجك ؟ قالت : يكرم الحليلة ، ويقرب الوسيلة ، قال : فما مالكم ؟ قالت: البقرة تألف الغناء،وتملأ الإناء، ونساء مع النساء، فقال: رضيت وحظيت. ثم زار الثالثة ، فقال: كيف رأيت زوجك؟ فقالت : لا سمح بذر، ولا بخيل حكر، قال : فما مالكم، قالت: المعزى، قال جزي مغنية(أي كافية شافية).ثم زار الأخيرة ، فقال : كيف رأيت زوجك ؟ قالت : شر زوج يكرم نفسه ويهين عرسه ، قال : فمالكم؟ قالت : شر مالٍ ، الضأن جوف لا يشبعن ، وهيم لا ينقعن ، وصم لا يسمعن ، وأمر مغويهن يتبعن . فقال : أشبه أمرؤ بعض بزه . قولها : أمر مغويهن يعني أن الواحدة منهن تسقط في الماء ، أو وحل ، أو أشبه ذلك ، فيتبعنها إليه.والهيم :العطاش . قال بعض المفسرين في قوله: ﴿ فشاربون شرب الهيم﴾ [1]ها الإبل العطاش . قال ذو الرُّمَّة:

فراحت الحقب لم تقصع صرائرها وقد نشحن فلا ري ولا هيم [2]

وكان الاستطراد يقوده أحيانا إلى الخروج عن موضوعه نحو حديثه عن التشبيه في قوله تعالى: ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ [3] فبعد أن بيّن وجهي القراءة في القمر " النصب والرفع " ، وفسر معنى الآية ، نراه يشرع في بسط القول في الحديث عن منازل القمر والأنواء بقوله "سنذكر من أحوال المنازل على رأي العرب فرأيهم أولى بهذا الكتاب من رأي أصحاب الحساب " [4]، ويستطرد في حديثه بما يقارب ثلاثين صفحة (١٩٣ – ٢٣٢) كأنما يرى أن العرب تأثروا في تشبيهاتهم بمنازل القمر والأمطار لكثرة ورود هذه الأسماء في أشعارهم نحو الشرطان والحمل والبطين والثريا والديزن والجوزاء الشعري والهلال والبدر وغيرها كثير.

وبعد هذا الاستطراد يعود إلى التشبيه القرآني فيقول:(فإذا قطع القمر دائرة الفلك بتنقله في هذه المنازل عاد كما قال تعالى: كالعرجون القديم ﴾ ، والعرجون عود العذق ، فإذا جفّ دق وصغر واستقور فحينئذٍ يشبه الهلال ...وقد شبهت الشعراء القمر في أول طلعته فأكثرت، ولم تأت بتشبيه القرآن مع استقصائها وبحثها في ذلك) [5]

---

(1) الواقعة,الآية ٥٥ .

(2) الجمان,ص٩٦-٩٩ .الحقب : الحمر الوحشية, قصع صارته وصرته:أي نقل عطشه ,إذا شرب حتى يروى ، نشح : شرب دون الري .والمعنى هربت الحمر لا رواء ولا عطاش.

(3) يس, الآية٣٩

(4) الجمان, ص ١٩٣ .

(5) المصدر نفسه ,٢١٦.

ابن ناقيا والصرفة :

كان ابن ناقيا يميل إلى مذهب أهل الصرفة في إعجاز القرآن ، فهو يرى أن التفاوت بين القرآن وكلام العرب واضح يخبر بإعجاز القرآن وقصور القدرة عن مماثلته يقول: " وهذه حال كافة العرب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم أرباب الفصاحة ، وأمراء البـــلاغة ، وفيهـــم الخطباء والشعراء ، ومن لا يقعد معه بيان ، ولا يخذله خاطر ولا لسان ، ولا يدرك مداه في براعة القول وإقامة الحجة ، واستيفاء المعاني ، ومواتاة القريحة ، مع وقوع التحدي لهم بما لا يخرج عن شأنهم، ولا ينافي حسنه وطباعهم لولا مكان الآية فيه وظهور المعجزة ، فكانت القرائح مصروفة عن معارضته والخواطر مفحمة عن مضاهاته ، والألسنة مكفوفة عن النطق بمثله وذلك قوله تعالى : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾[1] "[2].

و أفاض الدارسون في بيان بطلان القول بالإعجاز بالصرفة ، لأنه يعزو سر الإعجاز لأمر خارج عن القرآن ؛ وهو سلب القدرة عن النطق بمثله .

هكذا كان ابن ناقيا في الجمان ناقدا طويل الباع ذا قدرة على الشرح والتحليل والموازنة بين التشبيهات القرآنية والتشبيهات الشعرية المشابهة ، وكان منهجه يعتمد الفهم والذوق والتحليل الأدبي والموازنة ، وكان ينوع في شواهده الشعرية التي اختارها من مختلف عصور الاحتجاج . يقول أحمد مطلوب عن الجمان : " وهو أول كتاب يجمع الآيات القرآنية التي توشحت بهذا الفن ، ويدرسها دراسة فيها أصالة وذوق سليم "[3] .

كان له قصب السبق في سبر حقل التشبيهات القرآنية، ويعد جهده في كشف أسرارها البلاغية عملاً تطبيقياً مهد الطريق لمن جاء بعده من البلاغيين الذين ألفوا في علوم القرآن ." وقد كان للبلاغيين أن يستلهموا القرآن الكريم ، في بحث التشبيه كما استلهمه ابن ناقيا ، ويسيروا على منهج ما جاء في الآيات من تشبيهات رائعة ، ويعقدوا المقارنة بينه وبين كلام البلغاء ، ويشيروا إلى ما بينها من تفاوت لأنّ التشبيه في القرآن ليس عنصراً إضافياً في الجملة ولكنه جزء أساسي لا يتم المعنى دونه "[4].

---

[1] الإسراء ، آية ٨٨ .
[2] الجمان ، ص٢٣٣ .
[3] فنون بلاغية ، أحمد مطلوب ، ص٢٨ (دار البحوث العلمية – الكويت ، ط١ ، ١٩٧٥م) .
[4] القزويني وشروح التلخيص ، أحمد مطلوب ، ص٣٤٩.

٣- الأمثال في القرآن الكريم ، لابن قيم الجوزية [١] :

مؤلف هذا الكتاب هو الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر الذرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١ هـ) من أشهر علماء القرن الثامن الهجري.

بحث المؤلف تشبيهات القرآن ، لا سيما التشبيه التمثيلي ، بحثاً مستفيضاً في كتابيه " الأمثال في القرآن الكريم " و " اعلام الموقعين عن رب العالمين " .

كان غرض ابن القيّم من بحثه لتشبيهات القرآن إعلام الموقعين والمجتهدين والفقهاء بأصل مهم من مصادر التشريع الإسلامي – وهو القياس – إذ استخدم الله عز وجل القياس في القرآن بطريقة التشبيهات وضرب الأمثال يقول : " وقد أرشد الله تعالى عباده إليه في غير موضع من كتابه ، فقاس النشأة الثانية على النشأة الأولى في الإمكان ، وجعل النشأة الأولى أصلاً ، والثانية فرعاً عليها ؛ وقاس حياة الأموات بعد الموت على حياة الأرض بعد موتها بالنبات ؛ وقاس الخلق الجديد الذي أنكره أعداؤه على خلق السموات والأرض ، وجعله من قياس الأولى كما جعل قياس النشأة الثانية على الأولى من قياس الأولى ؛ وقاس الحياة بعد الموت على اليقظة بعد النوم . وضرب الأمثال وصرّفها في الأنواع المختلفة ، وكلها أقيسة عقلية يُنبِّه بها عباده على أن حكم الشيء حكم مثله ، فإن الأمثال كلها قياسات يعلم منها حكم الممثل من الممثل به ؛ وقد اشتمل القرآن على بضعة وأربعين مثلاً ، تتضمن تشبيه الشيء بنظيره ، والتسوية بينهما في الحكم[٢] .

وكان ابن القيم يرى أن الفائدة المتوخاة من التشبيهات والأمثال هي " تقريب المراد ، وتفهيم المعنى وإيصاله إلى ذهن السامع ، وإحضاره في نفسه بصورة المثال الذي مُثّل بهِ ، فإنَّه قد يكون أقرب إلى تعلقه وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيـره ، فإنَّ النـفس تأنس بالنـظائر والأشباه الأنس التام ... وكلما ظهرت لها الأمثال ازداد المعنى

---

[١] حقق هذا الكتاب غير مرة ، فقد طبع تحت اسم (أمثال القرآن) بتحقيق الدكتور ناصر بن سعد الرشيد ، طبعة دار مكة ، وقام فيه المحقق بجهد طيب ، وطبع أيضا تحت اسم (الأمثال في القرآن) تحقيق سعيد محمد نمر الخطيب ، طبعة دار المعرفة ببيروت ، ١٩٨١م . وقد بذل محققه جهداً وإن اعتمد فيه على جهد المحقق الأول ، وقد اعتمدت هذا التحقيق في هذه الدراسة ، وطبع كذلك في مكتبة الصحابة بطنطا بتحقيق أبي حذيفة إبراهيم بن محمد عام ١٩٨٦م بعنوان (الأمثال في القرآن الكريم) . وذكر الدكتور محمد الصغير في " الصورة الفنية في المثل القرآني " أن اسم مخطوط الكتاب في دار الكتب المصرية هو " تشبيهات القرآن وأمثاله "

[٢] إعلام الموقعين عن رب العالمين ، م١ / ج١ / ص١٣٠ (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر – بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٧م) .

ظهوراً ووضوحا ، فالأمثال شواهد المعنى المراد ، ومزكية له[1] ، وهو بذلك يؤكد أن التشبيه يجعل للمشبه المجرد من المعاني وقعا في القلب ، ورسوخا في النفس بحيث يتعاضد العقل والخيال في إدراك المعنى المجرد ، وبذلك تتضح صورة المشبه وتزداد ثباتاً ورسوخا[2] .

تتبع ابن قيم الجوزية في " الأمثال في القرآن الكريم " ، الأمثال التي تضمنت تشبيه الشيء بنظيره والتسوية بينهما في الحكم فبلغت ثلاثة وأربعين مثلاً ، وتناولها في أمور كثيرة منها : المنافقون، والكفار وأعمالهم ، والمشركون ، ومن عمله كسراب أو في بحر لجي ، ومن يسمع ولا يعقل ، والشرك بالله والذين حملوا التوراة ، ومن أعرض عن كلام الله ، وامرأة نوح ، وامرأة لوط ، وامرأة فرعون ، ومريم ، فأورد الآيات التي تصور حال هذه الأصناف متلبسة بأمر من الأمور ، وقد ضمَّن ذلك في فصول متتابعة كل فصل يثير فيه آية تشتمل على مثل ، ثم يعلق عليها موضحا طرافة التشبيه ، وتكامل الصور ، وما تنطوي عليه الآية من أسرار تعبيرية ، لكنه لم يتجاوز بذلك عقلية التفسير التقليدية.

بدأ ابن قيم الجوزية الكتاب بقوله : " وقع في القرآن أمثال ، وإن أمثال القرآن لا يعقلها إلا العالمون فانها تشبيه شيء بشيء في حكمه ، وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر كقوله تعالى في حق المنافقين : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ، صم بكم عمي فهم لا يرجعون ، أو كصيّب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموتِ والله محيط بالكافرين ﴾[3] "[4] . ثم يعلق على المثل الذي تضمنته الآيات كاشفاً الصورة التشبيهية فيها فالله سبحانه وتعالى " ضرب للمنافقين بحسب حالهم مثلين : مثلاً نارياً ، ومثلاً مائياً ، لما في الماء والنار من الإضاءة والإشراق والحياة ، فإن النار مادة النور ، والماء مادة الحياة ، وقد جعل الله سبحانه الوحي الذي أنزل من السماء متضمنا لحياة القلوب ، واستنارتها ولهذا أسماه روحا ونوراً وجعل قابلية الحياة في النور ، ومن لم يرفع بذلك رأساً أمواتاً في الظلمات ، وأخبر عن المنافقين بالنسبة إلى حظهم من الوحي ، إنهم بمنزلة من استوقد ناراً لتضيء له وينتفع بها ، وهذا لأنهم دخلوا الإسلام فاستضاؤا به وانتفعوا به وآمنوا به وخالطوا المسلمين ، ولكن لما لم تستصحبهم مادة من

---

(1) إعلام الموقعين ، ١ / ١٨٢ ، ١٨٣ .
(2) ينظر: مفهوم البلاغة عند ابن قيم الجوزية، ص٧٣ (حسين كتانة ، رسالة ماجستير– الجامعة الأردنية ، ١٩٩٥م) .
(3) البقرة ، الآيات ١٧ – ١٩ .
(4) الأمثال في القرآن الكريم ، ابن قيم الجوزية ، ص١٧٣ – ١٧٤ (تحقيق سعيد محمد نمر الخطيب ، دار المعرفة – بيروت ، ١٩٨١م) .

تشبيهات القرآن في آثار اللغويين والنحاة

سَخَّرَ عُلماءُ اللغةِ الأوائل طاقاتهم لخدمة القرآن الكريم ، وكانوا يستشهدون بـه علـى تقرير قواعدهم ، أو بناء الأصول اللغوية أو النحوية أو الصرفية ، وكان النص القرآني يقذف بإشعاعه في سماء المعرفة اللغوية ، وفي دراسات العلماء الباحثين في لغته ومجازه وغريبـه ومعاني مفرداته أمثال الخليل، وسيبويه، والفرّاء، وأبي عبيدة، وابن قتيبة، والمبرد.

تعرض بعض اللغويين لمباحث بلاغية أملتها ضرورة البحث عليهم ، وعلـى رأسـها التشبيه لأنه من أكثر المباحث جذباً للانتباه في القرآن الكريم والشعر العربي على حد سـواء ، فما أكثر ما كان يعرض لهم في بحثهم لمسائل اللغة ، وهم يستشهدون لها بتشـبيهات الـذكر الحكيم.

١. سيبويه في " الكتاب " :

تناول سيبويه (ت١٨٠هـ) التشبيه ، وتحدث عنه في باب (استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لاتسّاعهم في الكلام ، والإيجاز ، والاختصار) . يـذكر مـن جملـة الاتسـاع والاختصار مثالاً للتشبيه، فيقول : " ومثله في الاتساع قوله عز وجل:﴿ ومثل الـذين كفـروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دُعاءً وَنِداءً ﴾[١] فلم يُشبِّهوا بما ينعق ، وإنما شُبِّهوا بالمنعوق به ، وإنما المعنى :مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الـذي لا يسـمع،ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى "[٢] .

فالآية الكريمة من " التشبيه المركب " ، الذي دَلَّ سيبويه على معناه ، دون أن يصرح باسمه ، وهو يقوم على تشبيه شيئين بشيئين : الداعي والكفار بالراعي مع الغنم " ولكنه اكتفـى بـذكر الكفار من المشبَّه ، والراعي من المشبَّه به فدلّ ما أبقى على ما ألقى وهذا معنى كلام سـيبويه "[٣] .

ولقد نص سيبويه على أن في الآية حذفاً واختصاراً بدلالة علم المخاطب بالمعنى ، ولولا هـذه القرينة لما جاز الحذف في الآية حتى لا يلتبس المعنى على المخاطب ، فظاهر التشبيه يـوحي بتشبيه الكفار بالراعي . وليس بمعقول أنْ يشبه الكافر بالداعي إلى الإيمان ، ولكن المعقول أن يشبه موقف الرسول مع الكافرين بموقف الراعي مع غنمه التي لا تسمع دعاءه أو نداءه ، أي"

---

[١] البقرة ، الآية ١٧١ .

[٢] الكتاب لسيبوية ، ١ / ٢١٢ (تحقيق عبد السلام هارون ، دار القلم ، ١٩٦٦م).

[٣] إعراب القرآن للزجاج، ٤٧/١ (تحقيق إبراهيم الإبياري، دارالكتاب المصري، ط٢، ١٩٨٢م).

مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق الذي لا يسمع " ، ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى كما قال سيبويه[1].

ومثل هذه الإشارات نجدها عند ابن جني في كتابه الخصائص ، الذي تكلم فيه على التشبيه المقلوب أو المعكوس في (باب غلبة الفروع على الأصول)[2] .

---

[1] الأصول البلاغية في كتاب سيبوية وأثرها في الدرس البلاغي ، احمد سعد محمد ، ص١٧٤ (رسالة ماجستير– جامعة عين شمس، ١٩٩٩م) .

[2] الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، ١/ ٣٠٠ (دار الهدى للطباعة والنشر– بيروت، ط٢).

٢. الفرّاء في " معاني القرآن " :

استرعت تشبيهات القرآن الكريم نظر الفـرّاء (ت ٢٠٧هـ) ، فتعـرض لـبعض صورها مبرزا ملاحظات دقيقة قيمة كان لها أثرها فيمن جاءوا بعده .

فهو كثيرا ما أشار إلى طرفي التشبيه نحو تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وله الجوار المنشـآت فـي البحر كالأعلام ﴾[١] . يقول : " كالجبال شبَّه السفينة بالجبل ، وكل جبل إذا طال فهو علَـم"[٢] ، وكذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إنها ترمي بشرر كالقصر ﴾[٣]. يقول : " شَبَّه الجمل بالقصـر ، ألا ترى قوله جلَّ وعزَّ : ﴿ كأنَّه جِمَالةٌ صُفْرٌ ﴾[٤] ، والصفر : سود الإبل، لا تـرى أسـود من الإبل إلاَّ وهو مشرب بصفرة ، فلذلك سمت العرب سودَ الإبل : صفرا ، كما سَمُّوا الظباء : أدْما لما يعلوها من الظلمة في بياضها " [٥].فقد اختصر التشبيهين ، لأن النار ترمي بشـرر كالقصر ، كأنه جمالاتٌ (جمالةٌ) صفرٌ ، فـقد شبـه الشرر أولا بالقصْر – بتسكين الصـاد – وهو الحصن من جهة العظم والطول في الهواء ، وشبهه في الآية الثانية بالجمال لبيان وجه الشبه من جهة اللون والحركة ، فالصفرة الفاقعة أشبه ما تكون بلون الشرر وكانـت العـرب تشبه الإبل بالأفدان وهي القصور[٦] .

ونحو ذلك تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلمَّـا نجاهم إلى البرِّ فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كلُّ ختار كفـور ﴾[٧]. يقـول : "الختـار" : الغدار ، وقوله : " موج كالظلل " فشبهه بالظلل والموج واحد ، لأنَّ المـوجَ يركـبُ بعضـهُ بعضا ، ويأتي شيئا بعد شيء ، فقال : كالظلل ، يعني السحاب "[٨] .

وكان الفرّاء يوضح وجه الشبه في تفسيره لبعض آيات القرآن الكريم توضيحا ينم على طـول خبرة ودراية بلغة العرب ، كإبرازه وجه الشبه المراد في قوله تعالى في وصف ثمـر شـجرة الزقوم التي تخرج في أصل الجحيم ﴿ طلعها كأنه رؤوس الشياطين ﴾ [٩]. حيث يقـول: " إنَّ فيه في العربية ثلاثة أوجه ؛ أحدها : أن يشبّه طلعها في قبحه بـرؤوس الشـياطين ؛ لأنهـا

---

[١] الرحمن ، الآية ٢٤ .
[٢] معاني القرآن للفرّاء، ٣ /١١٥. (تحقيق محمد النجار وأحمد نجاتي، عالم الكتب – بيروت ، ط٢، ١٩٨٠م).
[٣] المرسلات ، الآية ٣٢ .
[٤] المرسلات ،الآية ٣٣ .
[٥] معاني القرآن ، ٣ / ٢٢٥ .
[٦] ينظر : تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ، ٨ / ٤٠٧ (دار الفكر–القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٣م) .
[٧] لقمان ، الآية ٣٢ .
[٨] معاني القرآن ، ٢ / ٣٣٠ .
[٩] الصافات ، الآية ٦٥ .

موصوفة بالقبح ، وإن كانت لا تُرى . وأنت قائل للرجل : كـــأنه شـيطان إذا اسـتقبحته . والآخر : أن العرب تسمي بعض الحيات شيطانا ، وهو حية ذو عرف . قال الشاعر وهو يذم امرأة له : عنجرد تحلف حين أحلفُ كمِثْلِ شيطان الحَمَاطِ أعرفُ

ويقال إنَّه نبت قبيح يسمى برؤوس الشياطين . والأوجه الثلاثة تذهب إلى معنـى واحـدٍ فـي القبح[1].

فقد ذكر في الشياطين ثلاثة وجوه : أنها الشياطين حقيقة أو أنها نوع من الحيـات ، أو نبـت قبيح يسمى بذلك . وجميعها تعطي معنى القبح . والقبح في الوجهين الثاني والأخيـر حسـي، وأما في الوجه الأول فهو معنوي مستمد من تداعي معاني لفظة " الشياطين " ومـا لهـا مـن جذور في وجدان الإنسان العربي القديم ، فصورة الشيطان في ذهنه صورة من عالم روحه ، تشمئز منها نفسه وتصاب بالرعب والخوف كلما تذكرت هذه الصورة . ولذلك فالتشبيه لـيس حسّي الطرفين ، بل هو حسّي المشبه ومعقول المشبه به .

وكذا في قوله تعالى : ﴿ فإذا انشقت السماء فكانت وردةً كالدِّهان ﴾ [2]، يكشف وجـه الشـبه وطرفي التشبيه ، ويفصّل في إبراز الصورة التشبيهية بقوله : " أراد بالوردة الفرس" الـوردة تكون في الربيع وردة إلى الصفرة ، فإذا اشتد البرد كانت وردة حمراء ، فإذا كان بعـد ذلـك كانت وردة إلى الغبرة، فشبه تلون السماء بتلون الوردة من الخيـل ، وشـبهت الـوردة فـي اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه ،ويقال : إنَّ الدهانَ الأديمُ الأحمرُ "[3] .

وهو في تفسيره لهذا التشبيه ، كما يقول الدكتور محمد زغلول سلام ، قد أحسن فهـم الـدور الذي يقوم به التشبيه في التعبير ، وأجاد في إدراك أقسامه ، وعرف أنه مركب هنا من قسمين أو صورتين متعاقبتين ، صورة السماء منشقة وصورة الوردة ثم صورة الدهان ، والصورتان الأخيرتان مركبتان لتوضيح وجه الشبه ، والفرّاء يوضح معنى المشبه به في هاتين الصورتين ، فيوضح معنى الوردة وينبه على وجه الشبه وهو أحوال تلونها ، فهي في الربيع صـفراء ، وفي الشتاء حمراء ، ثم غبراء داكنة عند الذبول ، وهذا التلون التدريجي من اللـون الناصـع إلى الداكن يشبه أيضا لون الدهن وقد عملت فيه النار فاشتغل بلون أصفر ثـم بـدت ألسـنته محمرة إذ آذن بالانطفاء ثم يتحول إلى رماد داكن[4] ، وقد سهى الدكتور سـلام إذ وقـع فـي

---

[1] معاني القرآن ، ٢ / ٣٨٧ ،والعنجرد : المرأة الخبيثة السيئة الخلق ، والحماط : شجرة تألفه الحيات .
[2] الرحمن ، الآية ٣٧ .
[3] معاني القرآن ، ٣ / ١١٧ .
[4] أثر القرآن في تطور النقد العربي ، ص٥٧ .

تصحيف فاستبدل الغرس بالفرس ، وفهم من ذلك أنّه تشبيه بالوردة النبتة ، ونص الفرّاء واضح أنّه يقصد الوردة من الخيل .

والفرّاء في تفصيله لطرفي التشبيه يتأثر بأقوال المفسرين الأوائل من الصحابة والتابعين ،وقد حشد ابن كثير هذه الأقوال في تفسيره للآية الكريمة في قوله : أي تذوب السماء كما يذوب الدُّرْدِيّ[1] والفضة في السبك ، وتتلون كما تتلون الأصباغ التي يدهن بها فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء وذلك من شدة هول يوم القيامة . وقال ابن عباس " وردة كالدهان " كالأديم الأحمر ، وعنه كالفرس الورد ،وقال أبو صالح : كالبرذون الورد ، ثم كانت بعد كالدهان . وقال الحسن البصري : تكون ألواناً . وقال السدي : تكون كلون البغلة الوردة ، وتكون كالمُهْل كدردي الزيت ، وقال مجاهد " كالدهان " كألوان الدهان ، وقال عطاء الخراساني : كلون دهن الورد في الصفرة ، وقال قتادة : هي اليوم خضراء ، ويومئذٍ لونها إلى الحمرة يوم ذي ألوان ، وقال أبو الجوزاء ، في صفاء الدهن ، وقال ابن جريج تصير السماء كالدهان الذائب ، وذلك حين يصيبها حرُّ جهنم[2] . كما أنّه يتأثر بالمعنى اللغوي لكلمتي وردة ودهان ، فالدهان هو الأديم الأحمر ، والفرس الوَرْدُ هو الذي بين الكُميت والأشقر والأنثى "وردة " ومنه الآية الكريمة ؛ أي صارت السماء حمراء كالأديم[3] .

وعرض الفرّاء لبعض التشبيهات القرآنية ، مبيناً أنه لا يشترط في التشبيه التوافق العددي أو الكمي بين طرفي التشبيه ، إذا كان المقصود بالأمر الفعل لا أعيان الرجال ، وانماز الفرّاء بتفرده بذكر هذه اللمحة التي لم يعرض لها غيره في حدود ما أعلم ، فنراه يعرض لقوله عز وجل : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلمّا أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم ﴾[4] ، فيقول : " فإنما ضرب المثل – والله أعلم – للفعل ، لا لأعيان الرجال ، وإنما هو مَثَل للنفاق ؛ فقال : مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً ؛ ولم يقل : الذين استوقدوا . وهو كما قال اللهُ : ﴿ تدور أعينهم كالذي يُغشى عليه من الموت ﴾[5] ، وقوله : ﴿ ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدةٍ ﴾[6]؛ فالمعنى – والله أعلم – : إلا كبعث نفس واحدةٍ ولو كان التشبيه للرجال لكان مجموعاً ؛ كما

---

[1] الدُّرْدِيّ : ما يركد في أسفل كل مائع كالشراب والزيت والأدهان .
[2] مختصر تفسير ابن كثير ، ٣ / ٤٢٠ .
[3] الصحاح ، (دهن) و (ورد). والكميت من الخيل : ما كان لونه بين الأسود والأحمر ، وهو تصغير أكمت ترخيما .
[4] البقرة ، الآية ١٧ .
[5] الأحزاب ، الآية ١٩ .
[6] لقمان ، الاية ٢٨ .

قال : ﴿ كأنهم خُشُبٌ مسنَّدةٌ ﴾[1]، أراد القيم والأجسام ، وقال : ﴿ كأنهم أعجاز نخل خاوية ﴾[2] فكان مجموعا إذا أراد تشبيه أعيان الرجال ؛ فأجر الكلام على هذا وإن جاءك تشبيه جمع الرجال موحداً في شعر فأجزه . وإن جاءك التشبيه للواحد مجموعا في شعر فهو أيضاً يراد به الفعل فأجزْهُ ، كقولك : ما فعلك إلا كفعل الحمير ، وما أفعالكم إلا كفعل الذِّئب ، فابنِ على هذا ، ثم تلقي الفعل فتقول : ما فعلك إلا كالحمير وكالذئب "[3] .

بذلك فرق الفرّاء بدقة بين تشبيه الأفعال (الأحوال والصفات) وتشبيه الأعيان (الذوات) ، وأوضح أنه لا بدَّ من مراعاة التوافق العددي بين طرفي التشبيه في تشبيه الأعيان لتصح المقابلة بين طرفيه . وكان لهذه الملاحظة القيمة أثرها في الفكر البلاغي ، إذ كانت بمثابة تنوير وإضاءة للبلاغيين الذين اهتموا بإبراز المعاني البلاغية وتجلية صورها البيانية في محكم الذكر المبين .

والملاحظ أن الفرّاء في تعليقه على تشبيه حال المنافقين بفعل المستوقد ناراً ، قد أهتم بالجانب اللغوي ، فحال ذلك بينه وبين إدراك الصورة التشبيهية وأسرارها البلاغية ، لأن الوعي البلاغي يقتضي إدراك التشبيه التمثيلي الحاصل من تشبيه حال المنافقين الذين يتظاهرون بالإيمان ويبطنون الكفر ، بحال المدلج الموقد لنار تهديه في مسيره ، لكن هذه النار سرعان ما تنطفئ فيعود إلى الظلمة . ووجه الشبه هنا منتزع من مجموع ما يحصل في النفس معرفة بالطريق المستقيم ، لكنها معرفة آنية عابرة ، سرعان ما تتلاشى وتتبعها الحيرة والاضطراب والقلق والتخبط .

إن افتقار تأويل الفرّاء للآية للمنحى التصويري ، لا يغض من قيمته العلمية بقدر ما هو تأكيد لاتجاهه اللغوي الصرف ، وتمييز لمكانته في النحو العربي .

لعل هذا الزعم بأن فهم الفرّاء للآية الكريمة لم يكن فهماً بلاغياً بقدر ما كان فهماً لغوياً يتضح أكثر في تأوله للآية التي تتلوها : ﴿ أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ﴾[4] .

يقول الفرّاء : " مردود على قوله : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً ﴾ ، أو " كصيب " : أو كمثل صيِّب ، فاستغنى بذكر : " الذي استوقد ناراً " فطُرحَ ما كان ينبغي أن يكون من الصيب من الأسماء ، ودلَّ عليه المعنى ؛ لأن المثل ضُربَ للنفاق ، فقال : " فيه ظلمات

---

[1] المنافقون ، الآية ٤ .
[2] الحاقة ، الآية ٧ . والقيم : بمعنى القامات جمع قامة .
[3] معاني القرآن ، ١ / ١٥ .
[4] البقرة ، الآية ١٩ .

ورعدٌ وبرقٌ " ، فشبه الظلمات بكفرهم ، والبرق إذا أضاء لهم فمشوا فيه بإيمانهم ، والرعد ما أتى في القرآن من التخويف "[1] .

تنكب الفرّاء في شرح هذه الآية جادة الصواب فذكر المشبه في موضع المشبه به ، إذ قال " فشبه الظلمات بكفرهم ، والبرق ... بإيمانهم " وكان ينبغي أن يقول : بأن الله شبه كفرهم بالظلمات ، وشبه إيمانهم بالبرق إذا أضاء لهم فمشوا فيه ، وذهب أحد الباحثين إلى أنَّ هذا الخطأ قد يكون من عمل النُسّاخ[2] . وذهب آخر إلى أن هذا الخلط قد يكون وقع سهوا[3] .

وإذا كان شرح الفرّاء للآية السابقة يتميز بالدقة من حيث وجهها اللغوي ، فإنه قد افتقر إلى ذكر أبعاد الصورة التشبيهية المتمثلة في تشبيه حال المنافق بهيئة الماشي تحت المطر الشديد في ليلة مظلمة فيها برق يخطف الأبصار ، ورعد يصم الآذان بصواعقه ، وكلاهما مبعث للرعب والخوف .

ولم يفرق الفرّاء بين التشبيه والتمثيل ، وإن كنا نلمح في شرحه إدراكه لمعنى التمثيل من خلال توضيحه لأركانه والعلاقة بين المشبه والمشبه به ووجه الشبه ، ففي قوله تعالى :

﴿ مثل الذين حُمِلوا التوراة ثم لم يحملوها كَمَثل الحمار يحملُ أسفارا ﴾ [4]، يقول الفرّاء : "والسِّفر واحد الأسفار ، وهي الكتب العظام . شبه اليهود ، ومن لم يسلم إذ لم ينتفعوا بالتوراة والإنجيل – وهما دليلان على النبي صلى الله عليه وسلم – بالحمار الذي يحمل كتب العلم ولا يدري ما عليه "[5] ، فهو يُدركُ أنَّ المشبه ليس بمفرد بل هو مركب لأنه اليهود الذين علموا التوراة وكلفوا العمل بها ، ثم لم يعملوا بها أو لم ينتفعوا بما فيها ، فهو تشبيه مركب ، وكذلك المشبه به ليس الحمار مطلقا ، بل الحمار الذي يحمل كتبا من العلم يتعب في حملها ولا ينتفع بها ، لأنه لا يدري ما عليه .

ونحو ذلك إيضاحه لقوله تعالى : ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء ﴾ [6] ، بأنه سبحانه " أضاف المثل إلى الذين كفروا ، ثم شبههم بالراعي ، ولم يقل : كالغنم ، والمعنى – والله أعلم – مثل الذين كفروا " كمثل البهائم " التي لا تفقه ما يقول الراعي أكثر من الصوت ، فلو قال لها : ارعَيْ أو اشربي ، لم تَدْر ما يقول لها . فكذلك مثل الذين

---

[1] معاني القرآن ، ١ / ١٧ .

[2] قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية ، د. عبد العزيز عرفة ، ص١٢٧(عالم الكتب – بيروت ، ط١ ،١٩٨٥م).

[3] أثر النحاة في البحث البلاغي، د.عبد القادر حسين، ص١٦٧(دار قطري بن الفحاءة – قطر ، ط٢، ١٩٨٦م).

[4] الجمعة ، الآية ٥ .

[5] معاني القرآن ، ٣ / ١٥٥ .

[6] البقرة ، الآية ١٧١ .

كفروا فيما يأتيهم من القرآن وإنذار الرسول ، فأضيف التشبيه إلى الراعي ، والمعنى – والله أعلم – في المرعيّ . وهو ظاهر في كلام العرب أن يقولوا : فلان يخافك كخوف الأسد ، والمعنى : كخوفه الأسد ، لأن الأسد هو المعروف بأنه المخوف " [1].

لقد بيَّنَ أنَّ في الآية تشبيهاً مركباً ، إذ شبه صورة الداعي مع الكفار بصورة الراعي مع الغنم ، فكما أن الكافرين لا يسمعون من يدعوهم إلى الإيمان كذلك البهائم لا تسمع من راعيها إلاَّ دوي الصوت دون وعي أو فهم لمضمونه .

ومما له علاقة بذلك ما يتصل بشرح الآية الكريمة : ﴿ ... ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل ... ﴾[2]. يقول " وفي الإنجيل أيضاً كمثلهم في القرآن ، ويقال ، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه ، وشطؤه السنبل ، تنبت الحبة عشراً وثمانياً وسبعاً فيقوي بعضه بعضاً ، فذلك قوله فآزره ، فأعانه وقواه فاستغلظ ذلك فاستوى ، ولو كانت واحدة لم تقم على ساق ، وهو مثل ضربه الله عز وجل للنبي إذ خرج وحده ثم قواه الله بأصحابه كما قوّى الحبة بما نبت منها[3] .

هكذا كانت جهود الفرّاء قيمة ومهمة في إطارها الزمني في دراسة تشبيهات القرآن الكريم ، إذ عرف أسلوب التشبيه بمعناه البلاغي ، وأدرك وجه الشبه ، والمشبه والمشبه به والعلاقة بينهما ، لكنه لم يتعرض لأداة التشبيه ، وكان لا يفرق بين مصطلحي التشبيه والتمثيل ويستخدم أحدهما للدلالة على الآخر . وانماز الفرّاء بذكر ملاحظة دقيقة ، إذ لم يكن يشترط في التشبيه التوافق العددي بين طرفيه من حيث الكمية أو العدد ، وذلك إذا كان المقصود بالأمر الفعل ، لا أعيان الرجال .

ذهب أحد الباحثين إلى أنَّ الفرّاء أول من تفهم التشبيه بمعناه البلاغي ، وأنَّه كان أسبق من الجاحظ، لذلك فهو يدعو الباحثين في نشأة البلاغة العربية أن يعيدوا النظر فيها من جديد[4] . ويخالفه باحث آخر ويعجب من قوله هذا ، ومصدر عجبه – على حد قوله – أنَّ الفرَّاء حين تناول التشبيه لم يكن إدراكه له أكثر من إدراك أبي عبيدة ، وإن أبا عبيدة كان في حديثه عن التشبيه أوضح بكثير من الفرّاء[5] .

---

[1] معاني القرآن ، ١ / ٩٩ .
[2] الفتح ، الآية ٢٩ .
[3] معاني القرآن ، ٣ / ٦٩ .
[4] أبو زكريا الفرّاء ومذهبه في النحو واللغة ، د. أحمد مكي الأنصاري ، ص٢٢٧ ، ٣١٢ ، (مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، القاهرة ، ١٩٦٤م) .
[5] أثر النحاة في البحث البلاغي ، د. عبد القادر حسين ، ص١٦٥ .

هذا كلام تعوزه الدقة والتثبت ، فأبو عبيدة – كما سنرى – لم يُشِرْ إلى التشبيه غير إشارات عابرة باعتباره مجازاً ، ولم يفصل فيه تفصيل الفرّاء عن فهم ودراية[1] .

مهما يكن ، فإنَّ جهود الفراء في فهم التشبيه ، وشرح غريبه ، وتوضيح أركانه ، وإدراك بعض جوانبه ، تعد خطوة متقدمة عن فهم أبي عبيدة ، ورائدة في بواكير البحث البلاغي ، لأنه فصّل في عرض معانيه ، وكان يحلل بعض الصور التشبيهية تحليلاً جاداً مقبولاً في إطار عصره[2]، على الرغم أن الطابع النحوي هو الذي ساد آراءه ووجَّه ملاحظاته. فالتشبيه عنده يرادف المثل ، ويدل على صورة بيانية تطلق في حدود المعنى اللغوي . وكانت توجيهاته في بعض الأحايين نقلاً لأقوال المفسرين في تعليقاتهم على تشبيهات القرآن الكريم . وكأنَّه في ذلك كله يشير إلى أن القرآن لا يخرج عن أساليب العرب ، وفنون القول عندهم خاصة في الشعر .

---

(1) أثر القرآن في تطور النقد العربي ، د. محمد زغلول سلام ، ص٥٧ .

(2) ينظر : معاني القرآن ، ١ / ١٥ ، ١٧ ، ٩٩ . ٢ / ٣٣٠ ، ٣٨٧ . ٣ / ٦٩ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٥٥ ، ٢٢٥ .

٣. أبو عبيدة في " مجاز القرآن " :

شغلت قضية الإعجاز القرآني فكر المسلمين في بواكير التأليف في النقد والبلاغة . وكان سبب تأليف كتاب " مجاز القرآن " لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠هـ) مسألة بيانية في تشبيهات القرآن ، وهو – فيما أعلم – أول مؤلف يبحث في مقابلة أسلوب القرآن بأساليب العرب ، وتقرير أنه نمط منها .

ذكر ياقوت الحموي أن الفضل بن الربيع ، استقدم أبا عبيدة من البصرة إلى بغداد سنة ثمان وثمانين ومئة ، فلقي عنده أحد كتاب الوزير وجلسائه ، وهو إبراهيم بن اسماعيل الكاتب ، الذي سأله قائلاً: قال الله عز وجل:﴿ طلعها كأنه رؤوس الشياطين ﴾[١]وإنما يقع الوعد والإيعاد بما عُرف مثله ، وهذا لم يعرف ، فأجابه أبو عبيدة : إنما كلَّم الله تعالى العرب على قدر كلامهم ، أما سمعت قول امرئ القيس :

أيقتلني والمشرفيُّ مضاجعي ومسنونة زُرقٌ كأنياب أغوال ؟!

وهم لم يروا الغول قط ، ولكنهم لما كان أمرُ الغول يهولهم أوعدوا به، فاستحسن الفضل ذلك، واستحسنه السائل. يقول أبو عبيدة : وعزمت من ذلك اليوم أن أضع كتابا في القرآن في مثل هذا وأشباهه، وما يحتاج إليه من علمه، فلما رجعت إلى البصرة عملت كتابي الذي سميته المجاز[٢] .

المتتبع لكتب البلاغة قد يظن " مجاز القرآن " وفقاً لعنوانه ، كتاباً بلاغياً ، لكنَّه كتاب لغوي ، وإن كان لا يخلو من لمساتٍ بلاغية . يقصد أبو عبيدة بالمجاز المعنى اللغوي ، وقد يعني به التفسير ، وقد يقصد به الميزان الصرفي للكلمة ، فمجاز القرآن عنده الطريق إلى فهمه ، فالتسمية لغوية وليست بالمعنى الاصطلاحي المقابل للحقيقة عند البلاغيين . لذا فمجاز القرآن تفسير لألفاظ القرآن على طريقة اللغويين لا البيانيين ، وهو عنده مفهوم واسع ، يشمل كل وسيلة تعين على فهم القرآن وإدراك معانيه .

وقد عرض أبو عبيدة لتشبيهات القرآن في كتابه . يقول في قوله تعالى : ﴿ تهتزُّ كأنها جانٌّ ﴾[٣]، وفي آية أخرى : ﴿ فإذا هي حية تسعى ﴾[٤]. (فالحيات أجناس فيها الجان وغير ذلك ، والأفعى والحُفّاث ومجازها كأنها جان من الحيات ومجاز الأخرى فإذا هي حية من الجان

---

[١] الصافات ، الآية ٦٥ .

[٢] معجم الأدباء ، ١٩ / ١٥٨ – ١٥٩ (دار المستشرق – بيروت) ، ومجاز القرآن ، مقدمة المحقق د. محمد فؤاد سزكين، ١ / ١٦ (مكتبة الخانجي بالقاهرة) . وبيت امرئ القيس من شواهد التشبيه الوهمي عند العباسي (معاهد التنصيص ، ٢ / ٧-٩) .

[٣] القصص ، الآية ٣١ .

[٤] طه ، الآية ٢٠ .

[1]. وفي قوله تعالى : ﴿ فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ﴾ [2]، " أي كالجبل "[3] . وفي قوله تعالى : ﴿ ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ﴾ [4]، مجازه مجاز قولك إلا كخلق نفس واحدة أي كإحياء نفس لأنّه إذا قدر على ذلك من بعض يقدر على بعث أكثر من ذلك إنما يقول لها : كوني فتكون ، وإذا قدر على أن يخلق نفسا يقدر على خلق أكثر من ذلك)[5] .

لم تخرج ملاحظات أبي عبيدة على تشبيهات القرآن ، في جُلّها ، عمّا قاله معاصروه كسيبويه والفرّاء ، ولم يتعرض فيها للجانب الجمالي . بل ركّز على معنى التشبيه وبيان طرفيه ووجه الشبه والغرض من التشبيه ، والإشارة إلى معنى أداة التشبيه ، أو الإشارة إلى أداة التشبيه المضمرة فيما أتى بغير أداة ، أو تقدير كلمة محذوفة تعلم من السياق. ففي قوله تعالى : ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي يَنعِقُ بمَا لا يَسْمَعُ ﴾ [6]، يرى أنّ هذا من مجاز ما وقع المعنى فيه على المفعول وحُوّل إلى الفاعل ، إذ المعنى على الشاء المنعوق به وحُوّلَ على الراعي الذي يَنعَقُ بالشاء [7]. ويقول في موضع آخر : إنما الذي ينعق الراعي ووقع المعنى على المنعوق به وهي الغنم ؛ تقول : كالغنم التي لا تسمع التي ينعق بها راعيها ؛ والعرب تريد الشيء فتحوله إلى شيء من سببه ، يقولون : اعرض الحوض على الناقة وإنما تعرضُ الناقة على الحوض ، ويقولون : أدخلت القلنسُوة في رأسي ، وإنما أدخلت رأسك في القلنسوة، وفي القرآن : ﴿ ما إنّ مفاتحه لتنوء بالعصبة ﴾ [8]، ما إنّ العُصبة لتنوء بالمفاتح : أي تثقلها. والنعيق : الصياح بها ، قال الأخطل:

انعق بضأنك يا جرير فإنما منّتك نفسك في الخلاء ضلالا[9]

---

[1] مجاز القرآن ، ٢ / ١٠٣. الحقاث : الثعبان ، وفي أساس البلاغة : " منيت بالصلّ النّقّاث ، فتمنيت نفخ الحُقاث " والصلّ : الحية لا تقبل الرُقى .
[2] الشعراء ، الآية ٦٣ .
[3] مجاز القرآن ، ٢ / ٨٦ .
[4] لقمان ، الآية ٢٨ .
[5] مجاز القرآن ، ٢ / ١٢٨ .
[6] البقرة ، الآية ١٧١ .
[7] ينظر مجاز القرآن ، ١ / ١٢، وبيان التشبيه، د. عبد الحميد العيسوي، ص٤٤(مطبعة القاهرة الجديدة ، ط١، ١٩٨٨م).
[8] القصص ، الآية ٧٦ .
[9] مجاز القرآن ، ١ / ٦٣ – ٦٤ .

فهو يدرك أركان التشبيه ، ويوضح معناه . أما في قوله تعالى : ﴿ هُنَّ لباس لكم ﴾ [1]، فيكتفي بالقول: يقال لامرأة الرجل: هي فراشه، ولباسه، وإزاره، ومحل إزاره ، قال الجَعْدي :

إذا ما الضجيع ثنى جيدَها تثنت عليه فكانت لباسا[2]

ويقول أبو عبيدة في قوله تعالى : ﴿ مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا ﴾ [3]، " مجازه : مثل الكافر وهو الأعمى الذي لا يبصر الهدى والحق ولا أمر الله وإن كان ينظر إليه ، وهو الأصم الذي لا يسمع الحق ولا أمر الله وإن كان يسمعه بأذنه ، والمؤمن وهو البصير أي المبصر الحق والهدى ، وهو السامع الذي يسمع أمر الله ويهتدي له، ومجازه مجاز المختصر الذي فيه ضمير كقولك : مثل الفريقين كمثل الأعمى ، ثم رجع الوصف إلى مثل الكافر ومثل المؤمن، فقال : " هل يستويان مثلا " أي لا يستوي المثلان مثلا، وليس موضع " هل " هاهنا موضع الاستفهام ولكن موضعها موضع الإيجاب أنه لا يستويان ، وموضع تقرير وتخبير أن هذا ليس كذلك[4] .

ويكتفي أحيانا بالإشارة إلى تقدير كلمة محذوفة تعلم من السياق ، ففي قوله تعالى : ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد ﴾[5] ، يقول : " مجازه مثل أعمال الذين كفروا بربهم كمثل رمادٍ "[6].

ويشير إلى معنى أداة التشبيه الكاف ، فهي تعني عنده المثل. ففي تفسيره قوله تعالى – يخاطب عيسى عليه السلام – : ﴿ وإذ تخلقُ من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني ﴾[7]، يقول : " أي كمثل الطير "[8].

وكان يستخدم المصطلحات البلاغية باختصار دون إيضاح أو تفسير ، ففي تعليقه على قوله تعالى : ﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾ [9]، يقول إنه : "كناية وتشبيه" [10]، وواضح أن في الآية صورة من صور التشبيه الذي أطلق عليه البلاغيون التشبيه البليغ ، وهو الذي حذف منه أداة التشبيه ووجه الشبه . فتشبيه النساء بالحرث ، لمشابهة ما يلقى في

---

(1) البقرة ، الآية ١٨٧ .
(2) مجاز القرآن ،٦٧/١ .
(3) هود ، الآية ٢٤ .
(4) مجاز القرآن ، ١ / ٢٨٧ .
(5) إبراهيم ، الآية ١٨ .
(6) مجاز القرآن ، ١ / ٣٣٨ .
(7) المائدة ، الآية ١١٠ .
(8) مجاز القرآن ، ١ / ١٨٢ .
(9) البقرة ، الآية ٢٢٣ .
(10) مجاز القرآن ، ١ / ٧٣ .

أرحامهن من النطف التي منها النسل بالأرض التي تحرث للزرع ويلقى البذر فيها ، فيكون منها الثمر . وهذا ما قصده أبو عبيدة بالتشبيه ، وهي صورة بيانية تعد من محاسن التشبيهات القرآنية عند ضياء الدين بن الأثير؛ لما فيها من الحسن الذي يكاد ينقله تناسب التشبيه عن درجة المجاز إلى الحقيقة[1] . أما الكناية فهي في قوله تعالى : ﴿ فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾ ، إذ كنّى بإتيان الحرث في أي كيفية عن وطء المرأة في أي وضع يرغب فيه الزوجان بشرط أن يكون ذلك في الموضع الذي أمر الله بإتيان المرأة منه ، وهو موضع الزرع والحرث . وقد اختصر أبو عبيدة هذا كله بقوله " كناية وتشبيه " من غير تفصيل أو بيان لموضع كل من الكناية والتشبيه.

وكان يخلط في استخدام المصطلح البلاغي كغيره من المفسرين نحو قوله معلقا على قوله تعالى : ﴿ ولا تجعل يدكَ مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ﴾[2] ، " مجازه في موضع قولهم : لا تمسك عمّا ينبغي لك أن تبذل في الحق، وهو مثل وتشبيه "[3]، والظاهر أنّ ههنا استعارتين تمثيليتين لمنع الشحيح وإسراف المبذر ، فالمشبه في الأول هو بخل الشخص بما في يده وامتناعه عن الإنفاق ، والمشبه به جعل اليد مغلولة إلى العنق فاستعمل ما هو موضوع الثاني في الأول ، والمشبه في الثاني إسراف المبذر الذي ينفق دون ضرورة أو حساب ، والمشبه به من يبسط كفه كل البسط ، حتى لا يستقر فيها شيء[4] .

وقد رأى الزمخشري في الآية تمثيلاً [5]، أمّا البيضاوي فرأى فيها تمثيلين [6]. وذهب أبو حيان الأندلسي إلى أنّها استعارة ، استعير فيها للبخل بضم اليد إلى العنق ، كما استعير بسط اليد لإذهاب المال[7] .

وربما يكون أبو عبيدة قصد بقوله " مثل وتشبيه " " استعارة وتشبيه " ، إذ كان القدماء يسمون الاستعارة الأمثال ، فيقولون فلان كثير الأمثال ولقبها بالاستعارة ألزَمُ لأنّه أعَمُّ ، ولأنَّ الأمثالَ كلها تجري مجرى الاستعارة "[8] ، وأشار الإمام الطيبي إلى هذا بقوله : " فالمستعار إذا كان قولاً سَائِرَاً ، يشبه مضربه بموردِه ، سُمِيَ مثلاً ، وإلا سُمِيَ تمثيلاً ، ولورود الأمثال على

---

[1] المثل السائر ، ٢ / ١٣١ – ١٣٢ .
[2] الإسراء ، الآية ٢٩ .
[3] مجاز القرآن ، ١ / ٣٧٥ .
[4] ينظر حاشية الكازروني على تفسير البيضاوي ، ٣ / ٤٤٢ .
[5] الكشاف ، ٢ / ٦٣٦ .
[6] تفسير البيضاوي ، ٣ / ٤٤٢ .
[7] البحر المحيط ، ٦ / ٣١ .
[8] نضرة الأغريض في نُصرة القريض ، المظفر العلوي ، ص١٣٣ . (تحقيق د. نهى الحسن ، مطبعة طربين – دمشق ، ١٩٧٦م) .

سبيل الاستعارة لا نجدُ للتغيير فيها سبيلا " [1]. بذلك قد يكون ما عناه أبو عبيدة أنَّ هذه الاستعارة بما تشتمل عليه من تشبيه خرجت مخرج المثل، فأصبحت مثلاً سائراً يصلح لِكلِّ زمان، وهناك من يذهب إلى أن الاستعارة التمثيلية فرع من تشبيه التمثيل[2].

ومثله أيضاً ما أورده ، إذ قال : إن مجاز قوله تعالى : ﴿ فأتى الله بنيانهم من القواعد ﴾[3] مجاز المثل والتشبيه ، والقواعد الأساس إذا استأصلوا شيئاً قالوا هذا الكلام ، وهو مثل[4] . وقد رأى الزمخشري في الآية تمثيلا[5] . وكذا قال أبو حيان الأندلسي[6] ، والواضح أنها استعارة تمثيلية ، إذ شبه حال الماكرين في وضع الحيل وقصد هلاك العدو ورجوع وخامة عاقبة المكر إليهم بمن بنى بنياناً قصد به هلاك العدو ، فأنهار البنيان من قواعده فانقلب مكرهم عليهم ، ومن هذا يعلم أن في المشبه به محذوفاً وهو قصد صاحب البنيان المكر بعدوه حتى يتم التشبيه . ورأى البيضاوي أنه على سبيل التمثيل ، فقد شبه الله الذين يحاولون النيل من المؤمنين ، وإيقاع الضرر بهم ، بمن قبلهم من الماكرين الذين نصبوا الحيل والشباك ليمكروا بها رسل الله ، عليهم الصلاة والسلام ، فاتاها أمر الله من جهة العمد التي بنوا عليها بأنّ ضُعْضِعت ، فخر عليهم السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم ، وأتاهم العذاب من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون ، وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف ذراع ليترصد أمر السماء ، فأهَبّ الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا[7] .

وعقب على قوله تعالى : ﴿ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خيرٌ أم من أسس بنيانه على شفا جُرُفٍ هارٍ۞ فانهار به في نار جهنَّم والله لا يهدي القومَ الظالمين ﴾ [8] بقوله : هار مجاز هائر ، ومجاز الآية مجاز التمثيل ، لأن ما بنوه على التقوى أثبت أساساً من البناء الذي بنوه على الكفر والنفاق ، فهو على شفا جرف ، وهو ما يجرف من سيول الأودية فلا يثبت البناء عليه[9] .

---

(1) التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، ص ١٩٧(تحقيق د. هادي الهلالي، عالم الكتب،ط١، ١٩٨٧م).
(2) البلاغة فنونها وأفنانها ؛ علم البيان والبديع ، د. فضل حسن عباس ، ص١٩٩ (دار الفرقان – الأردن ، ط١، ١٩٨٧م) .
(3) النحل ، الآية ٢٦ .
(4) مجاز القرآن ، ١ / ٣٥٩ .
(5) الكشاف ، ٢ / ٥٧٨ .
(6) تفسير البحر المحيط ، ٥ / ٤٨٥ .
(7) الكشاف للزمخشري ، ٢ / ٥٧٨ ، وتفسير البيضاوي ، ٣ / ٣٩٣ .
(8) التوبة ، الآية ١٠٩ .
(9) مجاز القرآن ، ١ / ٢٦٩ .

وهكذا رأى أبو عبيدة أن في الآية تمثيلاً ، ولم يشر إلى الاستعارة فيها ، فهو لم يفرق بين التشبيه والتمثيل ، كذلك لم يوضح الاستعارة في الآية ، لأن قوله " أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله " استعارة ، فقد شبه التقوى والإيمان بقاعدة يعتمد عليها البناء ، وفي الآية بمجملها استعارة تمثيلية ، حيث شبه المنصرف عن أمور دينه ، بمن بنى بنيانه على شفا جرف هارٍ ، وهي أضعف القواعد وأرخاها ، فأدى به لخوره وقلة استمساكه إلى السقوط في النار . فحذف المشبه ، وهو النفاق وعدم التقوى ، وذكر المشبه به وهو البناء الآيل للسقوط على سبيل الاستعارة التمثيلية .

ورأى البيضاوي أنه " إنما وضع شفا الجرف ، وهو ما جرفه الوادي الهائر في مقابلة التقوى تمثيلاً لما بنوا عليه أمرَ دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ، ثم رشحه بانهياره به في النار ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيها على أن تأسيس ذلك على أمر يحفظه من النار ويوصله إلى رضوان الله ومقتضياته التي الجنة أدناها "[1] . والبيضاوي هنا موافق الزمخشري الذي اتسع في إدراك الصورة فرأى أن الآية وضعت شفا الجرف في مقابلة التقوى ؛ لأنه جعل مجازاً عما ينافي التقوى ، أما قوله : " فانهار به في نار جهنم " فمعناه أنه لما جعل الجرف الهائر مجازاً عن الباطل قيل : فانهار به في نار جهنم ، على معنى : فطاح به الباطل في نار جهنم ، إلا أنه رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف ، وليصور أن المبطل كأنه أسس بنياناً على شفا جرف من أودية جهنم ، فانهار به ذلك فهوى في قعرها "[2] .

ومن المهم أن نفهم أنَّ أبا عبيدة كان على معرفة بالتشبيه والتمثيل لونين من ألوان التعبير ، ولم يهتم في الآية بكلمة (هائر) وحدها ، إنّما اهتم بالصورة البيانية بتمامها ، بيد أن فهمه للصورة البيانية التي رسمها للتشبيه ، لا يتعدى المفهوم اللغوي ، فهو يتعرض لكل الفنون البيانية المتعلقة بالأسلوب ، ويعدها من المجاز اللغوي[3] .

وبعد استعراض جهود أبي عبيدة في تشبيهات القرآن الكريم ، يمكننا أن نقول : إنه أدرك التشبيه بأركانه ؛ المشبه والمشبه به ، وأداة التشبيه ، ووجه الشبه ،وأدرك أن التشبيه علاقة تقوم على أداة قد تذكر أو لا تذكر . وأماط اللثام عن وجه الشبه الذي يجمع طرفي التشبيه . ونرى مفهوم التشبيه عنده يتسع ليشمل معظم فنون علم البيان ، من استعارة ، واستعارة تمثيلية ، وتمثيل ومثل ، إذ لم يفرق بين مفاهيم هذه المصطلحات البلاغية . لذلك لم

---

[1] تفسير البيضاوي ، ٣ / ١٧٣ .
[2] الكشاف للزمخشري ، ٢ / ٣٠١ .
[3] أثر القرآن في تطور النقد العربي ، د. محمد زغلول سلام ، ص٤٧ .

نر أي تقسيمات لضروب التشبيهات أو تحديد لأنواعها . وإجمالاً قدم أبو عبيدة في تعليقاته وشروحه على معاني آيات التشبيه القرآني مادة ثرة في إطار عصره ، على الرغم من أنها مختصرة ، ويعوزها الإيضاح والتفسير وتحديد المصطلح .

ولقد كانت هذه الملاحظات القيمة على تشبيهات القرآن الكريم نواة لجهود لاحقيه ، توسعوا من خلالها ، وبنوا على أركانها في إيضاح معمار التصوير الفني في القرآن الكريم .

٤. الأخفش الأوسط في "معاني القرآن " :

أبو الحسن سعيد بن مسعدة (ت٢١٥هـ) لغوي متكلم معتزلي[١] ، وكتابه " معاني القرآن " تفسير لغوي لمعاني القرآن ، أفاد منه علماء اللغة والتفسير لما يضم من ثروة لغوية في توضيح المعاني المعجمية لألفاظ القرآن الكريم أمثال ثعلب وأبي علي الفارسي، وابن جني، وأبي حيان الأندلسي، والزمخشري، والجوهري،وابن منظور، وغيرهم [٢].

كان الأخفش ينأى بالذات الإلهية عن التشبيه ، ويأتي بالمعنى المجازي للفظ ، فاليد عنده تعني العطية والنعمة ، فيورد آيات متعددة ليؤكد أنّ يد الله هي نعمته ، ويستند في ذلك إلى الاستعمال العربي،وينفي عن الخالق كل تشبيه وتجسيد كما في مذهب المعتزلة[٣].

تناول التشبيه القرآني في قوله تعالى : ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق ﴾ [٤]، فقال : " فإنما هو – والله أعلم – : مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به ، فحذف هذا الكلام ، ودلّ ما بقي على معناه ، ومثل هذا في القرآن كثير . وقد قال بعضهم ... مثلهم في دعائهم الآلهة كمثل الذي ينعق بالغنم ، لأنّ آلهتهم لا تسمع ولا تعقل كما لا تسمع الغنم ولا تعقل "[٥] .

وفسّر التشبيه في قوله تعالى : ﴿ مثل نوره كمشكاةٍ فيها مصباح ﴾[٦] فقال : " كمشكاة أي : كمثل مشكاةٍ... فالمصباح في المعنى : أنّ مثل ما أنار من الحق في بيانه كمثل المشكاة، ليس لله مثل تبارك وتعالى "[٧] .

وقال في قوله تعالى : ﴿ إنّها ترمي بشرر كالقصر ﴾[٨]: " أي كالقصور ، وقال بعضهم ﴿.. كالقصَر ..﴾ أي كأعناق الإبل . وقال ﴿ كأنه جمالاتٌ صُفرٌ ﴾[٩]، بعض العرب يجمع "

---

[١] بغية الوعاة فيطبقات اللغويين والنحاة ، السيوطي، ١ / ٥٩٠ ، وإنباه الرواة على أنباه النحاة ، القفطي ، ٢ / ٣٩ .

[٢] معاني القرآن ، مقدمة المحقق د. فائز فارس ، ١ / ٥٧ (ط٢ ، ١٩٨١م).

[٣] معاني القرآن ، ١ / ٢٦١ . يجدر الذكر أنّ المعتزلة عدّوا الكلمات التي تحمل معنى التجسيم والتشبيه ، والتي تشبه الله بخلقه مجازاً أو رموزاً ، فقالوا فم الله هو إرادته ، لأننا باللسان نملي إرادتنا ، وسمعه لا يعني إلاّ استعداده لقبول الدعاء ، وعينه تعالى ليست سوى قدرته على معرفة كل شيء ومراقبته (المعتزلة ، زهدي جار الله ، ص٢٩ ، ط مصر ١٩٤٧م) .

[٤] البقرة ، الآية ١٧١ .

[٥] معاني القرآن ، ١ / ٤٨ .

[٦] النور ، الآية ٣٥ .

[٧] معاني القرآن ، ٢ / ٤٢٠ – ٤٢١ .

[٨] المرسلات ، الآية ٣٢ .

[٩] المرسلات ، الآية ٣٣ .

الجمال " على " الجمالات " كما تقول " الجُزُرات " وقال بعضهم ﴿ .. جُمالات .. ﴾ وليس يعرف هذا الوجه "[1] .

وبيّن نوع الكاف في قوله تعالى: ﴿ أو كالذي مرَّ على قريةٍ ﴾[2] فقال : فـ " الكاف " تزاد في الكلام ، والمعنى : ألم تر إلى الذي حاجَّ إبراهيم في ربِّه أو الذي مرَّ على قرية . ومثلها في القرآن ﴿ ليس كمثله شيء ﴾[3] والمعنى : ليس مثله شيء . لأنَّه ليس لله مثل . وقال الشاعر :

فصُيِّروا مثل كعصفٍ مأكول

والمعنى : صُيِّرُوا مثلَ عَصفٍ ، والكاف زائدة "[4] .

وفسَّر بعض معاني ألفاظ التشبيهات القرآنية نحو قوله تعالى : ﴿ كمثل صفوانٍ ﴾[5] يقول : " والواحدة صَفوانة ، ومنهم من يجعل الصفوان واحداً ، فيجعله الحجرَ ، ومن جعله جميعا جعله الحجارة ، مثل التمرة والتمر "[6] . وقوله تعالى : ﴿ كمثل جنةٍ بربوةٍ ﴾[7] يقول : " وقال بعضهم : برَبْوةٍ ، و بربوةٍ ، وبربَاوَةٍ ، كلٌّ من لغات العرب ، وهو كلٌّ من الرابية ، وفعله ربَا يَربُو "[8] . وقوله تعالى : ﴿ كالعهن المنفوش ﴾[9] يقول : " واحدها العِهنة مثل : الصوف والصوفة "[10] .

وعرض للتشبيه في قوله تعالى : ﴿ وتركهم في ظلماتٍ لا يبصرون صُمٌّ بُكمٌ عُميٌ فهم لا يرجعون ﴾[11] فلم يشر إليه من الناحية البلاغية وإنما أوضح موقعه الإعرابي ، يقول : " فرفع على قوله : هُمْ صُمٌّ بُكمٌ عُميٌ ، رفعه على الابتداء ، ولو كان على أول الكلام كان النصب فيه حسنا "[12] .

بذا كانت للأخفش نظرات صائبة ، ولمحات خاطفة في تشبيهات القرآن ، إذ عرض لبعض أنواعه ، وإن لم يذكرها بأسمائها التي اصطلح عليها البلاغيون ، وأشار إلى طرفي التشبيه ، وفسّر بعض ألفاظه ، وكان فهمه للتشبيه القرآني فهماً لغوياً محضاً على الرغم من

---

(1) معاني القرآن ، ٢ / ٥٢٢ – ٥٢٣ .
(2) البقرة ، الآية ٢٥٩ .
(3) الشورى ، الآية ١١ .
(4) معاني القرآن ، ٢ / ٣٠٣ . وينظر : ١ / ١٨٢ .
(5) البقرة ، الآية ٢٦٤ .
(6) معاني القرآن ، ١ / ١٨٤ .
(7) البقرة ، الآية ٢٦٥ .
(8) معاني القرآن ، ١ / ١٨٤ .
(9) القارعة ، الآية ٥ .
(10) معاني القرآن : ٢ / ٥٢٢ .
(11) البقرة ، الآيتان ١٧ – ١٨ .
(12) معاني القرآن ، ١ / ٤٩ .

ذلك فقد أسهم بنصيبٍ ما في تشبيهات القرآن ، وإن كان قليلاً إذا مـــا وزن بـــأثر معاصـــريه الفرّاء وأبي عبيدة .

٥. ابن قتيبة الدينوري في " تأويل مشكل القرآن " :

حظي أسلوب التشبيه بعناية ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) واهتمامه في مصنفاته ، ومنها كتابه " تأويل مشكل القرآن " ، إلا أنه لم يفرد له فيه باباً مستقلاً ، بل تناوله ضمن المباحث البلاغية الأخرى ، على الرغم من أهمية التشبيه في بلاغة القرآن ، ودوره في إيضاح جماليات صوره الفنية . وقد ذكره في المقدمة مع أقسام المجاز وسماه التمثيل ، وهو يخبرنا في كتابه هذا أن القرآن نزل بلغة العرب. يقول : " وللعرب المجازات في الكلام ، ومعناها: طرق القول ومآخذه ، ففيها : الاستعارة ، والتمثيل ، والقلب ، والتقديم ، والتأخير ، والحذف ، والتكرار ، والإخفاء ، والإظهار ، والتعريض ، والإفصاح ، والكناية ، والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع ، والجميع خطاب الواحد ، والواحد والجميع خطاب الاثنين ، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم وبلفظ العموم لمعنى الخصوص ؛ مع أشياء كثيرة ستراها في أبواب المجاز ، وبكل هذه المذاهب نزل القرآن "[١] .

وأفرد هذه المباحث البلاغية كل مبحث بباب مستقل ، لكنه لم يتحدث عن التشبيه مبحثاً مستقلاً ، بل تناوله مفرقاً ضمن المباحث السابقة جميعها . ويلحظ قارئ "تأويل مشكل القرآن " تأثره بأبي عبيدة في " مجاز القرآن " في صوغ الأفكارو وعرض الآيات القرآنية المشكلة . والفقرة السابقة تبرز هذا التأثر أسلوباً ومضموناً . كذلك يلحظ تأثره بالجاحظ في ظاهر عمله من الرد على الملاحدة ، وإن كان ابن قتيبة سنيّاً محافظاً ، والجاحظ معتزليا [٢]. ويمكن رد عدم تبويب ابن قتيبة للتشبيه للأسباب الآتية:

أولاً : إن الحقبة التي عاش فيها ابن قتيبة وسجل ملاحظاته البلاغية خلالها كانت البلاغة العربية في أول طفولتها منثورة في مسائل العلوم الأخرى . يدعم هذا أن ما ذهب إليه

---

[١] تأويل مشكل القرآن، ص٢٠– ٢١(شرحه ونشره السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية– بيروت، ط٣ ، ١٩٨١م) .

[٢] على الرغم من عدائه للمعتزلة فابن قتيبة تأثر بالجاحظ، وروى كتبه، ونقل منها، وتبنى بعض آرائه، وكمّل دوره في الدفاع عن العرب، والرد على الشعوبية بصورة مباشرة في مثل"كتاب العرب وعلومها" ، وصورة غير مباشرة في كتبه " الأنواء" و " الأشربة " و " الحيل " ليثبت أن في الشعر العربي ما يضاهي حكم الفلاسفة وعلوم العلماء . ولأن أكثر الشعوبيين تأثيراً من طبقة الكتاب وجّه لهم كتبه نحو " أدب الكاتب " و " عيون الأخبار " و " المعارف " و " الشعر والشعراء " (تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. إحسان عباس ، ص٩٢ – ٩٣). ويجدر التنويه أن ابن قتيبة أتهم بأنه من المشبهة الكرامية قال عنه ابن حجر العسقلاني : " كان يميل إلى التشبيه " ، ونقل عن البيهقي " انه كان كراميا " (لسان الميزان ، ٣ / ٤١٤ – ٤١٥) والكرامية فرقة من المشبهة نسبة لمحمد بن كرام . يمكن الاستئناس بمقالة " ابن قتيبة بين أسلوب التشبيه ومذهب المشبهة " لمحمد عروي، مجلة دعوة الحق ، العدد : ٣٧ ، ١٩٩٦م ، ص٨١-٨٤ .

عبد القاهر الجرجاني واصفاً جهود سابقيه بأنها كالرمز والإيحاء والإشارة في خفاء ، وبعضها كالتنبيه على مكان الخبيء ليطلب، وموضع الدفين ليبحث عنه فيخرج[1] .

ثانيا : إن ابن قتيبة تَعَمدّ عدم عقد باب خاص بالتشبيه ، لخطورة شأوه ، خاصة إذا أراد أن يعالج فيه قضية تشبيه الذات الإلهية بالمخلوقين ، إذ لا يكفي باب لمعالجة هذه القضية، بل تحتاج إلى كتاب خاص ، لذلك أفرد لها مصنفه الموسوم (الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة)[2] ،وإن كان التشبيه فيه يتصل بأمور العقيدة أكثر من وشائجه مع البلاغة . والسبب ، على حد قول أحد الباحثين يرتد إلى " أسباب عقيدية لابست نشاطه اللغوي ومشاركته في البلاغة ، فبعض المصادر القديمة تتهمه بالانتماء إلى المشبهة ، وأصل هذه التهمة وقوف ابن قتيبة من بعض الآيات المحتوية على تشبيه الذات الإلهية عند ظاهرها دون تاويل "[3] .

أخيراً : كان هدف ابن قتيبة من دراسته للمباحث البلاغية فهم أسرار القرآن ، والرد على الطاعنين من جهة ، ودعوة العرب من جهة أخرى لفهم أسرار اللغة العربية ، لينبروا مدافعين عن حياض دينهم وعقيدتهم ، ورسم لنفسه منهجاً تطبيقياً ، وتناول بَعْضَ المسائل البلاغية التي منها التشبيه كتطبيق هدف منه إيضاح أفكاره في فهم أسرار القرآن ، وبيان مراميه وأهدافه، وجمال تصويره، وقوة تأثيره، وحُسْن نظمه، وعظمةِ أسلوبه،ودقة إعجازه[4].

وللتشبيه أهمية عند ابن قتيبة في تربية الملكة الفنية ، إذ عدّ الإصابة في التشبيه من أسباب حفظ الشعر واختياره . يقول : " ليس كل الشعر يختار ويحفظ على جودة اللفظ والمعنى، ولكنه قد يختار ويحفظ على أسباب : منها الإصابة في التشبيه "[5] .

ونجد عنده إشارات واضحة في مواطن متعددة عن التشبيه عامة وسماته وأبرز خصائصه ، وله فيه بعض اللمحات النقدية ، كما أنَّه تناولَ تشبيهات القرآن الكريم خاصة بالإيضاح والتفسير .

كان يستعمل التمثيل مرادفا للتشبيه . يقول : " المَثَل بمعنى الشبَه ، يقال : هذا مَثَلُ الشيء ومِثْله ، كما يقال : شَبَه الشيء وشِبهه ، قال الله تعالى : ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله

---

[1] دلائل الإعجاز ، ص٣٤ .

[2] صحح الكتاب وعلق عليه الأستاذ محمد زاهد الكوثري ، ونشرته مكتبة القدسي – القاهرة عام ١٩٢٩م . وطبع مرة أخرى في بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٥م.

[3] التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره حتى القرن السادس ، د.حمادي صمود ، ص٣٣٥ (منشورات الجامعة التونسية – تونس ، ١٩٨١م).

[4] ابن قتيبة ومقاييسه البلاغية والأدبية والنقدية ، د. محمد الحربي ، ص١٤٣ (المنشأة العامة للنشر ، طرابلس – ليبيا ، ط١ ، ١٩٨٤م) .

[5] الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، ١ / ٢٩ .

[1]، إذ نجده يفسر الجانب اللغوي فقط دون أن يُحَلّ الصورة التشبيهية فيقول : " فإنما يريد بالكفار الزُراع ، واحدهم كافر ، وإنما سُمِّيَ كافراً لأنه إذا ألقى البذر في الأرض كفره أي غطاه ، وكل شيء غطيته فقد كفرته ، ومنه قيل : تكفر فلان في السلاح إذا تغطى ، ومنه قيل لليل كافر ؛ لأنه يستر بظلمته كل شيء " [2].

وكان يُفصّل القول أحياناً في التشبيه التمثيلي دون أن يسميه ، ففي قوله تعالى: ﴿ ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمَّة هي أربى من أمَّةٍ ﴾[3]، يقول : هذا مثل لمن عاهد الله وحلف به ، فقال تعالى : ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ﴾ [4]، فتكونوا إن فعلتم كامرأة غزلت غزلاً وقوّت مِرَّته وأبرمته ، فلما استحكم نقضته فجعلته أنكاثاً ، والأنكاث : ما نُقِضَ من أخلاق بيوت الشعر والوبر ليُغزل ثانية ويعاد مع الجديد ، وكذلك ما نُقِضَ من خلق الخزّ ومنه قيل لمن أعطاك بيعة على السمع والطاعة ، ثم خرج عليك : ناكث ، لأنه نقض ما وكد على نفسه بالأيمان والعهود ، كما تنقض الناكثة غزلها "[5]. بذا أوضح الصورة التشبيهية بين ناقض العهد ومن نقضت غزلها المحكم النسج بجامع الفساد والنقض لمتقن محكم. وهذا في منتهى الفساد والقبح لمن يخلف الوعد وينقض العهد .

ونراه يشير للتمثيل في قوله تعالى : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً ﴾[6]، فيقول : أي كالسراب يحسبه العطشان من البعد ماء يرويه ﴿ حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ﴾ كذلك الكافر يحسب ما قدم من عمله نافعه حتى إذا جاءَه أي مات ، لم يجد عمله شيئاً ؛ لأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قد أبطله بالكفر ومحقه [7].

ويقول في قوله تعالى : ﴿ أو كظلمات في بحر لجي ، يغشاه موجٌ من فوقهِ موجٌ من فوقهِ سحابٌ، ظلمات بَعْضُها فوقَ بعضٍ ﴾[8]، يريد أنّه في حيرة من كُفره كهذه الظلمات [9].

وكان يرى التشبيه صورة من صور الخروج عن الحقيقة ، فالتشبيه عنده تبديل للمعنى ، وليس حقيقة صرفة ، ففي قوله تعالى : ﴿ وقلن حاشا للهِ ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كَريمٌ ﴾

---

[1] الحديد ، الآية ٢٠ .
[2] تأويل مشكل القرآن ، ص٧٥ – ٧٦ .
[3] النحل ، الآية ٩٢.
[4] النحل ، الآية ٩١ .
[5] تأويل مشكل القرآن ، ص٣٨٦ .
[6] النور ، الآية ٣٩ .
[7] تأويل مشكل القرآن ، ص٣٢٩ .
[8] النور ، الآية ٤٠ .
[9] تأويل مشكل القرآن ، ص٣٢٩ .

[1]، يقول : " لم يردن بهذا القول أنه ليس من البشر على الحقيقة ، وأنه من الملائكة على الحقيقة ، وإنما قلنه على التشبيه ، كما يقول القائل في رجل يصفه بالجمال ، ما هو إلا الشمس ، وما هو إلا القمر ، وفي آخر يصفه بالشجاعة ، ما هو إلا أسد "[2] .

وتوسع ابن قتيبة في تناول أركان التشبيه ، فتناول أدواته وطرفيه ووجه الشبه وأنواعه . ومن الأدوات التي تناولها : كما وكأن والكاف ، فقد ذكر الأولى في قوله : " كما " تأتي لتشبيه الشيء ، كقوله تعالى : ﴿ كما أخرجك ربّكَ من بيتكَ بالحق ﴾[3][4] ، ويقول في الأخريين (كأنَّ تشبيه ، وهي " أنَّ " أدخلت عليها " كاف التشبيه " الخافضة ، ألا ترى أنك تقول : شربت شرابا كعسل ، وشربت شرابا كأنّه عسل ، فيكونان سواء ؟! وقد يخفف كأنَّ ، ويحذف الاسم فيكون كالكاف)[5] .

ويقول في موضع آخر مُعلّقا على آية الأنفال : إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم رأى يوم بدر قلة المسلمين وكراهية كثير منهم للقتال ، فنفل كل امرئ منهم ما أصاب ، وجعل لكل من قتل قتيلاً كذا ، ولمن أتى بأسير كذا ؛ فكره ذلك قوم ، فتنازعوا واختلفوا وحاجوا النبي صلى الله عليه وسلم ، وجادلوه فأنزل الله سبحانه : ﴿ يسألونك عن الأنفال ﴾[6] إلى قوله : ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، وإنَّ فريقا من المؤمنين لكارهون ﴾[7]، يقول ابن قتيبة: يريد : إن كراهتهم لما فعلته في الغنائم ككراهتهم للخروج معك ، كأنه قال : هذا من كراهيتهم كما أخرجك وإياهم ربُّك وهم كارهون "[8] .

وفصّل ابن قتيبة القول في طرفي التشبيه ، يقول في قوله تعالى : ﴿ كأنّهن بيضٌ مكنون ﴾[9] العرب تشبه النساء ببيض النعام ،...، والمكنون : المصون ، يقال : كنت الشيء، إذا صنته ، وأكنته أخفيته [10]، وفي قوله تعالى : ﴿ إنها ترمي بشرر كالقصر ، كأنها جمالات صفر ﴾[11]. والذي جاء التشبيه فيها لتوضيح صورة النار في الأذهان وبيان مدى قوة تطاير

---

[1] يوسف ، الآية ٣١ .
[2] تأويل مختلف الحديث ، ص٣١٨ .
[3] الأنفال ، الآية ٥ .
[4] تأويل مشكل القرآن ، ص٣٠ .
[5] المصدرنفسه ، ص٥٢٨ .
[6] الأنفال ، الآية ١ .
[7] الأنفال ، الآية ٥ .
[8] تأويل مشكل القرآن ، ص ٢٢٠ – ٢٢١ .
[9] الصافات ، الآية ٤٩ .
[10] تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ، ص٣٧١ (تحقيق أحمد صقر ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٩٧٨م).
[11] المرسلات ، الآيتان : ٣٢ ، ٣٣ .

شررها. واعترض بعض المعترضين على التشبيه بالجمالات لأنهم توهموا أنَّ هُناك بُعْداً في وجه الشبه بين طرفي التشبيه ، فرد عليهم ابن قتيبة بقوله : " فمن قرأه بتسكين الصاد ، أراد القصْر من قصُور مياه الأعراب . ومن قرأه القصَر شبَّهه بأعناق النخل ، ويقال بأصوله إذا قُطع . ووقع تشبيه الشرر بالقصر في مقاديره ، ثم شبهه في لونه بالجمالات الصُفر وهي السود ، والعرب تسمي السود من الإبل صفرا ، ... والشيء إذا تطاير فسقط وفيه بقية من لون النار أشبه شيء بالإبل السود لما يشوبها من الصُفرة "[1] . فابن قتيبة يرى أنَّ القصر هنا إما أن يكون بالسكون فهو قصر من القصور المبنية [2]، أو بالفتح فهو أعناق النخل أو أصوله إذا قُطع ، والتشبيه الأول منصب على المقدار – التشبيه بالقصر – أما اللون فالمقصود ببيانه التشبيه الثاني وهو لون الجمالات ، ثم يرى أن المقصود بالصُفر هنا السود لتسمية العرب الأسود أصفر ، وسود الإبل صفرا قال الأعشى :

تِلكَ خَيلِي مِنها وتِلكَ ركابي هُنَّ صُفرٌ أولادُها كالزَّبيبِ

أي هنَّ سود . ويعلل الصلة بين الصفرة والسواد ، واختلاط اللونين في الاسم فيقول : " إنما سميت الإبل صفرا لأنه يشوب سوادها شيء من صفرة ، كما قيل لبيض الظباء أدم ؛ لأنَّ بياضها تعلوه كُدرة "[3] ، ثم يشرح دقة التشبيه في الآية ، والقصد من الجمع بين الصفرة والسواد لإبراز لون الشرر المتطاير ، وهو يتساقط . وهذه من لمحاته النقدية ، فهو لا يشترط في التشبيه التكامل بين صورتي المشبة والمشبه به ، فقد يقع التشبيه في جزء أو مقدار من المشبه به ، أو في حالة من حالاته يكتفي به لرسم الصورة التشبيهية وإيضاحها . فقد وقع التشبيه في مقدار المشبه به وحجمه ، ثم جاء التشبيه باللون ، فلم يشبهه بمجمله أي بسواده الذي يغلب عليه ، وإنما كان باللون الذي يشوب هذا السواد وهو الصفرة . وبذا أوضح طرفي التشبيه ووجهه في الآية الكريمة .

وأشار إلى طرفي التشبيه ووجهه معا في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنَّه رؤوس الشياطين ﴾ [4]يقول : " والشياطين حيّات خفيفات الأجسام قبيحات المناظر . قال الشاعر وذكر ناقة :

تُلاعِبُ مَثْنَي حَضرَميّ كأنه تَعمُّجُ شيطان بذي خِروعٍ قفرِ [5]

---

[1] تأويل مشكل القرآن ، ٣٢٠ – ٣٢١ .

[2] القصْر : الدار الكبيرة المشيدة ، والقصر قطع من الخشب قدر الذراع يستعد بها للشتاء ، واحده قصرة ، والجمهور بإسكان الصاد في القصر (تفسير البحر المحيط لأبي حيان ، ٨ / ٤٠٢) .

[3] تأويل مشكل القرآن ، ص٣٢١ .

[4] الصافات ، الآيتان ٦٤ – ٦٥ .

[5] المثني : زمام الناقة ، والحضرمي : منسوب إلى حضرموت ،والتعمج : التعاوي والشيطان : الحية .

يعني زماماً شبه تلويه بتلوي الحيّة ... وذهب بعض المفسرين إلى أنه أراد الشياطين بأعيانها. شبه ثمر هذه الشجرة في قبحه برؤوسها ، وهي إن لم تُرَ ، فإنها موصوفة بالقبح معروفة به " [1].

ونلاحظ أن ابن قتيبة أشار إلى المشبه ، وهو ثمر الشجرة الملعونة في القرآن ، والمشبه به وهو الحيات أو الشياطين بأعيانها ، ووجه الشبه وهو القبح . فنراه يوضح أركان التشبيه الوهمي السابق توضيح العالم الخبير بلغة العرب وآدابهم مبيناً كل الوجوه والاحتمالات الممكنة ، رادا على الطاعنين في القرآن القائلين بأن المشبه مجهول ، وإنما يكون التشبيه بالمعلوم مستشهداً على ذلك من شعر العرب .

كذلك ردَّ على منكري وجود الشجرة الموصوفة في الآية الآنفة الذكر بقولهم : هل يجوز أن يكون في النار نبات شجر ، والنار تأكلهما ؟[2] بجواب قريب من آراء المعتزلة وبعض المتكلمين كالجاحظ الذين يرون أن هذه الأشجار التي ورد ذكرها في القرآن في الجحيم وسط النار والسلاسل والأغلال والعقارب والحيّات . يرى أنها أسماء فقط ، عبر بها القرآن في صور مادية لإثارة الخيال ومحاولة التأثير في النفس عن طريق الحس ، والتشبيهات القرآنية في هذا المضمار تعمل على ربط هذه الصور الذهنية المجردة بالمحسوسات لصد التأثير . يقول ابن قتيبة : " وأما قولهم كيف يكون في النار نبت وشجر والنار تأكلهما ؟ فإنه لم يرد – فيما يرى أهلُ النَّظر – والله أعلم – أنَّ الضريع بعينه ينبت في النار ولا أنهم يأكلونه ، والضريع من أقوات الأنعام ، لا من أقوات الناس ، وإذا وقعت الإبل فيه لم تشبع وهلكت هُزْلاً . قال الهُذلي يذكر إبلاً وسوء مرعاها :

وحُبسن في هَزْم الضريع فكُلُّها حَدْباءُ دَامية اليدين حَرُودُ

فأراد أن هؤلاء القوم يقتاتون مالا يشبعهم ، وضرب الضريع لهم مثلاً ، أو يعذَّبون بالجوع كما يعذب من قوته الضريع " [3]، ويضيف : " وقد يكون الضريع وشجرة الزقوم نبتتين من النار ، أو من جوهرٍ لا تأكله النار ، وكذلك سلاسل النار وأغلالها وأنكالها وعقاربها وحياتها لو كانت على ما نعلم ، لم تبقَ على النار ، وإنما دلنا الله سبحانه على الغائب عنده بالحاضر عندنا ، فالأسماء متفقة للدلالة ، والمعاني مختلفة "[4] .

---

[1] تأويل مشكل القرآن ، ص٣٨٨ – ٣٩٠ .
[2] المصدر نفسه ، ص٢٧ .
[3] المصدر نفسه ، ص٦٩ .
[4] المصدر نفسه ، ص٧٠ .

هكذا يمضي ابن قتيبة في رصد أركان تشبيهات القرآن ، محدداً طرفي التشبيه ووجه الشبه ، ومحللاً الصور البيانية . يقول في قولـــه تعالى : ﴿ كالعرجون القديم ﴾ [١] وإذا صار القمـــر في آخر منازله دقَّ حتى يعود كالعرجون القديم، وهو العِذقُ اليابس . والعرجون إذا يـــبس دَقَّ واستقوس حتى صار كالقوس انحناء ؛ فشبه القمرُ به في ليلة ثمانية وعشرين[٢] . وبذا يرســـم الصورة التشبيهية موضحا طرفي التشبيه وأداته ووجهه .

ولم يظهر عنده تحديد صـــريح لأنواع التشبيهات القرآنية ، ففي قولـــه تعـــالى :﴿ وأزواجـــه أمهاتهم ﴾ [٣] يقول : أي كأمهاتهم في الحرمات[٤] . والمعروف أن هذا من التشبيه البليغ عنـــد البلاغيين المتأخرين ، وقد بين وجه الشبه وهو الحرمات .

وكان يطلق مصطلح الاستعارة على بعض صور التشبيه. من أمثلة ذلك وقوفه عند قوله تعالى : ﴿ نساؤكم حرث لكم ﴾[٥] أي مزدرع لكم كما تزدرع الأرض[٦] . فيتضح أنـــه يـــرى فـــي التشبيه لونا من الاستعارة ، ولأنه يدخل التشبيه في الاستعارة ، فهو عنده مجاز . وكذا تعليقـــه على قوله تعالى : ﴿ هن لباس لكم وأنتم لباس لهـــنَّ ﴾ [٧] بقولـــه : " لأن المـــرأة والرجـــل يتجردان ويجتمعان في ثوب واحد ، ويتضامان فيكون كل واحد منهما للآخر بمنزلة اللبـــاس . قال النابغة الجعدي [٨]:

إذا ما الضجيع ثنى جيدها تداعت عليه فكانت لباسا [٩]

فالملاحظ أنّ في الآيتين تشبيها بليغا وليس استعارة ، إذ شبَّه النساء بـــالأرض التـــي تحـــرث للزرع ، لأن رحم المرأة يزرع فيه الولد كما يزرع البذر في الأرض . وشبه المرأة باللبـــاس للرجل ، وشبه الرجل باللباس للمرأة في أنَّ كلاً منهما ستر لصاحبه ، ولعل هذا هو السبب في خلطه بين التشبيه والاستعارة .

و يقول في قوله تعالى : ﴿ ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا ، قواريرا من فضة قدّروها تقديرا ﴾ [١٠] : فقد أعلمتك أن كل ما في الجنة من آلتها ، وســـرُرها ، وفرشِـــها

---

[١] يس ، الآية ٣٩ .
[٢] تأويل مشكل القرآن ، ص٣١٧ .
[٣] الأحزاب ، الآية ٦ .
[٤] تأويل مشكل القرآن ، ص١٠٤ .
[٥] البقرة ، الآية ٢٢٣ .
[٦] تأويل مشكل القرآن ، ص١٤١ .
[٧] البقرة ، الآية ١٨٧ .
[٨] ديوان النابغة الجعدي ، ص٨١ ، وفيه " تثنت عليه " .
[٩] تأويل مشكل القرآن ، ص١٤١ – ١٤٢ .
[١٠] الإنسان ، الآيتان : ١٥ ، ١٦ .

وأكوابها مُخالفٌ لما في الدنيا من صنعة العباد ، وأنما دلنا الله بما أراناه من هذا الحاضر على ما عنده من الغائب . وقال ابن عباس : " ليس في الدنيا شيء ممَّا في الجنة إلا الأسماء . والأكواب : كيزان لا عُرى لها ، وفي الدنيا قد تكون من فضة ، وتكون من قوارير. فأعلمنا أن هناك أكوابا لها بياض الفضة وصفاء القوارير ، وهذا على التشبيه ، أراد قوارير كأنها من فضة كما تقول : أتانا بشراب من نور ، أي كأنه نور[1] .فالآية كما يتضح من تفسيره لها من التشبيه البليغ في مصطلح البلاغيين المتأخرين ، وقد قدر الأداة " كأنَّ " ، ووجه الشبه وهو البياض والصفاء في كل من القوارير والفضة .

ويقول في قول الله، عزّ وجلّ، : ﴿ كأنهن الياقوت والمرجان ﴾[2] أي لهن صفاء الياقوت وبياض المرجان ، كما يقول قتادة ، فوجه الشبه بين الطرفين الصفاء والبياض في كل منهما[3] .

ويقول في قوله تعالى : ﴿ فأصبحت كالصريم ﴾ [4]، أي سوداء كالليل ؛ لأن الليل ينصرم عن النهار ، والنهار ينصرم عن الليل [5]. بهذا التوضيح بين أن جنتهم احترقت وأصبحت سوداء كالليل البهيم واستحالت إلى قطعة مظلمة ، تبعث الحزن والألم في القلوب ، فالسواد علم على الحزن والأسف والأسى فوجه الشبه بين الطرفين السواد وما يترتب عليه .

ويعلق ابن قتيبة على قوله تعالى : ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لايسمع إلا دعاء ونداء ﴾ [6]، بأن بعض أصحاب اللغة كان يذهب إلى مثل هذا في القلب ، ويقول : " وقع التشبيه بالراعي في ظاهر الكلام ، والمعنى للمنعوق به وهو الغنم " [7].

هكذا جاءت تعليقات ابن قتيبة على تشبيهات القرآن في " تأويل مشكل القرآن " ، وإنْ لم يعنون له فيه ، سريعة خاطفة وثرة في الوقت نفسه ، ولم يقتصر في تناوله للتشبيه على تشبيهات القرآن ، لكنه أراد تعميم الفكرة في الأسلوب العربي ، فعمد إلى بعض الأبيات الشعرية وتناولها بالشرح والتحليل . وقد أولاه عناية أكثر في مصنفه " عيون الأخبار " ، إذ عقد له فصلاً تحت اسم " حسن التشبيه في الشعر " بثَّ فيه بعض اللمحات الفنية التي تبرز

---

[1] تأويل مشكل القرآن ، ص٨٠ .
[2] الرحمن ، الآية ٥٨ .
[3] تأويل مشكل القرآن ، ص٨١ .
[4] القلم ، الآية ٢٠ .
[5] تأويل مشكل القرآن ، ص١٨٧ .
[6] البقرة ، الآية ١٧١ .
[7] تأويل مشكل القرآن ، ص١٩٩ .

قدراته النقدية المتواضعة في الحكم على النص وتحليله من خلال منهج تطبيقي[1] . كذلك ضمَّن مصنفه " الشعر والشعراء " بعض الخطرات النقدية عن التشبيه الحسن والقبيح ، والتشبيه المعكوس ، وتشبيه شيئين بشيئين ، والتشبيه التمثيلي[2].

إجمالا يمكننا القول إن ابن قتيبة أشار إلى أركان التشبيه ، والمح إلى بعض أنواعه، لكنه لم يميز بين التشبيه والتمثيل ، بل استخدمهما بمعناهما اللغوي مترادفين . وكان يرى التشبيه أحد صور المجاز ، لذا اختلط عنده مفهومه بالاستعارة ، إذ كان يعد التشبيه داخلاً تحت مظلة الاستعارة . حتى مفهوم المجاز عنده كان غير واضح في أنه مقابل الحقيقة ، فقد مر معنا قوله : " وللعرب المجازات في الكلام ومعناها طرق القول ومآخذه " [3]، فنراه يستخدمه بمفهوم أبي عبيدة للمجاز، لكنه يشير إلى معناه البلاغي في موضع آخر حين يقول: " وذهب قوم في قول الله وكلامه إلى أنه ليس قولاً ولا كلاماً على الحقيقة ، وإنما هو إيجاد للمعنى وصرفوه في كثير من القرآن إلى المجاز "[4] .

---

[1] ينظر : عيون الأخبار لابن قتيبة ، ١ / ١٨٦ (الهيئة العامة للكتاب – القاهرة – بيروت) .
[2] ينظر : الشعر والشعراء لابن قتيبة ، ١ / ١٧١ – ١٨٦ . وتأويل مشكل القرآن ، ص١٩٧ .
[3] تأويل مشكل القرآن ، ص٢٠ .
[4] المصدر نفسه ، ص١٠٦ .

٦. المُبَرِّد في " الكامل " :

لعل أبا العباس محمد بن يزيد المبرِّد (ت ٢٨٦هـ)يكون أقدم اللغويين الذين أفاضوا البحث في التشبيه، وفصّلوا في أنواعه، وساقوا فيه أمثلة كثيرة مما يجعله بداية مرحلة في بحث التشبيه عند اللغويين والنحاة . وقد انقسم بحثه في التشبيه قسمين ، تناثر القسم الأول منه في جزئي الكتاب ، واعتمد فيه على أسلوب التداعي والاستطراد ، فكان يذكر بعض التشبيهات بمناسبة شرح كلمة أو استشهاد لمعنى ، أو لحادثه ما مرت في حديثه عن موضوع ما ، فيستطرد منه إلى مثال في التشبيه أو تعقيب على بيت من الشعر تضمن تشبيها أو بعض آيات من القرآن حفلت بالتشبيهات ، وهو في هذا القسم كأسلافه الذين لم يبوّبوا للتشبيه ويفردوه بباب مستقل ، يعلق على التشبيهات ويصدر عليها أحكاما انطباعية ذوقية .

أما القسم الآخر فهو الذي اهتم فيه بالتشبيه اهتماما خاصا في باب منفصل ، ونال منه البحث فيه نصيباً وافراً ، إذ شغل جزءاً كبيراً من مصنفه " الكامل " زاد على السبعين صفحة.

يعد المبرد أول من عرَّفهُ اصطلاحا بقوله : " واعلم أنَّ للتشبيه حَدّاً ، لأن الأشياء تشابه من وجوه ، وتباين من وجوه ، فإنما ينظر إلى التشبيه من أين وقع ، فإذا شُبِّه الوجه بالشمس والقمر ، فإنما يُراد به الضياء والرونق ، ولا يراد به العظم والإحراق ، قال الله جل وعز: ﴿ كأنهن بيضٌ مكنون ﴾ [١]. والعرب تُشبه النساء ببيض النعام ، تريد نقاءه ورقة لونه "[٢] .

فالمبرد في تعريفه هذا للتشبيه يسترشد بأحد المعاني اللغوية له ، وهو تقارب شيئين في وجه واختلافهما في وجه آخر، فيرى أن التشبيه اصطلاحا يفيد المغايرة بين طرفي التشبيه، ويدل على الجمع بين أمرين في صفة دون الصفات الأخرى ، وهو بذا يتفق مع الجاحظ في أن الصورة التشبيهية لا تكون من كل الوجوه وجميع الصفات بل في بعضها مع بقاء حقيقة كل من الطرفين مستقلة بذاتها متميزة بصفاتها الأخرى التي تميزها عن الطرف الآخر .

وقد اعتمد في بحثه للتشبيه على استقرائه للشعر العربي ، وجمع كثيراً من التشبيهات الشعرية والقرآنية ، وشرح ووازن بينها وفصّل في بعضها وقسمها أنواعا ، وإن كانت تقسيماته ينقصها وضع الحدود التي تميز كل نوع ، كما أنه حكم على بعضها بالحُسن والقبح دون أن يُعَلِل ، واعتمد على ذوقه في الحكم على جمال التشبيه مع تحليل ذوقي في أغلب الأحيان .

---

[١] الصافات ، الآية ٤٩ .

[٢] الكامل ، ٣ / ٥٢ .

كان المبرد مولعاً بإطلاق الصفات على التشبيهات التي يوردها نحو التشبيه العجيب، والحسن، والجيد، والمليح، والطريف، والسخيف، والمطرد، والجامع، والمختصر ... الخ ، لكنه لم يكن دقيقاً في إطلاق هذه المسميات المختلفة المتداخلة ، فهو يرجعها في النهاية إلى أربعة أضرب. يقول : " والعرب تشبه على أربعة أضرب : فتشبيه مُفْرِطٌ ، وتشبيه مصيبٌ ، وتشبيه مقاربٌ ، وتشبيه بعيدٌ يحتاج إلى التفسير ، ولا يقوم بنفسه ، وهو أخشن الكلام "[1] . وقصد بالتشبيه المفرط الذي فيه مبالغة ، وقد أعجب بهذا اللون ، وساق له بعض تشبيهات القرآن ، نحو قوله جل ثناءه : ﴿ وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام ﴾[2]، وقوله تعالى : ﴿ كأنهن بيضٌ مكنون ﴾[3] .وعلق على الآية الأخيرة بقوله : " والعرب تشبه المرأة بالشمس والقمر، والغصن والكثيب، والغزال ، والبقرة الوحشية ، والسحابة البيضاء ، والدُّرة، والبيضة ، وإنما تقصد من كل شيءٍ إلى شيءٍ "[4] ، واستشهد ببعض أشعار العرب وبعض تشبيهات القرآن نحو قوله عز وجل : ﴿ كأنهن الياقوت والمرجان ﴾[5] ، وقوله تبارك وتعالى : ﴿ كأمثال اللؤلؤ المكنون ﴾[6]وعلق على التشبيه الأخير بقوله : " والمكنون : المصون ، يقال ، كننت الشيء ، إذا صُنته ، وأكننته إذا أخفيته "[7] .

وكان على فهم ودراية حين أعجب بالتشبيه المفرط الذي يتسم بالمبالغة ، فقد استند إلى أدلة من واقع تشبيهات العرب ، وعضد ذلك بذكر بعض تشبيهات القرآن الكريم ليدلل على أن التشبيه المفرط ليس بكذب ، إنما هو قول موشى بزينة المبالغة . وقد حذا حذوه حازم القرطاجني في حديثه عن ماهية الشعر وحقيقته ، إذ أكد أن التشبيه ليس من جملة كذب الشعر، وهو لا يعدو الصدق ، وقد أوضح حازم ذلك بقوله : " فما وقع من الأوصاف والمحاكاة مقتصداً فيه غير متجاوز فهو قول صدق . فإذا قيل في الشيء إنه كالشيء ، وكان فيه شبه منه ، فهو قول حق ، لأن الكاف وحروف التشبيه إنما وضعت لأن تدل على الشبه من حيث إنه موجود ، قلّ أو كثر ، لا من حيث الكمية ؛ فقد يقوى الشبه ويضعف وتكون المحاكاة مع ذلك صادقة إلا أنها في أحد الحالين أوضح . وكثير من الناس يغلط فيظنّ أن التشبيه والمحاكاة من جملة كذب الشعر ، وليس كذلك . لأن الشيء إذا أشبه الشيء فتشبيهه به

---

(1) الكامل ، ٣ / ١٢٨ .
(2) الرحمن ، الآية ٢٤ ، وينظر الكامل ، ٣ / ٤٧ .
(3) الصافات ، الآية ٤٩ .
(4) الكامل ، ٢ / ٥٤ .
(5) الرحمن ، الآية ٥٨ .
(6) الواقعة ، الآية ٢٣ .
(7) الكامل ، ٣ / ٥٥ .

صادق ؛ لأن المُشبِّه مخبر أن شيئاً أشبه شيئاً ، وكذلك هو بلا شك . ولأن التشبيه بإظهار الحرف وإضماره قول صادق ، إذا كان في أحد الشيئين شبه من الآخر – ورد التشبيه في القرآن لأنَّ الماء يشبه السراب بلا شك – يشير إلى قوله تعالى : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة ... ﴾ [1] – والهلال شبيه بالعرجون القديم ولا بُدَّ – يشير إلى قوله تعالى : ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ [2]، وكذلك جميع تشبيهات الكتاب العزيز، الشبه فيها ظاهر "[3] .

والتشبيه المصيب عنده هو الذي لا يتجاوز الواقع ، وإنما يصيب به القول دون إفراط كقول الشاعر :

بيضاءُ في دَعَجٍ صَفراءُ في نعج كأنها فِضّة قد مَسَّها ذهبُ [4]

والتشبيه المقارب عنده هو الصريح الذي يقوم بنفسه، ولا يحتاج إلى تفسير أو تأويل ، لأنه ظاهر مكشوف يتسم بالبساطة والوضوح . يقول : " ومن حلو التشبيه وقريبه وصريح كلامه قول ذي الرمة :

ورملٍ كأوراك العذارى قطعتُه وقد جللته المظلمات الحنادسُ [5]

أما التشبيه البعيدُ فهو الذي يفتقر إلى تفسير، ولا يقوم بنفسه كقول الشاعر يصف نفسه بالصحة وقوة البنية وسلامة البدن :

بل لو رأتني أختُ جيراننا إذ أنا في الدار كأني حِمارْ

فهذا تشبيه بعيد لأن المتلقي يفهم منه معنى يختلف عن قصد الشاعر ، فلأول وهلة يتبادر إلى ذهن السامع إنما القصد من التشبيه بالحمار وصفه بالبلادة والغباء والذلة والحبس ، ولا يطرق ذهنه مراد الشاعر منه ، ولا شك أن الوصول إلى مقصد الشاعر مما يعوزه التفسير والتأويل، لأنه غير بين ، وغير واضح ، والسامع يستدل عليه بغيره كما يقول المبرد ، وليس له وضوح التشبيه الظاهر في قوله تعالى : ﴿ مثل الذين حُمِلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل

---

[1] النور ، الآية ٣٩ .
[2] يس ، الآية ٣٨ .
[3] منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني ، ص٥٧ .
[4] الكامل ، ٣ / ٤١ والدعج : شدة سواد العين مع سعتها ، وصفراء : وصفها بالصفرة لتضمخها بالطيب ، والنعج : البياض الخالص .
[5] الكامل ، ٣ / ١٠٩ ، والحنادس : جمع حندس وهو اشتداد الظلمة والمقصود الليالي المظلمة وهذا من نوع التشبيه المقلوب الذي يجعل فيه المشبه مشبها به ، فالعادة أن أعجاز النساء أو أوراك العذارى تشبه بكثبان الرمل ولكن الشاعر هنا قلب التشبيه طلبا للمبالغة .

الحمار يحمل أسفاراً ﴾ [1] في أنهم قد تعاموا عنها ، وأضربوا عن حدودها وأمرها ونهيها ، حتى صاروا كالحمار الذي يحمل الكتب ولا يعلم ما فيها [2].

وقد وازن المُبرِّد بين التشبيه القرآني في الآية السابقة ، وتشبيه مروان بن أبي حفصة الذي يهجو فيه قوماً من رواة الشعر بأنهم يحملون الشعر ولا يعلمون ما هو ، على كثرة استكثارهم روايته:

زَوامِل للأشعار لا عِلم عندهم بجيدها إلا كعِلم الأباعر

لعمرك ما يدري البعير إذا غدا بأوساقه أو راح ما في الغرائر [3]

وهو إذ يقرر أن الشاعر أجاد في تشبيهه ، وتقدم غيره يريد أن يدلل على أن الشعر مهما ارتقى ، وبلغ منزلة سنية ، فإنه لن يصل في بلاغة نظمه إلى الدرجة تتسنمها تشبيهات القرآن الكريم في تناهي البلاغة والإعجاز . وعد ابن طباطبا العلوي التشبيهات البعيدة نوعاً من الغلو؛ إذ لم يلطف أصحابها فيها، ولم يخرج كلامهم في العبارة عنها سلساً سهلاً[4] .

وردَّ المبرد على الجهلة المُلحدين الذين طعنوا في قوله تعالى : ﴿ إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنَّه رؤوس الشياطين ﴾ [5] فقالوا : " إنما يمثل الغائب بالحاضر ، ورؤوس الشياطين لم نرها فكيف يقع التمثيل بها "[6] ، فرموا تشبيهات القرآن الكريم بعدم الدقة، فانبرى لهم المبرد – ومن قبله الجاحظ – بالردّ على هذه الفرية موضحاً أن التشبيه بالغائب لا يقدح في القيمة الفنية للتشبيه، وأنّ الهدف منه هو ما تثيره صورة المشبه به من تخويف وتفزيع في النفس . يقول رداً عليهم : " وهؤلاء في هذا القول كما قال الله عز وجل : ﴿ بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولمّا يأتهم تأويله ﴾ [7]، وهذه الآية قد جاء تفسيرها على ضربين : أحدهما : أن شجراً يقال له الأستنُ[8] . منكَرُ الصورةِ يقال لثمره رؤوس الشياطين وهو الذي ذكره النابغة في قوله :

تَحِيدُ من أستَنَ سُودٍ أسَافِلهُ مثل الإماء الغوادي تحمِل الحُزَما

---

[1] الجمعة ، الآية ٥ .
[2] الكامل ، ٣ / ١٣٢ .
[3] المصدر نفسه ، ٣ / ١٣٢ .
[4] عيار الشعر ، ابن طباطبا العلوي ، ص٩٣ .
[5] الصافات ، الآية ٦٥ .
[6] الكامل ، ٣ / ٩٣ .
[7] يونس ، الآية ٣٩ .
[8] الأستن شجر يفشو في منابته ويكثر، إذا نظر إليه الناظر من بعيد شبهه بشخوص الناس (هامش الكامل ، ٣ / ٩٣) .

وزعم الأصمعي أن هذا الشجر يسمى الصَّوم . والقول الآخر – وهو الذي يسبق إلى القلب – أن الله جلَّ ذكره شنّع صورة الشياطين في قلوب العباد . فكان ذلك أبلغ من المعاينة ، ثم مَثَّلَ هذه الشجرة ممَّا تُنفِرُ منه كلُّ نفس "[1] .

والمبرد في حديثه عن هذا التشبيه الوهمي يؤكد كلام أبي عبيدة والجاحظ فيه ، لكن الجاحظ كان أدقّ منه في دحض هذه الفرية للملاحدة ، وسيأتي بيان تفصيل رده عليهم في موضعه .

ولعله أوّلَ من قسم التشبيه الأقسام الأربعة الآنفة الذكر ، وكان يميل إلى التشبيه المصيب والمقارب ويفضلهما على المفرط والبعيد يقول : " وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبَّه ، وأحسن منه ما أصاب به الحقيقة ، ونبه فيه بفطنته على ما يخفى عن غيره ، وساقه برصف قوي واختصار قريب "[2] .

وبين دور التشبيه في التعبير الفني ، ووضح أركانه ، وله القول المشهور : التشبيه جار كثيرٌ في كلام العرب، حتى لو قال قائل هو أكثر كلامِهم لم يبعد . قال الله عز وجل وله المثل الأعلى : ﴿ الزجاجة كأنها كوكب دريٌّ ﴾ [3][4].

واستحسن ما اطلق عليه البلاغيون تشبيه شيئين بشيئين بإعتبار تعدد طرفيه ، ومجيئه على طريقة الاختصار والجمع والترتيب : يقول : " وهذا باب طريف نصل به هذا الباب الجامع الذي ذكرناه وهو بعض ما مرَّ للعرب من التشبيه المصيب وللمحدثين بعدهم ، فأحسن ذلك ما جاء بإجماع الرواة ، ما مر لامرئ القيس في كلام مختصر ، أي بيتٍ واحدٍ من تشبيه شيء في حالتين مختلفتين بشيئين مختلفين ، وهو قوله :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وَكرها العنابُ والحشفُ البالي[5]

فهذا مفهوم المعنى ، فإن اعترض معترضٌ فقال ، فهَلاّ فصلَ فقال : كأنه رطبا العنابُ وكأنه يابسا الحشفُ : قيل له : العربي الفصيح الفطن اللّقن يرمي بالقول مفهوماً ، ويرى ما بعد ذلك من التكرير عيّا ، قال الله جل وعزَّ وله المثل الأعلى : ﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار

---

[1] الكامل ، ٣ / ٩٣ – ٩٤ .
[2] المصدر نفسه ، ١ / ١٧٣ .
[3] النور ، الآية ٣٥ .
[4] الكامل ، ٣ / ٩٣ .
[5] البيت من شواهد التشبيه الملفوف عند عبد الرحيم العباسي (معاهد التنصيص ، ٢ / ٨٠ – ٨١) .

لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ﴾ [1]، علما أنَّ المخاطبين يعملون وقت السكون ووقت الاكتساب " [2].

هكذا سار المبرد بالتشبيه خطوات واسعة تحسب له ، إذ وسع مباحثه ، وهيأ له فرصة الشيوع . لذا أرجع أحد الباحثين فضله على البلاغة العربية للباب الذي عقده في التشبيه [3]، إلاَّ أنّه لم يضع حدوداً متمايزة لتقسيماته ومسمياته ، كما أنَّ جُلَّ أحكامه ذوقية انطباعية غير معللة ، وعلى الرغم من ذلك ففضله في التشبيه لا يجحد ، إذ لم يكن ينتظر منه في ضوء معطيات عصره ، أكثر مما جاء به .

---

[1] القصص ، الآية ٧٣ .

[2] الكامل ، ٣ / ٣٢ .

[3] البيان في ضوء أساليب البيان ، د. عبد الفتاح لاشين ، ص ٢٦ (دار المعارف – القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٥م) .

الخلاصة، يمكننا أن نقول إن دراسة اللغويين لفن التشبيه عامة ، وتشبيهات القرآن الكريم خاصة ، اتسمت بالافتقار إلى المنهج العلمي ، إذ غاب التبويب العلمي الدقيق لها عند أعلام اللغة والنحو أمثال سيبويه والفرّاء وأبي عبيدة والأخفش الأوسط وابن قتيبة ، فلم يرد له تعريف عندهم ، ولم يسموا أركانه ولم يعرضوا لأنواعه ولم يفتحوا له أبوابا في مصنفاتهم ، باستثناء المبرد الذي أفرد له باباً مستقلاً ، ومع ذلك فقد كانت تقسيماته ضبابية غائمة ، وليس لها حدود متمايزة ، وأحكامه في جملتها انطباعية غير معللة .

وكانت المصطلحات عند اللغويين مضطربة ، مشكلة على الدارس ، فمصطلح " مجاز القرآن " عند ابي عبيدة وابن قتيبة يختلف عن معناه البلاغي المغاير للحقيقة عند متأخري البلاغيين . فمفهوم أبي عبيدة له واسع يشمل كل وسيلة تعين على فهم القرآن وإدراك معانيه .وإنّ باعثه على تأليف ("مجاز القرآن")، فيما روى هو نفسه ،تقريب فهم المجاز القرآني للمسلمين الأعاجم، ولم يكن "المجاز" عنده قسيم الحقيقة كما فهمه البلاغيون فيما بعد إنما هو ما يعبر به عن الآية . لذا فمصنفه ليس بكتاب بلاغي بالمعنى المفهوم،فلم يكن مفهوم البلاغة و مصطلحاتها محدداً آنذاك [1]. وورد بهذا المعنى والمعنى البلاغي عند ابن قتيبة ، فإشكالية المصطلح واضحة عندهم، فقد اختلط التشبيه بالاستعارة عند ابن قتيبة . فالتشبيه عنده من ألوان الاستعارة ، ويدخل تحت مظلتها ، وبالتالي فهو عنده مجاز ، ولعل السبب في هذا الخلط أن الاستعارة لم تكن متميزة في ذهن ابن قتيبة كسلفه الجاحظ الذي أطلقهما على التشبيه والمجاز والبدل والاشتقاق وقيام الشيء مقام غيره .

واختلطت معالجة اللغويين لتشبيهات الذات الإلهية من وجهة نظر بلاغية مع معالجتها الدينية العقدية ، ومع ذلك فمصطلح التشبيه يبقى أقل اضطرابا وعمومية من المصطلحات الكبرى كالبديع والبيان والمجاز التي كانت هلامية المفهوم عندهم .

كما أن مصنفاتهم تصطبغ بالطابع الموسوعي ، فعلى سبيل المثال كتاب " مجاز القرآن " لأبي عبيدة تتنازعه علوم التفسير واللغة والبلاغة في آن معا .

وهكذا فلم يتوسعوا في بيان جماليات التشبيهات القرآنية وإعجازها ، وكانت دراساتهم تطبيقية أكثر منها نظرية ، وكانوا يركزون ، غالباً، على الجانب اللغوي والنحوي في شرح المعنى مع الإشارة ، أحياناً ، إلى بعض جمالياته الأسلوبية .

و كانوا ،في أكثر الأحايين، يستخدمون المصطلحات بمدلولاتها اللغوية ، ومع ذلك كله فقد مهدوا الطريق لمن بعدهم من خلال ما وضعوا من لبنات في بناء معمار التشبيهات

---

[1] البلاغة عند السكاكي،د.أحمد مطلوب،ص٨١ .

القرآنية ، فجُلّ ما جاء عند الفرّاء، وأبي عبيدة، والأخفش، وابن قتيبة، والمبرّد في تشـــبيهات القرآن خاصة والنص القرآني عامة ، يعد الأساس الأول للدراسات البلاغية التطبيقية ؛ لأنهـــم اقتربوا فيه من النص يحللونه ليتوصلوا إلى نتائج يؤيدها الواقع اللغوي .

الفصل الرابع

تشبيهات القرآن الكريم في آثار البلاغيين والنقاد

١. الجاحظ في " الحيوان .

٢. الطبري في " جامع البيان عن تأويل آي القرآن " .

٣. ابن وهب الكاتب في " البرهان في وجوه البيان " .

٤. الرّماني في " النكت في إعجاز القرآن " .

٥. أبو هلال العسكري في " كتاب الصناعتين ؛ الكتابة والشعر " .

٦. الباقلاني في " إعجاز القرآن " .

٧. القاضي عبد الجبار الهمذاني .

٨. ابن رشيق القيرواني في " العمدة " .

٩. ابن سنان الخفاجي في " سر الفصاحة " .

١٠. عبد القاهر الجرجاني في " أسرار البلاغة " و " دلائل الإعجاز " .

١١. الزمخشري في " الكشاف " .

١٢. ابن عطية الأندلسي في " المحرّر الوجيز" .

١٣. فخر الدين الرازي في " نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز " و " التفسير الكبير ومفاتيح الغيب " .

١٤. أبو يعقوب السكاكي في " مفتاح العلوم " .

١٥. ضياء الدين بن الأثير في " المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر " .

١٦. الزملكاني في " البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن " .

١٧. ابن أبي الإصبع المصري في " تحرير الحبير " و " بديع القرآن " .

١٨. الطوفي البغدادي في " الإكسير في علم التفسير " .

١٩. محمد بن علي الجرجاني في " الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ".

٢٠. الخطيب القزويني في " الإيضاح في علوم البلاغة " .

٢١. الطيبي في " التبيان في علم المعاني والبديع والبيان " .

٢٢. العلوي اليمني في " كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز " .

(١) الجاحظ في " الحيوان " :

التشبيه عند الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) من صور التعبير عن المعنى المراد توضيحه في الأذهان بمدركات حسية ، وهو ينطبق على تشبيهات الذات الإلهية ، ومشاهد القيامة وصفات الجنة والنار . وكانت دراسة الجاحظ للتشبيه صورة لبحوث المعتزلة التي دارت على مسألة التجسيم والتشبيه في القرآن ، وما رافقها من خلافات بينهم وبين أهل السنة والمشبّهة ، فهي نتيجة لدراسات واسعة في القرآن والبيان العربي والكتب المقدسة ، وبلاغة الأمم الأخرى. فقد أثّرت آراء علماء اللاهوت المسيحي في مسألة التشبيه والتجسيم في المعتزلة ، فتأولوا التشبيه والتجسيم في القرآن الكريم[١].

وقد وقف الجاحظ أمام التشبيه في مواطن كثيرة في " البيان والتبين " وفتح له باباً بعنوان " باب من الشعر فيه تشبيه الشيء بالشيء " ومثّل له بأمثلة كثيرة مشيراً إلى دقائقها ومواضع الجمال فيها . وعنون في كتابه " الحيوان "بابا تحت اسم " باب آخر في المجاز والتشبيه " شمل فيه كل الصور البيانية تحت المجاز ، ولم يخصص الاستعارة أو التشبيه ، وكان يقرن بين المجاز والتشبيه ، وقد يقصد بالمجاز الاستعارة ، فكل ما عدل به عن معناه الأصلي إلى معنى آخر فهو مجاز ، فمفهوم المجاز في ذهنه يشمل التشبيه والاستعارة والمثل والبدل[٢] .

وعرض لتشبيهات القرآن ، ووقف أمام بعضها طويلاً ، وحلّلها تحليلاً دقيقاً ، لا سيما في " الحيوان " بأسلوب ينم على سعة ثقافة ، وقدرة على الفهم والاستيعاب ، والتحليل والاستنباط والحِجاج العقلي .

أدرك الجاحظ المعنى البلاغي للتشبيه ، وأنه من صور البيان التي تؤدي دوراً خطيراً في التعبير الفني ، فنراه يقف أمام كثير من التشبيهات يوضح أركانها ووجه الشبه ، فهو يعلق على قول امرئ القيس :

كأنّي غَداةَ البَيْن يومَ تَحملوا لدى سَمُرات الحيّ ناقِفُ حنْظل ِ

---

(١) أثر القرآن في تطور النقد العربي ، د. محمد زغلول سلام ، ص٨٣ . وينظر : كشاف اصطلاحات الفنون ، التهانوي ، ١٩٤ – ١٩٥ . وللوقوف على تفصيل المسألة ينظر : مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها ، جابر بن إدريس بن علي أمير ، مجلد ٣ ، أضواء السلف ، الرياض ، ط١ ، ٢٠٠٢م . وينظر كذلك : الذات الإلهية والمجازات القرآنية والنبوية وإزالة شبهة التشبيه والتجسيم من أساسها ، سعد رستم (الأوائل ، دمشق ، ٢٠٠٢م) .

(٢) ينظر : الحيوان ، ٥/٢٣ و ٤ / ٢٧٣ .

بقولـــه : " يخبر عن بكائه، ويصف درور دمعته في أثر الحـــمول ، فشـــبه نفســـه بنـــاقف الحنظل "[1]. ويقف عند قوله تعالى : ﴿ فإذا هي حية تسعى ﴾[2]، ويوضحه بقولنا على التشبيه (كأنَّ مشيته مشية حيّة)، ويقول فيه : " ممَّا يجوز على التشبيه والبدل ، وإنْ قام الشيءُ مقامَ الشيء أو مقامَ صاحبه فمن عادة العرب أن تشبِّهَ بهِ في حالات كثيرة "[3].

ورأى أن يكون وجه الشبه في المشبه به أقوى منه في المشبه ، وأن يكون المشبه بـــه أشـــهر بوجه الشبه من المشبه يقول : " هذا والحمار هو الذي ضرب به القـــرآن المثـــل فـــي بُعـــد الصوتِ، وضرب به المثل في الجهل والغفلة، وفي قلة المعرفة وغِلظِ الطبيعة، فقال : ﴿ كمثل الحمار يحمل أسفارا ﴾ [4] ؛ فلو كان شيء من الحيوان أجهل بما في بطـــون الأســـفار مـــن الحمار ، لضرب الله المثلَ به دونه "[5] .

ولاحظ أن الشيء لا يشبه بغيره من جميع الجهات إذ : " قد يشبِّه الشعراء والعلمـــاء والبلغـــاء الإنسان بالقمر والشمس ، والغيث والبحر ، وبالأسد وبالسيف ، وبالحية وبالنجم ولا يخرجونه بهذه المعاني عن حد الإنسان "[6] .

فالتشبيه عنده في كل الأحوال يفيد الغيرية لا العينية ، وأنَّ وجه الشبهِ يكتفي فيـــه أن يكـــون وصفاً يجمع بين الطرفين ، فلا ينظر إليه على جهة الاستيعاب ، بل يتجه الخاطر فيـــه إلـــى الصفة البارزة في المشبه به ، فليس الطاووس بأحسن من الإنسان ، إنما ذهبوا من حسنه إلـــى حسن ريشه وتلاوينه [7].

ووقف أمام وجه الشبه في قوله تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعـــه الشيطان فكان من الغاوين ۞ ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثلـــه كمثل الكلب ، إن تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث ذلك مَثَلُ القوم الذين كـــذبوا بآياتنـــا ﴾[8]، وردٌ على المعترضين الذين زعموا أنَّ هذا المثل لا يجوز أن يضرب لحال من أعطي شـــيئاً ، فلم يقبله ولم يزد على هذا الرفض بالكلب الذي إن حملت عليه نبح وولّى هاربا، وإن تركتـــه شدَّ عليك ونبح ، وزعموا أن اللهث لم يقع في موضعه ، إذ الكلب إنما يلهث من عطش شـــديد

---

[1] الحيوان ، ٢ / ١٣٩ .
[2] طه ، الآية ٢٠ .
[3] الحيوان ، ٤ / ٢٧٣ .
[4] الجمعة ، الآية ٥ .
[5] الحيوان ، ٢ / ٢٥٥ و ٤ / ٣٨.
[6] المصدر نفسه ، ١ / ٢١١ .
[7] المصدر نفسه ، ٢ / ٢٤٥ .
[8] الأعراف ، ١٧٥ – ١٧٦ .

، وحر شديد ، ومن تعب ، وأما الصياح والنباح فمن شيء آخر . وأجابهم الجاحظ داحضاً زعمهم ، مفنداً اعتراضهم ، مدافعاً عن طعنهم في التشبيهات القرآنية بقوله : " ولا يقال لهم كذبوا إلاّ وقد كان ذلك منهم مراراً ، فإن لم يكن ذلك فليس ببعيد أن يشبه الذي أوتي الآيات والأعاجيب والبرهانات والكرامات ، في بدء حرصه عليها وطلبه لها بالكلب في حرصه وطلبه ؛ فإن الكلب يعطي الجد والجهد مع نفسه في كلّ حالة من الحالات ، وشبه رفضه وقذفه لها من يديه ، وردّه لها ، بعد الحرص عليها وفرط الرغبة فيها ، بالكلب إذا رجع ينبح بعد اطراده له . وواجب أن يكون رفض قبول الأشياء الخطيرة النفيسه ، في وزن طلبها والحرص عليها . والكلب إذا أتعب نفسه في شدة النباح مقبلاً عليك ومدبراً عنك، لهث واعتراه ما يعتريه عند التعب والعطش . وعلى أننا ما نرمي بأبصارنا إلى كلابنا ، وهي رابضة وادعة إلاّ وهي تلهث ؛ من غير أن تكون هناك إلا حرارة أجوافها ، والذي طبعت عليه من شأنها ، إلا أن لهث الكلب يختلف بالشدة واللين!"[1]. ويقول في موضع آخر : فكان في ذلك دليلٌ على ذمّ طباعه ، والإخبار عن تسرعه وبذائه . وعن جهله في تدبيره ، وتركِهِ وأخذه "[2] .

لقد اهتم في استخراج وجه الشبه في التشبيه القرآني السابق ، وأوضح الغرض منه ، ليقربه إلى المتلقي ، ويقيم بذلك عليهم الحجة في بلاغة القرآن وإعجازه ، ويرد على افتراء الزاعمين باضطراب الصورة التشبيهية فيه ، وتنبه في رده على دقة القرآن في التشبيه بالخصائص المشهورة للمشبه به ، وحاول بذكاء أن يكشف عما التبس من غموض في وجه الشبه الذي دخل منه المعترضون مؤكداً أن اللهث طبع في الكلاب في سائر أحوالها .

هذا التشبيه وغيره يوضح مدى أثر تشبيهات القرآن الكريم في توجيه الأذهان لدراسة فنون القول والتنبيه لدراستها وبحثها ، وكشف دقائقها وتوضيح أسرارها .

وقد رأى الدكتور سيد نوفل في هذا المثال دليلاً على معرفة العلماء في عصر الجاحظ لوجه الشبه وصورة تحققه في المشبه والمشبه به ، وأن الجاحظ ومعاصريه قد فهموا الصلة بين المشبه والمشبه به فهما صحيحا ، وأخذوا يخضعون الأدب ، وإن كان الأدب القرآني، للمعايير النقدية والبلاغية في حرية وصرامة[3].

وتجاوز الجاحظ سابقيه ممن بحثوا في تشبيهات القرآن الكريم ، فأستكنه التشبيه القرآني مبتعداً عن النظرات السطحية ، محاولاً سبر أغواره وإنعام النظر فيه والتأمل بفكر

---

(1) الحيوان ، ٢ / ١٦ و ١٧ . وينظر : ٢ / ٢٣٩ – ٢٤١ و ٣ / ٦

(2) المصدر نفسه ، ٤ / ٣٨ .

(3) البلاغة العربية في دور نشأتها، د. سيد نوفل، ص١٣٨ (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ١٩٤٨م)

عميق ليخرج بإشارات ذكية ولمحات نافذة نظريا وتطبيقيا . من ذلك تأوله للمشبه بـه ووجـه الشبه في قوله تعـالى : ﴿ إنّها شـجرة تخرج في أصـل الجحيم ۞ طلعهـا كأنـه رؤوس الشياطين ﴾[1] ؛ ورده على أهل الطعن والخلاف بأن العرب والمسلمين يجمعون على ضـرب المثل بقبح الشيطان ، والقرآن إنما أنزل عليهم ، ومعنى قوله إنه حين استقر في نفس العربـي وطبعه أنّ صورة الشيطان هي أقبح صورة محتملة ، صار ذلك المعقول عنده بمثابـة شـيء واضح كل الوضوح من حيث القبح والشناعة ، ولذلك شبه طلع شجرة الزقوم التي يملأ منهـا أهل الجحيم بطونهم برؤوس الشياطين ، فلا يستسيغونها ، فيمدون عليها شَوْبًا من حمـيم ؛ أي يمزج لهم الماء الحميم بصديد وغسّاق مما يسيل من فروجهم وعيونهم فيقطـّع أمعاءهم[2] .

وقد أدرك الأثر النفسي لهذه الصورة التشبيهية وأنها أبعث على الخوف والفزع من الصـورة المحسوسة المعاينة ، فأقرها في التشبيه على أساس الاستقرار في الـنفس. أي أننـا نخـرج الأغمض إلى الأوضح ، وإن شبهنا المحسوس بالمعقول إذا كان المعقول متمكنـا مـن نفـس الإنسان وعالمه الروحي ، وهو تنظير جزئي لبعض أنواع التشبيه ، ودفاع ذكي عن جودتـه وجماله الفني[3]. ويُعَدُّ ردّه مثالاً واضحا لدفاع المتكلمين عن القرآن وتنزيـه تشـبيهاته عـن مطاعن الطاعنين . من هذا التنظير الجاحظي ، يجب حمل التشبيه على وجه التخيل لا علـى الحقيقة ، لأنه من المعقول جداً أن تكون المشبهات أحسن مما نشبهه بها ، أو أبلغ وآكـد فـي معنى وجه الشبه وصحته ، إلا أن الشاعر يروم القول الفني والتخييـل الشـعري ، لا القـول المعرفي أو الحقيقة الموضوعية ، أي أننا يجب ألا نفهم فنه ونتذوقه بعقل ومنطـق وإدراك ، بل بمشاعر وتخيل وانطباع[4]. لذلك فإن الجاحظ قد وقف من تشبيههم المرأة ببعض مظـاهر الطبيعة وأشكال الحيوان موقفا خاصا يفهم في إطار أن الشعر قول وتخيـل ، ولـيس حقيقـة ومعرفة ؛ فالمرأة أحسن في نظره من كثير ممّا شبهها الشعراء به ، لكنهم لم يقصـدوا ذكـر حقيقة حُسنها ، بل أرادوا الشعر والتصوير الفني . يقول الجاحظ : " ومن يشك أن عين المرأة

---

(1) الصافات ، ٦٤ – ٦٥ .

(2) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني، ٣ / ١٨٣ ، وتفسير البيضاوي، ٥ / ١٥. قال تعالى بعدها : ﴿ فإنهم لأكلون منها فمالئون منها البطون ۞ ثم إنّ لهم عليها لشوبا من حميم ﴾.

(3) الرؤية البيانية عند الجاحظ ، إدريس بلمبح ، ص١٧٥ (دار الثقافة – الدار البيضاء ، المغرب ، ط١ ، ١٩٨٤م).

(4) المرجع نفسه، ص١٧٥ .

الحسناء أحسن من عين البقرة ، وأن جيدَها أحسن من جيد الظبية ، والأمر فيما بينهما متفاوت ، ولكنهم لو لم يفعلوا هذا وشبهه لم تظهر بلاغتهم وفطنتهم "[1] .

وكما أن الصورة التشبيهية في القرآن لم تقف عند مجرد تسجيل وجوه الشبه بين الأشياء وتجاوزتها إلى المماثلة النفسية ، كذلك لم تقتصر في وظائفها على الشرح والتوضيح أو التحسين أو التقبيح أو المبالغة أو الإمتاع ، فكانت طريقاً للإقناع بواسطة الإيضاح والجدل والحجاج[2] ؛ الذي يستميل المتلقي إلى القيم التي يروم كتاب الله – عز وجل – غرسها في النفوس . وخير مثال على ذلك ما أثاره الجاحظ حول الصورة التشبيهية في الآيتين السابقتين من جدل خاص، لأنها من قبيل تشبيه صورة محسوسة بأخرى غير محسوسة . وقد وقف أمامها غير مرة ، ورد على من زعم أن رؤوس الشياطين ثمر شجرة تكون ببلاد اليمن لها منظر كريه ، وعارض من قال إن الله – عز وجل – عنى برؤوس الشياطين المعروفين بهذا الاسم من فسقة الجن ومردتهم ، ورد على المتشككين من أهل الطعن والخلاف الذين قالوا : لا يجوز أن يضرب المثل بشيء لم نَرَه فنتوهمه ، ولا وُصِفت لنا صورته في كتابٍ ناطق ، أو خبر صادق . فالأصل تشبيه الحاضر بالغائب والمعلوم بالمجهول لا العكس . ومخرج الكلام يدل على التخويف بتلك الصورة والتفزيع منها ، وعلى أنه لو كان شيء أبلغَ في الزجر من ذلك لذكره . فكيف يكون الشأن كذلك ، والناس لا يفزعون إلا من شيء هائل شنيعٍ ، قد عاينوه ، أو صوَّره لهم صدوق اللسان بليغ الوصف ، ونحن لم نعاينها، ولا صورها لنا صادق، ... فكيف يكون وعيداً عاماً ؟![3] ، ويجيبهم الجاحظ برأي أهل الكلام من المعتزلة قائلاً : " وإن كنا نحن لم نر شيطاناً قطّ ولا صوَّر رؤوسها لنا صادق بيده ، ففي اجماعهم على ضرْب المثل بقبح الشيطان حتّى صاروا يضعون ذلك في مكانين ، أحدهما : أن يقولوا: " لهو أقبح من الشيطان " ، والوجه الآخر أن يسمى الجميل شيطاناً ، على جهة التطير له كما تسمَّى الفرس الكريمة شوهاء والمرأة الجميلة صمّاء ، وقرناء ، وخنساء ، وجرباء ، وأشباه ذلك ، على جهة التطيُّر له ، ففي إجماع المسلمين والعرب ، وكلٌ من لقيناهُ على ضرْب المثل بقبْح الشيطان دليلٌ على أنه في الحقيقة أقبح من كل قبيح "[4] . وليس المقصود في هذه الصورة التشبيهية أن الناس قد رأوا شيطاناً على صورة ولكن على حد قول الجاحظ – لما كان الله تعالى قد جعل في طباع جميع الأمم استقباحَ جميع صور الشياطين ،

---

(1) فصل من كتاب الجاحظ في النساء، تحقيق د. نوري حمودي القيسي، مجلة المورد، عدد : ٤ ، ١٩٧٨م ، ص٢٥٥ .

(2) ينظر : الصورة الفنية ، د. جابر عصفور ، ص٣٦٤ وما بعدها .

(3) الحيوان ، ٦ / ٢١٢

(4) المصدر نفسه ، ٦ / ٢١٢ .

واستسماجه وكراهته ، وأجرى على ألسنتهم جميعا ضرب المثل في ذلك – رجع بالإيحاش والتنفير، وبالإخافة والتفزيع، إلى ما قد جعل الله تعالى في طباع الأوّلين والآخرين وعندَ جميع الأمم. على خلاف طبائع جميع الأمم وهذا التأويل أشبه من قول مَن زَعَمَ من المفسِّرين، أنَّ رؤوسَ الشياطين نبات ينبت باليمن "[1].

وفصّل الجاحظ القول في هذه الصورة التشبيهية ، موضحا أسلوب القرآن الكريم في انتزاع وجه الشبه والمشبه به من غير مدرك بالحس اعتماداً على ثبوته في الإدراك عن طريق العادة والعرف وتناقل الناس له . وناقش آراء غيره في التشبيه من حيث ضرورة اعتماده على الحس البصري لتصوير المعنى في الذهن .

ولم يكن في إيضاحه للصورة التشبيهية في الآية السابقة ظاهريا ، بل جارى منطوق التشبيه ، وتمشى مع فهم الدور الذي يقوم به التشبيه في الآية ، وهو القصد إلى إثارة النفس باستدعاء الخيال لصورة قبيحة مفزعة ، وما ينتهي إليه من إقرار الخوف وبث الفزع في قرارتها [2] . فكان تفسيره للآية ، وتخريجه لهذه الصورة متماشيا مع مغزى التعبير القرآني ، إذ أدرك أثره في النفس ووقعه عليها . وهذا ردٌّ على الأستاذ شفيق جبري الذي اتَّهمَ الجاحظ بحمل اللفظ على ظاهره في تفسير الشياطين بمعناها اللغوي المعروف ، واستغرابه الوجوه الأخرى التي قال بها المفسرون[3] .

وقد اختلفت عبارات الجاحظ التي استخدمها **أسماء** للصورة التشبيهية ، فتراوحت بين المثل والبدل والاشتقاق والتشبيه يقول : " وقد يقولون ذلك أيضا على المثل وعلى الاشتقاق وعلى التشبيه "[4] . وكان في حجاجه يريد أن يفلت من القيود الحسية ومن التجسيم في تشبيهات القرآن لا سيما ما يتصل منها بالذات الإلهية وأحوال الملائكة ، واليوم الآخر وما فيه من الجنة والنار ومشاهدهما ، موضحا أن التشبيه القرآني فيها عبارة عن صور ذهنية جاءت في قوالب وأشكال مادية محسوسة لإبراز المعنى وتثبيته في النفوس .

وهكذا كان للتشبيه الوهمي في قوله تعالى : ﴿ طلعها كأنه رؤوس الشياطين ﴾ أثر في تنبيه الباحثين على التشبيه عامة وتشبيهات القرآن خاصة ، فبحثه كلٌّ من أبي عبيدة والفرّاء، وجدّد الجاحظ البحث وتوسّع فيه ، وكان أدقَّ في تناوله من بعض معاصريه كابن قتيبة والمبرِّد . فقد رفض تفسير اللغويين الحسي الذين فسروا الرؤوس بنبات يماني ، أو شجر كريه المنظر ،

---

[1] الحيوان ، ٤ / ٣٩ – ٤٠ .
[2] أثر القرآن في تطور النقد العربي ، د. محمد زغلول سلام ، ص٩١ .
[3] الجاحظ معلم العقل، شفيق جبري ، ص١٨٧ (دار المعارف – مصر ، ١٩٤٨م) .
[4] الحيوان ، ٥ / ٢٣ .

أو حيّات قبيحة الشكل ، ورأى أنه قد يكون لكلمة " شيطان " أصل من الواقع المادي إلا أنها لا تبلغ في أثرها في النفس مبلغ صورة الشيطان التي تثب إلى الخيال سمجة مكروهة تجمع كلَّ سمات الايحاش والتنفير والتفزيع والبشاعة[١] .

وأشار الجاحظ سريعاً إلى تشبيه قلوب بني إسرائيل بالحجارة ، فقال : " ووصف الله قلوب قوم بالشدَّة والقسوة، فقال: ﴿ فهي كالحجارةِ أو أشدُّ قسوة ﴾[٢]، وقال في التشديد: ﴿ نارا وقودها النَّاسُ والحجارةُ ﴾ [٣]، لأنه حين حذر الناس أعلمهم أنه يُلقي العصاة في نار تأكلُ الحجارة "[٤] . فالشدة مصدر لتشبيه قلوب القوم بالحجارة ، والنار من وقودها الحجارة .

والتشبيه في الآية الأولى واضح ، وفي الأخرى كناية عن صفة التأجج وشدة الحرارة، والجامع بينهما الشبه في المعنى .

وأشار إلى وجه الشبه بين طرفي التشبيه في قوله تعالى : ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾ [٥]، فقال : " فدلَّ بوهن بيته على وهن خلقه ، فكان هذا القول دليلاً على التصغير والتقليل "[٦] .

خلاصة القول في تشبيهات القرآن في رؤية الجاحظ البيانية ، يمكن أن نجمله في ما يأتي [٧]:

١ – إن التشبيه القرآني ، فيما يتصل بالذات الإلهية وأحوال الملائكة وما فيه من الجنة والنار ومشاهدهما ، صور ذهنية في قوالب وأشكال مادية محسوسة لإبراز المعنى وتثبيته في النفوس ؛ والتشبيه فيما عدا ذلك يجري حسبما يقتضيه التعبير الأدبي عند البلاغيين والنقاد .

٢ – لم يكن لفظ التشبيه قد استقر بعد على الصورة التي عرفت بعد في البلاغة ، إنما تراوحت عبارات الجاحظ بين المثل والبدل والاشتقاق والتشبيه ، وأحياناً يدرجها متتابعة .

٣ – تعمق الجاحظ في بيان أوجه الشبه وتفصيل أجزائه مع شرح وافٍ في كثير من الأحايين ليوضح الغرض القرآني في التعبير .

٤ – كان الحِجَاج الديني ومحاولة تسفيه آراء أصحاب الظاهر من المفسرين واللغويين من أهم الدواعي إلى التعمق في بحث التشبيه عند الجاحظ ، ليفلت من القيود الحسية ومن التجسيم .

---

(١) أثر القرآن في تطور النقد العربي ، د. محمد زغلول سلام ، ص٩١ .
(٢) البقرة ، الآية ٧٤ .
(٣) التحريم ، الآية ٦ .
(٤) الحيوان ، ٤ / ٣١٠ – ٣١١ .
(٥) العنكبوت ، الآية ٤١ .
(٦) الحيوان ، ٤ / ٣٨ .
(٧) البلاغة عند المفسرين، د. رابح دوب ، ص٥٠٨ – ٥١٠ (دار الفجر للنشر والتوزيع – القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٧م) ، وأثر القرآن في تطور النقد العربي ، د. محمد زغلول سلام، ص٩٢ .

٥ – ذكر الجاحظ أمثلة من التشبيه بالحيوان في القرآن لغلبة صفة ما في كل نوع منهـا أراد السياقُ إبرازها ، فيضرب الله مثلاً بالعنكبوت في وهن البيت وضعفه ، والحمار فـي الجهـل والغفلة وفي قلة المعرفة وغلظ الطبيعة ، والقرد في القبح والتشويه ونذالة الـنفس والصـغار والطرد [١].

هكذا كان للجاحظ ، وهو المتكلم المعتزلي ، بصمات واضحة في تشـبيهات القـرآن الكريم خاصة وفي البلاغة العربية عامة ، لأن القرآن الكريم كان عمدة المتكلمين في جدلهم ، ينافحون عن إعجازه ، ويستدلون بآياته على المعاني التـي يرومونهـا ، لأن النـاس كـانوا يفزعون إليهم ، طلباً لفهم محكم التنزيل ومتشابهه ، وكشف ما التبس منه عليهم . لذلك كـان يرى أن المتكلمين أقدر من اللغويين على فهم القرآن والمنافحة عن حياض الدين ، يقـول : " ولو كان أعلم الناس باللغة لم ينفك في باب الدين حتى يكون عالماً بالكلام "[٢] ، لـذلك نـراه يعالج التشبيهات من قاعدة ثقافية واسعة جمع فيها بين معرفة علم الكلام ، والرسوخ في اللغـة وآدابها[٣].

وعلى الرغم من إشارات الجاحظ الذكية ، وتأملاته العميقة ، ولمحاته الثاقبة ، لم يكـن يُعنـى بوضع المصطلحات أو صياغة التعريفات والحدود ، بل كان أديباً بليغاً بطبعه وذوقه وعقلـه ، يقف على مواطن الجمال في التشبيهات مبيناً حسن بيانها ، واتساق معناها ومبناها ، رادا بذلك على مطاعن أهل الخلاف والطعن ، ومنافحاً عن معنى التشبيه القرآني .

---

[١] الحيوان ، ٤ / ٣٩ . قال مجاهد في تفسير قوله تعالى : ﴿ كونوا قردةً خاسئين ﴾ (البقرة ٦٥ والأعراف ١٦٦) . " ما مسخت صورهم ، ولكن قلوبهم ، فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار " (تفسير البيضاوي ، ١ / ٣٣٧) .

[٢] الحيوان ، ٢ / ٢٣٩ – ٢٤٠ .

[٣] الخيال في الشعر العربي ودراسات أدبية، محمد الخضر حسين، ص١٨٠ (جمعه وحققه : علي الرضا التونسي، ط٢ ، ١٩٧٢م) .

(٢) الطبري في " جامع البيان عن تأويل آي القرآن " :

اعتمد محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) في منهجه في التفسير على اللغة العربية بمختلف علومها وفنونها،وهذا أمر طبيعي ومنطقي ، وهو ما يجب الالتزام به ، لأن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، وأبان عن مراد الله تعالى بمقتضى دلالة العربية وأسلوبها واستعمالاتها ووجوه البيان فيها .

درس الطبري علوم العربية وأتقنها وأجاد استعمالها والتفنن في مجالاتها ، وأكَّدَ في مقدمة تفسيره ذلك مطولا بعنوان " القول في البيان عن اتفاق معاني آي القرآن ، ومعاني منطق من نزل بلسانه القرآن من وجه البيان – والدلالة على أنَّ ذلك من الله تعالى ذكره هو الحكمة البالغة – مع الإبانة عن فضل المعنى الذي به باين القرآن سائر الكلام " . وهو أن فصاحة القرآن هي أحد وجوه معجزاته ، وأنَّ الله تعالى لا يخاطبنا بما لا نفهمه ، وأنَّ القرآن وقع فيه ما يقع في كلام العرب من وجوهِ البيان من الإيجاز والاختصار ، والإجمال والتفصيل والإطالة والإكثار والترداد والتكرار ... الخ[1].

وتشبيهات القرآن الكريم من وجوه البيان التي أبان الطبري عن مراد الله تعالى عنها بمقتضى دلالة اللغة العربية وأسلوبها . فقد تنبَّه في ثنايا تفسيره للآيات التي عبَّر عنها القرآن بأسلوب التشبيه لِكُلِ حقائق التشبيه ، وألوانه وصوره و تقسيماته المتعددة كافة ، ولحظ أيضا أغراض التشبيه وأهدافه ، وأكَّدَ ذلك جيداً ، وإن لم يهتم بالمصطلح البلاغي لبعض أقسام التشبيه .

أول ما يتبدى للمتتبع لتشبيهات القرآن في تفسير الطبري عدم تفريقه كثيراً بين التشبيه والتمثيل ، لأنهما مترادفان لغة ، وإن كانا يختلفان اصطلاحا .

لقد كان يتتبع معاني تشبيهات القرآن ، يحللها ويستخرج معطياتها من التراث القديم أو يتأملها هو موضحا أركانها ، ومبينا أقسامها باعتبار طرفي التشبيه . وميَّز أقسام وجه الشبه ، وتحدث عن أدوات التشبيه وقيمتها البيانية في كثير من صور التشبيه ، وحكمة تكرار الأداة أحياناً . وميز التشبيه المضمر الأداة ؛ الذي تحذف الأداة منه عند قصد المبالغة في التشبيه ، ليصير المشبه عين المشبه به دون تفاوت ، وهذا أدعى للمبالغة والتأكيد، وميز كذلك حذف أداة التشبيه فقط مع بقاء المشبه والمشبه به ووجه الشبه ، وكذلك حذف وجه الشبه فقط مع بقاء المشبه والمشبه به وأداة التشبيه، وهو نوع من التشبيهات فيه من المبالغة والقوة أكثر من التشبيه المحذوف الأداة فقط . وفي كلام السكاكي إشارة إلى أن ترك وجه الشبه أبلغ من

---

(١) ينظر: تفسير الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١/ ٢٨ وما بعدها (تحقيق د. بشار معروف وعصام الحرستاني ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤م) ، وينظر التفسير والمفسرون، محمد الذهبي،١ /٢١٧ (دار الكتب الحديثة – القاهرة ، ١٩٦١م) .

ترك أداته قال : " لعموم وجه الشبه "[1] . وميز كذلك التشبيهات التي تحذف منها الأداة ووجه الشبه ، وهي أقوى أنواع التشبيه لاجتماع مزايا اللونين الثاني والثالث فيها ؛ إذ ينبئ حذف الأداة عن التطابق بين الطرفين ، وحذف الوجه عن الشمول في الصفات ، فقد اجتمعت القوتان فيه ، لذا فهو يسمى في المصطلح البلاغي بالتشبيه البليغ ، لأن أعلى مراتب التشبيه في الأبلغية ترك وجه الشبه وأداته[2] .

وتنبه على أغراض التشبيهات القرآنية ، كبيان حال المشبه المبهم غير الواضح ، أو بيان إمكان وجوده ، أو بيان مقدارحال المشبه ، في القوة والضعف ، والزيادة والنقصان ، أو بيان تقرير حال المشبه في ذهن السامع ، أو تزيين المشبه أو تقبيحه أو استطراف المشبه ؛ كما تنبَّه على التشبيه المقلوب أو المعكوس وفائدته البلاغية ، وأوضح القيمة البلاغية لتشبيهات القرآن عامة .

كان الطبري في معالجته لتشبيهات القرآن الكريم يلتزم بالدلالات اللغوية في تحديد المعنى ، وفهم المراد الذي يلزم أن يكون موافقاً لمعاني كلام العرب ، واستعمالاتهم اللغوية والبيانية ، بجانب النقول المأثورة ؛ ولم يكتفِ بعرض الروايات المختلفة في فهم التشبيه القرآني ، وإيراد المعاني اللغوية ، وتعدد الاستعمال والمعاني للألفاظ ،إنّما كان يفاضل بينها ، ويختار أرجحها عنده ممَّا يتفق والنسق المعنوي للتشبيه الذي يُفَسِّرُه ، لذلك يتكرر قوله في أغلب الصفحات " وأولى القولين أو الأقوال – في ذلك عندي – بالصواب كذا "

من الأمثلة قوله تعالى : ﴿ أذلك خيرٌ نُزُلاً أمْ شجرة الزَّقوم ۞ إنا جعلناها فتنة للظالمين ۞ إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم ۞ طلعها كأنَّه رؤوس الشياطين ﴾ [3]. يقول : " كأنَّ طلعَ هذهِ الشجرةِ ، يعني شجرة الزقوم في قُبحه وسماجته رؤوس الشياطين في قبْحِها . فإنْ قال قائلٌ : وما وجهُ تشبيهِ طلْعَ هذه الشجرة برؤوس الشياطين في القُبح ، ولا علم عندنا بمبلغ قُبح رؤوس الشياطين ، وإنما يُمثل الشيءُ بالشيءِ تعريفاً من المُمثَّل الممثَّل له، قرب اشتباه الممثَّل أحدهما بصاحبه مع معرفة الممثل له الشيئين كِليهما أو أحدهما ، ومعلوم أن الذين خُوطبوا بهذه الآية من المشركين ، لم يكونوا عارفين شجرة الزقوم ، ولا برؤوس الشياطين ، ولا كانوا رأوهما ، ولا واحد منهما ؟

قيل له : أما شجرة الزقوم ، فقد وصفها الله تعالى ذِكره لهم وبينها حتى عرفوها ما هي وما صفتها ... فلم يتركهم في عماءٍ منها . وأما في تمثيله طلعها برؤوس الشياطين ، فأقول : لكلٌ

---

(1) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ٣ / ٤٨٢ .
(2) المصدر نفسه ، ٣ / ٤٨٢ .
(3) الصافات ، الآيات : ٦٢ – ٦٥ .

منها وجهٌ مفهوم : أحدهما : أن يكون مثل ذلك برؤوس الشياطين على نحو ما قد جرى به استعمال المخاطبين بالآية بينهم ، وذلك أن استعمال الناس قد جرى بينهم في مبالغتهم ، إذا أراد أحدهم المبالغة في تقبيح الشيء ، قال : كأنه شيطانٌ ، فذلك أحدُ الأقوال .

والثاني : أن يكون مُثِّل برأس حيةٍ معروفةٍ عند العرب تسمى شيطاناً ، وهي حية لها عُرفٌ فيما ذُكر قبيح الوجهِ والمنظر .

والثالث : أن يكون مِثْلَ نبْتٍ معروفٍ برؤوس الشياطين ذُكِر أنه قبيحُ الرأس "[1] . فنلاحظ أن الطبري في تفسيره للتشبيه السابق يستخدم التشبيه والتمثيل مترادفين دون تفريق، كذلك يميز أركان التشبيه : المشبه والمشبه به ووجه الشبه وأداة التشبيه ، و نلاحظ،كذلك، تتبعه لمعاني التشبيه القرآني ، يحلله مستخرجاً معطياته من دلالات اللغة والتراث . و تمييزه لتقسيم التشبيه باعتبار الطرفين ، كتشبيه المحسوس بالمعقول أو التشبيه الوهمي في المثال الآنف الذكر ، وغيره من الأقسام كتشبيه المحسوس بالمحسوس والمعقول بالمعقول ، والمعقول بالمحسوس .

ومن الأمثلة على تشبيه المحسوس بالمحسوس في تفسير الطبري قوله تعالى : ﴿ وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام ﴾ [2]، الذي يقول فيه : الجواري ، السفن الجارية في البحار . وقوله " كالأعلام " ، يقول : كالجبال ، شبه السفن بالجبال ، والعرب تسمي كلَّ جبلٍ طويل علما[3]. وكذلك قوله تعالى: ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴾[4] الذي شبه القمر فيه بالعرجون في دقته وتقوسه واصفراره. يقول الطبري: " وآية لهم : تقديرنا القمر منازل للنقصان بعد تناهيه وتمامه ،واستوائه ، حتى عاد كالعرجون القديم؛ والعرجون : من العِذقِ من الموضع الثابت في النخلة إلى موضع الشماريخ ، وإنما شبهه جلَّ ثناؤُه بالعرجون القديم، والقديم هو اليابس ، لأن ذلك من العِذق ، لا يكاد يوجد إلا متقوساً منحنياً، إذا قدم ويبس، ولا يكاد أن يصاب مستوياً معتدلاً، كأغصان سائر الأشجار وفروعها، فكذلك القمرُ إذا كان في آخر الشهر قبل استسراره، صار في انحنائه وتقوسه نظير ذلك العرجون"[5]. ومثله قوله تعالى : ﴿ كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر ۞ إنا أرسلنا عليهم

---

(1) تفسير الطبري ، ٦ / ٣٠٧ – ٣٠٨ .
(2) الرحمن ، الآية ٢٤ .
(3) تفسير الطبري ، ٧ / ١٨٤ .
(4) يس ، الآية ٣٩ .
(5) تفسير الطبري ، ٦ / ٢٧٦ – ٢٧٧ .

وقوله تعالى : ﴿ وحورٌ عين ۞ كأمثال اللؤلؤ المكنون ﴾ [1]، يقول الطبري : هن في صفاء بياضهن وحُسنهن ، كاللؤلؤ المكنون الذي قد صين في كِنٍّ[2] .

وقوله تعالى : ﴿ فأصبحت كالصريم ﴾ [3]، يقول الطبري : اختلف أهل التأويل في الذي عني بالصريم ، فقال بعضهم : عني به الليل الأسود . وقال بعضهم : معنى ذلك فأصبحت جنتهم محترقة سوداء كسواد الليل المظلم البهيم . وقال آخرون : بل معنى ذلك : فأصبحت كأرضٍ تُدعى الصريم معروفة بهذا الاسم[4] .

وقوله تعالى : ﴿ خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جَرادٌ منتشرٌ ﴾[5]، يقول تعالى ذكره : يخرجون من قبورهم كأنهم في انتشارهم وسعيهم إلى موقف الحساب جرادٌ منتشر[6].

وقوله تعالى : ﴿ يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ۞ وتكون الجبال كالعهن المنفوش ﴾[7]، يقول تعالى ذكره : القارعة يوم يكون الناس كالفراش ، وهو الذي يتساقط في النار والسِّراج ، ليس ببعوض ولا ذباب ، ويعني بالمبثوث : المُفرَّق ويوم تكون الجبال كالصوف المنفوش ، والعهن : هو الألوان من الصوف[8].

وقوله تعالى:﴿ خلق الإنسان من صلصالٍ كالفخار ۞ وخلق الجان من مارج من نار ﴾[9].يقول تعالى ذكرُه : خلق اللهُ الإنسان وهو آدم من صلصال : وهو الطين اليابس الذي لم يطبخ ، فإنه من يبسه له صلصلة إذا حُرِّك ونُقِر كالفخار ؛ يعني أنه من يُبسه وإن لم يكن مطبوخاً ، كالذي طُبِخَ بالنار فهو يصلصل كما يُصلصِل الفخار ، والفخار : هو الذي قد طبخ من الطين بالنار .يقول تعالى ذكره : وخلق الجان من مارجٍ من نار ، هو ما اختلط بعضه ببعض ، من بين أحمرُ وأصفر وأخضر من قولهم : مَرِج أمر القوم : إذا اختلط ، ومن قول النبي صلى الله عليه وسلم لعبدالله بن عمر : " كيف بكَ إذا كُنت في حثالة من الناس قد

---

[1] الواقعة ، الآيتان ٢٢ – ٢٣ .
[2] تفسير الطبري ، ٧ / ٢٠١ .
[3] القلم ، الآية ٢٠ .
[4] تفسير الطبري ، ٧ / ٣٤٨ – ٣٤٩ .
[5] القمر ، الآية ٧ .
[6] تفسير الطبري ، ٧ / ١٦٢ .
[7] القارعة ، الآيتان ، ٤ – ٥ .
[8] تفسير الطبري ، ٧ / ٥٥٩ – ٥٦٠ .
[9] الرحمن ، الآيتان ، ١٤ – ١٥ .

مرجت عُهودهم وأماناتُهم " وذلك هو لهب النار ولِسانُهُ[1] .

وقولـــه تعالى : ﴿ فإذا انشقت السماء فكانت وردةً كالدهان ﴾ [2]، يقول الطبري : يقول تعالى ذكره فإذا انشقت السماء وتفطرت ، وذلك يوم القيامة ، فكان لونها لون البرذون الورد الأحمر [3].

وقولـــه تعالى : ﴿ إنهم يرونه بعيداً ۞ ونراه قريباً ۞ يوم تكون السماء كالمُهل ۞ وتكـــون الجبال كالعهن ﴾ [4]،يقول الطبري : يقول تعالى ذكره : يوم تكون السماء كالشيء المُـــذاب ، وتكون الجبال كالصُّوفِ[5] .

ومن الأمثلة على تشبيه المعقول بالمحسوس الذي أفاض الطبري فـــي تفســـيره قولـــه تعالى : ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرمادٍ اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ، ذلك هو الضلال البعيد ﴾ [6]. يقول الطبري : هـــذا مثـــلٌ ضـــربه الله لأعمال الكفار ، فمثل أعمالهم – التي كانوا يعملونها في الدنيا – يوم القيامة مثل رماد عصفت الريح عليه في يوم ريحٍ عاصفٍ ، فنسفته وذهبت به .فكذلك أعمال الكفار يـــوم القيامـــة ، لا يجدون منها شيئاً ينفعهم عند الله ، لأنهم لم يكونوا يعملونها لله ، بـــل كـــانوا يشـــركون فيهـــا الأوثان والأصنام . وقد وصف اليوم بالعصوف مع أن العصوف للريح لا لليوم ، لأنَّ الـــريح تكون فيه، كما يقال يوم باردٌ ، ويوم حارٌ ، لأن الحرارة والبرد يكونان فيه[7] .ومثلـــه قولـــه تعالى : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسرابٍ بقيعةٍ يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ۞ أو كظلماتٍ في بحر لجيٍّ يغشاه موجٌ من فوقه موج من فوقه سحابٌ ظلماتٌ بعضها فوق بعض إذا أخرج يَدهُ لم يكد يراها ، ومـــن لـــم يجعل الله لهُ نوراً فما له من نور ﴾ [8].

يقول الطبري: هذا مثل ضربه الله لأعمال الكفار ، الذين كفروا بالله ، وكذبوا الرسول وأنكروا القرآن فأعمالهم مثل سراب بقيعة إذا جاءه الظمآن ملتمساً فيه ماء ، يستغيث به مـــن عطشه لم يجد السراب شيئاً . وكذلك أعمال الكفار التي عملوها ، وظنوا أنهـــا تنجـــيهم مـــن

---

[1] تفسير الطبري ، ٧ / ١٨١ .
[2] الرحمن ، الآية ٣٧ .
[3] تفسير الطبري ، ٧ / ١٨٨ .البرذون:يطلق على غير العربي من الخيل و البغال جمعه براذين.
[4] المعارج ، الآيات ، ٦ – ٩ .
[5] تفسير الطبري ، ٧ / ٣٦٨ .
[6] إبراهيم ، الآية ١٨ .
[7] تفسير الطبري ، ٤ / ٥٨٣ – ٥٨٤ .
[8] النور ، الآيتان ، ٣٩ – ٤٠ .

عذاب الله ، كما ظن الظمآن السراب ماءً، يرويه من عطشه. فإذا ماتوا ، وكانوا بحاجة إلى أعمالهم،لم تنفعهم، وحاسبهم الله،وجازاهم بما يستحقون[1].﴿أو كظلمات في بحر لجي..﴾ وهذا مثل آخر ضربه الله لأعمال الكفار. يقول تعالى ذكره : ومثل أعمال هؤلاء الكفار ، في أنها عملت على خطأ وفساد ، وضلالة وحيرة من عمالها فيها، وعلى غير هدى مثل ظلمات في بحر لجي،ونسب البحر إلى اللجة، وصفاً له بانه عميق كثير الماء ، ولجة البحر : معظمهُ. فجعل الظلمات مثلاً لأعمال الكفار، والبحر اللجي مثلاً لقلب الكافر، فهو قلب قد غمره الجهل، وتغشته الضلالة والحيرة ، كما يغشى هذا البحر اللجي موجٌ من فوقه موج من فوقه سحاب . فقلب الكافر يغشاه الجهل ، وقد ختم الله عليه ، فلا يعقل عن الله ، وختم على سمعه فلا يسمع مواعظ الله ، وجعل على بصره غشاوة فلا يبصر حجج الله ، فتلك ظلمات بعضها فوق بعض، قال أبي بن كعب في الآية : الكافر يتقلب في خمس من الظلم ، فكلامه ظلمة ، وعمله ظلمة ، ومدخله ظلمة ، ومخرجه ظلمة ، ومصيره إلى ظلمات النار يوم القيامة [2].

ونحوه قوله تعالى : ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾[3] الذي يقول الطبري فيه : مثل الذين اتخذوا الآلهة والأوثان من دون الله أولياء يرجون نصرها ونفعها عند حاجتهم لها ، ولن يجدوا عندها نصراً ولا نفعاً ولا خيراً .مثلهم بذلك كمثل العنكبوت في ضعفها ، وقلة احتيالها لنفسها ، إذ اتخذت لنفسها بيتاً كي يحميها ، فلم يغن عنها شيئاً عند حاجتها له ، وكذلك هؤلاء المشركون ، لمّا حلَّ بهم عذاب الله على شركهم ، لم ينفعهم أولياؤهم ولم يدفعوا عنهم عذاب الله [4].

وتتبه الطبري للتشبيه التمثيلي ، ففي قوله تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطاه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما ﴾ [5]. يقول الطبري : وقوله " ذلك مثلهم في التوراة " يقول : هذه الصفة التي وصفت لكم من صفة أتباع محمد،صلى الله عليه وسلم، الذين معه صفتهم في التوراة . وقوله " ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه " يقول : وصفتهم في

---

[1] تفسير الطبري ، ٥ / ٥٦٣ – ٥٦٤ .
[2] المصدر نفسه ، ٥ / ٥٦٥ .
[3] العنكبوت ، الآية ٤١ .
[4] تفسير الطبري ، ٦ / ٨٠ .
[5] الفتح ، الآية ٢٩ .

إنجيل عيسى صفة زرع أخرج شطأه ،وهو فراخه ، يقال منه : قد أشطأ الزرع : إذا فرّخ فهو يشطئ إشطاء ، وإنما مثلهم بالزرع المشطئ ، لأنهم ابتدؤوا في الدخول في الإسلام . وهم عدد قليلون ، ثم جعلوا يتزايدون ، ويدخل فيه الجماعة بعدهم ، ثم الجماعة بعد الجماعة، حتى كثر عددهم ، كما يحدث في أصل الزرع الفرخ منه ، ثم الفرخ بعده حتى يكثر وينمى .

وقال آخرون : هذان المثلان في التوراة والإنجيل مثلهم .

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : مثلهم في التوراة ، غير مثلهم في الإنجيل ، وإن الخبر عن مثلهم في التوراة منتاهٍ عند قوله : ﴿ ذلك مثلهم في التوراة ﴾ وذلك أن القول لو كان كما قال مجاهد من أن مثلهم في التوراة والإنجيل واحد ، لكان التنزيل : ومثلهم في الإنجيل ، وكزرع أخرج شطأه ، فكان تمثيلهم بالزرع معطوفا على قوله : ﴿ سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾ حتى يكون ذلك خبراً عن أن ذلك مثلهم في التوراة والإنجيل ، وفي مجيء الكلام بغير واو في قوله " كزرع " دليل بيّن على صحة ما قلنا ، وأن قولهم " ومثلهم في الإنجيل " خبر مبتدأ عن صفتهم التي هي في الإنجيل دون ما في التوراة منها[1].

فهذا الزرع الذي استغلظ فاستوى على سوقه في تمامه وحُسن نباته ، وبلوغه وانتهائه الذين زرعوه مثل لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه واجتماع عددهم حتى كثروا ونموا، وغلظ أمرهم كهذا الزرع الذي وصف جل ثناؤه صفته ليغيظ بهم الكفار[2] .

ونلحظ ترجيح الطبري بين روايات تفسير تشبيهات القرآن ، ومن الأمثلة كذلك على ترجيحه بين الروايات في تفسير التشبيهات واختياره الوجه الذي يرجحه تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وعندهم قاصرات الطرفِ عينٌ ۞ كأنهن بيض مكنون ﴾[3] بقوله اختلف أهل التأويل في الذي شُبهنَ من البيض بهذا القول ، فقال بعضهم : شبهن ببطن البيض في البياض ، وهو الذي داخل القِشر ، وذلك أن ذلك لم يمسَّه شيءٌ . وقال آخرون بل شبهن بالبيض الذي يحضنه الطائر فهو إلى الصفرة فشبه بياضهن في الصفرة بذلك .وقال آخرون: بل عنى بالبيض في هذا الموضع:اللؤلؤ، وبه شُبِّهنَ في بياضه وصفائه.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قولُ من قال : شبهن في بياضهن ، وأنهن لم يمسّهُنَّ قبل أزواجهن إنسٌ ولا جانٌ ببياض البيض الذي هو داخل القشر ، وذلك هو الجلدة الملبسة

---

(1) تفسير الطبري ، ٧ / ٧٣ – ٧٤ .
(2) المصدر نفسه ، ٧ / ٧٤ .
(3) الصافات ، الآيتان ، ٤٨ – ٤٩ .

المُحّ قبل أن تمسه يدٌ أو شيء غيرها ، وذلك لا شك هو المكنون ؛ فأما القشرة العليا فإن الطائر يمسها ، والأيدي تُباشرها ، والعُش يلقاها . والعرب تقول لِكلّ مصون مكنونٌ ما كان ذلك الشيء لؤلؤاً كان أو بيضا أو متاعا[1] .

[1] تفسير الطبري ، ٦ / ٣٠٤ – ٣٠٥ .المُحّ:ما في جوف البيضة من صُفرة،أو من صفرة وبياض.

(٣) ابن وهب الكاتب[١] في " البرهان في وجوه البيان " :

أفرد ابن وهب الكاتب البغدادي (من القرن الرابع الهجري) في كتابه " البرهان في وجوه البيان " للتشبيه باباً مجملاً بيّن فيه أهمية التشبيه وبلاغته وأقسامه وأورد طائفة من تشبيهات القرآن الكريم والشعر أمثلة على ما ذكر ، تعيد إلى أذهاننا ما ورد في كتاب الكامل للمبرد .

تحدث ابن وهب عن بلاغة التشبيه وأهميته عند العربي ، فقال : " وأما التشبيه فهو من أشرف كلام العرب وفيه تكون الفطنة والبراعة عندهم ، وكلما كان المشبه في تشبيهه ألطف ، كان بالشعر أعرف ، وكلما كان بالمعنى أسبق ، كان بالحذق أليق "[٢] .وقسم التشبيه قسمين ، ظاهري ومعنوي :

الأول : تشبيه للأشياء في ظواهرها وألوانها ومقدارها ، كتشبيه اللون بالخمر ،والقدّ بالغصن، كما شبه الله تعالى النّساء في رقة ألوانهن بالياقوت ، يشير إلى قوله تعالى : ﴿ كأنهن الياقوت والمرجان ﴾[٣]، وفي نقاء أبشارهن بالبيض ، قال تعالى : ﴿ كأنهن بيض مكنون ﴾[٤] ، وكما قال الراعي يصف امرأة :

كأن بيضَ نعامٍ في ملاحفها إذا اجتلاهُنَّ قيظٌ ليلهُ وَمِدُ [٥]

وهو قريب من قول المبرد ، والمثال الذي أورده مثال المبرد نفسه .

والآخر : تشبيه في المعاني كتشبيههم الشجاع بالأسد ، والجواد بالبحر ، والحسن الوجه بالبدر . كما شبه الله – عزّ وجلّ – أعمال الكافرين في تلاشيها مع ظنهم أنها حاصلة لهم بالسراب الذي إذا دخله الظمآن الذي قد وعد نفسه به لم يجده شيئاً ، كما شبه من لا ينتفع بالموعظة بالأصم الذي لا يسمع ما يخاطب به، وشبه من ضلّ عن طريق الهدى بالأعمى الذي لا يبصر ما بين يديه ، وهو يشير إلى قوله تعالى: ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ...۞ صمٌ

---

[١] هو أبو الحسين اسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب. فقيه شيعي إمامي ومتكلم له عدة مصنفات في علوم الفقه والدين أحال عليها في مصنفه البرهان، وهي كتاب الحجة، وكتاب الإيضاح، وكتاب أسرار القرآن ،وكتاب التعبد . عاش في أواخر القرن الثالث الهجري وأواسط الرابع أي كان معاصراً لقدامة بن جعفر الذي نسب إليه كتاب " نقد النثر " خطأ بل هو جزء من كتاب " البرهان في وجوه البيان " ؛ الذي عثر عليه علي حسن عبد القادر في بعض المكتبات الأوروبية كما ذكر في مقالته التي نشرها عام ١٩٤٨م بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (البلاغة تطور وتاريخ ، د. شوقي ضيف ، ص٩٣ ، ثم ينظر : مقدمة نقد النثر المنسوب خطأ لقدامة بن جعفر) .

[٢] البرهان في وجوه البيان ، ابن وهب الكاتب ، ص١٣٠ (تحقيق د. احمد مطلوب ، و د. خديجة الحديثي، بغداد،ط١ ، ١٩٦٧م) .

[٣] الرحمن ، الآية ٥٨ .

[٤] الصافات ، الآية ٤٩ .

[٥] الوَمِد والومدة : شدة حر الليل .

بكم عمي فهم لا يرجعون ﴾[1] وإلى التشبيه الثاني في قوله تعالى : ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء ، صمٌ بكمٌ عميٌ فهم لا يعقلون ﴾[2].

وذكر ابن وهب أن نحو هذه التشبيهات كثيرة في القول وفي القرآن والشعر ، وما ذكر منه دليل على ما ترك[3] .

---

[1] البقرة ، الآيتان : ١٦ ، ١٨ .

[2] البقرة ، الآية ١٧١ .

[3] البرهان في وجوه البيان ، ص١٣٠ – ١٣٢ .

(٤) الرماني في " النكت في إعجاز القرآن " :

تناول الرماني (ت٣٨٦هـ) في " النُكَت في إعجاز القرآن " التشبيه ، الذي هو عنده القسم الثاني من أقسام البلاغة ، التي حصرها في أقسام عشرة هي : الإيجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والتلاؤم ، والفواصل ، والتجانس ،والتصريف ، والتضمين ، والمبالغة ، وحسن البيان .

يُعد بحثه للتشبيه أساسا لخلفه من الباحثين ، إذ أضاء فيه جوانب مهمة ، فعرّفه وقسمه باعتبارات مختلفة ،وبين بليغ التشبيهات ، وحلل كثيرا من التشبيهات القرآنية تحليلاً عميقا ، ولم يكن في ذلك متأثرا بأسلافه . بدأ باب التشبيه بتعريفه قائلا : " التشبيه هو العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر في حس أو عقل ، ولا يخلو التشبيه من أن يكون في القول أو في النفس "[١] . والعقد نوع من الالتزام يراد به التحقق من إمكانية المماثلة بين المشبه والمشبه به بحيث يتاح لأحدهما أن يحل محل الآخر في أمر حسي يأخذ هيئته من المادة المحسة التي ندركها بأبصارنا وأسماعنا وحواسنا الأخرى ، أو عقلي ينعقد من الصور الذهنية التي يشكلها العقل وتقنع بها نفس المتلقي[٢] .

الربط بين المشبه والمشبه به بأداة التشبيه قد يكون في القول ، نحو قولك : زيد شديد كالأسد ، أو في النفس نحو أن تعتقد في نفسك الربط بين زيد والأسد ، فهذا عقد في النفس أو تشبيه داخلي وتعريفه هذا للتشبيه أقرب للقياس منه للفن [٣].

والتشبيه عنده قسمان : حسي، ونفسي . الأول كتشبيه ماء بماء آخر ، أو ذهب بذهب آخر ، وأما النفسي فنحو تشبيه قوة زيد بقوة عمرو ، فالقوة لا تشاهد ، لكنها تعلم سادةً مسد أخرى [٤]. وقيام أحد الطرفين مقام الآخر لا يعني الاتفاق من جميع الوجوه ، بل يعني أن الطرفين يسد أحدهما مَسَدَّ الآخر في الصفةِ المشتركةِ بينهما .

وقسم التشبيه من ناحية أخرى قسمين :

١. تشبيه الحقيقة وهو تشبيه شيئين متفقين بأنفسهما ، كتشبيه الجوهر بالجوهر ، وتشبيه السواد بالسواد ، كقولك : هذا الدينار كهذا الدينار فخذ أيهما شئت .

---

(١) النكت في إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص٧٤ .
(٢) التشبيه والكناية ؛ بين التنظير البلاغي والتوظيف الفني، د. عبد الفتاح عثمان ، ص٢٨ (مكتبة الشباب – القاهرة ، ١٩٩٣م) .
(٣) تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية، د. مهدي السامرائي ، ص١١٠ (المكتب الإسلامي– دمشق، ط١، ١٩٧٧م) .
(٤) النكت ، ص٧٤ .

٢. تشبيه البلاغة ، وهو تشبيه شيئين مختلفين لمعنى يجمعهما مشترك بينهما ، كتشبيه الشدة بالموت ، والبيان بالسحر الحلال [١].

لم يحفل الرماني بتشبيه الحقيقة، لأنه لا أثر له في تلوين المعنى وبلاغة القول ، بل ركز بحثه في تفصيل القول في تشبيه البلاغة . لعله بهذا أول من دون الفرق بين التشبيه والتشابه أو تشبيه البلاغة القائم على الصورة الفنية وتشبيه الحقيقة ، الذي ترد فيه أداة التشبيه، ولا يرد فيه ما يدل على إقامة صورة تشبيهية . هذا السبق إلى هذه اللمحة الفنية من أبدع ما سُجل للرماني ، الذي أكد أن التشبيه ليس مجرد مشابهة ومماثلة بين طرفين ؛ إنما هو تحريك للذهن وتأليف بين المختلفات في الجنس ومؤاخاة بين المتباعدات ، حتى ترى الشيئين مثلين متباينين، ومؤتلفين مختلفين في صورة تبعث الأريحية وتطرب النفس كما يقول عبد القاهر [٢] .

لقد أولى الرماني تشبيه البلاغة اهتمامه، وعرفه بقوله : " التشبيه البليغ إخراج الأغمض إلى الأظهر بأداة التشبيه مع حسن التأليف "[٣] . وفصّل في أهميته وتأثيره وأقسامه وصوره المختلفة ، فبيّن أنّ التشبيه باب " يتفاضل فيه الشعراء، وتظهر فيه بلاغة البلغاء ، وذلك أنّه يكسب الكلام بيانا عجيبا ، وهو على طبقات في الحسن ، فبلاغة التشبيه الجمع بين شيئين بمعنى يجمعهما يكسب بيانا فيهما " [٤].

وجعل تشبيه البلاغة على أربعة وجوه ، ومثّل لكل وجه بتشبيه من تشبيهات القرآن الكريم ، محلّلا هذه التشبيهات ، بإيضاح مغزاها ، ومنبها على ما فيها من أسرار بلاغية خاصة كامنة وراء كل تشبيه قرآني منها . هذه الوجوه الأربعة التي قسم التشبيهات القرآنية وفقا لها من جهة طرفيها حسية وعقلية ، هي :

١. الوجه الأول :

إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة نحو تشبيه المعدوم بالغائب ، كقوله تعالى : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ﴾ [٥] الذي علق عليه بقوله : " فهذا بيان قد أخرج ما لاتقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه، وقد اجتمعا في بطلان المتوهم مع شدة الحاجة ، وعظم الفاقة ،ولو قيل يحسبه الرائي ماء ثم يظهر أنه على خلاف ما قُدّر لكان بليغا ، وأبلغ منه لفظ القرآن ، لأن الظمآن أشد

---

[١] النكت ، ص٧٤ – ٧٥ .
[٢] ينظر : أسرار البلاغة ، ص١٣٠ – ١٣٢ .
[٣] النكت ، ص٧٥ . جدير بالإشارة إلى أن مصطلح التشبيه البليغ عنده بمعنى تشبيه البلاغة المقابل لتشبيه الحقيقة ، وليس هو ما حذفت منه الأداة ووجه الشبه كما في اصطلاح البلاغيين المتأخرين .
[٤] النكت ، ص٧٥ .
[٥] النور ، الآية ٣٩ .

حرصاً عليه وتعلقَ قلبٍ به ، ثم بعد هذه الخيبة حصل على الحساب الذي يصيِّره إلى عذاب الأبد في النار ، نعوذ بالله من هذه الحال ، وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من حسن التشبيه ، فكيف إذا تضمن مع ذلك حسن النظم وعذوبة اللفظ ، وكثرة الفائدة ، وصحة الدلالة "[1] .

فالرماني في تعليقه هذا يبين وجه الشبه ، ويوضح دقة القرآن في اختيار اللفظ المعبر في تشبيه المعقول بالمحسوس ، إذ كشف التشبيه القرآني أعمالَ الكافرين كصلةِ الأرحام ، والإحسان إلى الناس ونحو ذلك من أعمال يظنها الكافرُ نافعة وهي ليست كذلك ، وهي ممَّا يدركُ بالعقل ، أبرزُها بصورةٍ حسيَّة ، هي صورة السرابِ ، وهي ما يرى في الفلوات من لمعان الشمس عليها وقتَ الظهيرةِ فيظن ماء يجري ، يتعلق به الظمآن ، ويجتهد في الوصول إليه ، وكلما جَدَّ اشتد ظماه حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، وخاب أمله .

وقد رأى الدكتور محمد أبو موسى أن الرماني درس هذا التشبيه القرآني من عدة جهات واستخرج لطائف وأسرارا أوجزها في ما يأتي :

أولاً : المعنى الذهني هنا ممثل أي ماثل في صورة حية يتحرك وترقبه العين ، الفكرة صارت حدثاً ، وشخصاً وصحراء ، وحراً وظماً ، وكداً ، ومعاناة ، ومفاجأة .

ثانياً : استخراج الصفة المشتركة ، التي تجمع الطرفين ويكمن فيها المغزى ، فصورة الظامئ والسراب جيء بها هنا لتؤكد في النفس عدم انتفاع الكافر بشيء من هذه الأعمال ، مع شدة تلهفه إلى هذا النفع . وقد تمثل هذا في تحرك الظامئ وشدة حاجته إلى الماء ، وانخداعه بالسراب وكدّه نحوه ، ثم خيبة أمله في الحصول على ما يريد . وقد ركز الرماني ذلك في عبارة دقيقة حين قال " وقد اجتمعا في بطلان المتوهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة " . ولما تشتمل عليه هذه العبارة من إيجاز ودقة وسداد غلبت عقول أهل العلم فكرروها في كلامهم .

ثالثاً : الدقة في اختيار العناصر التي تتكون منها الصورة تكسبها ثراء وخصوبة ، وتجعلها أقدر على التعبير ، والإيحاء ، وبمقدار شمول الدلالة واستيعابها ، وقدرتها على الإشارة والوحي تكون منزلة التشبيه وبلاغته .

لننظر إلى الرماني وهو يشير إلى فحص هذه العناصر ، ويستنطقها بقوله : " ولو قيل يحسبه الرائي ثم يظهر أنه على خلاف ما قدر لكان بليغاً ، وأبلغ منه لفظ القرآن ، لأن الظمآن أشد حرصاً عليه ، وتعلق قلبٍ به " .

---

[1] النكت ، ٧٥ – ٧٦ .

الظامئ يكسب الصورة عمقا بما يوحي به من معنى اللهفة والتحرق وشدة الحاجة ، ثم التخاذل وشدة الإعياء ،ولا ريب أن النظر في اختيار عناصر التشبيه من أهم ما يعين على استخراج مضمر دلالاته من خفي الخواطر ودقيق الأحوال والمواجد.

أخيرا : البحث في الصياغة ودراسة ما فيها من خصائص تفصح عن خفايا المعاني ثم ما تتصف به من سلاسة أو عذوبة ، فجلال التشبيه في الآية الكريمة كما قال الرماني يرجع إلى حسن النظم ، وعذوبة اللفظ ، وكثرة الفائدة ، وصحة الدلالة . وإذا أنعمنا النظر في صياغة الآية الكريمة ، لنستخرج منها هذه الصفات نجد فيها التنكير في كلمة سراب منبئا عن سراب ضئيل تافه ، وتظهر هذه الإشارة الدقيقة حين نذهب بهذه الخصوصية ، ونقول : أعمالهم كالسراب ، ووراء ذلك ما وراءه من تعلق هذا الظامئ المتحرق بالأمل وإن كان ضعيفا تائها، ثم هذه الكاف التي تجعل هذه الأعمال في مرتبة أدنى من مرتبة السراب ، ووراء ذلك استخفاف بها وازراء لها ، ثم وقوع كلمة " شيئا " مفعولا به لقوله " لم يجده " وكان يمكن أن يقول لم يجده ماء ولكن كلمة شيء جعلته عدما مطلقا ، ثم ذكر ضمير السراب حيث قال " لم يجده " ، وكان يمكن أن يقول لم يجد شيئا ولكن الضمير نص على الأمل المنشود وصيره عَدَما ، وفي ذلك إبراز للمغزى وخيبة الأمل ، وشيء آخر في هذه الهاء هو تهيئة الكلام لقوله بعد ذلك " ووجد الله عنده " ، لأنه لو قال حتى إذا جاءه لم يجد شيئا بدون الهاء لكان متناقضا مع قوله " ووجد الله عنده " ، ثم في كلمة " حتى " التي تشير إلى نهاية رحلة شاقة ، ومعاناة طويلة ، يجهده فيها الظما ويحفزه إليها الأمل ، ثم في هذا الشرط الذي ربط العدم بالسعي وجعله جوابا ونهاية له . ثم إن القصة لم تنته بعد ، وإنما هناك هول مذهل يصوره قوله " ووجد الله عنده فوفاه حسابه ". ولك أن تنظر إلى قوله " ووجد الله " والأصل عذاب الله وجزاءه ، ولكن التعبير أفاد أنه وجد ذا الجلال سبحانه ، وفي ذلك من الرهبة ما فيه الرهبة ، خاصة أن هذا الكافر ينكر وجود الله ، ثم تفجأه هذه الحقيقة وهو في تلك اللحظات القاهرة . وانظر إلى الفاء في قوله " فوفاه حسابه " وما تشير إليه من سرعة المواجهة والكفح، ونزول العذاب ، ثم انظر إلى إسناد التوفية إلى ضمير ذي الجلال ، فالله هو الذي يتولى تعذيبه بنفسه ، وفيه من الدلالة على شدة الغضب ما فيه ، ثم تأمل كلمة حسابه ، وما تشير إليه من الإنصاف ، فكل ما أشار إليه الكلام من الرهبة وسرعة المكافحة بالعذاب ، وشدة الغضب ليس فيه مجاوزة وإنما هو بحساب دقيق[1] .

---

[1] الإعجاز البلاغي : دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، د. محمد أبو موسى، ص١٠٢ – ١٠٤(مكتبة وهبة – القاهرة ، ط١، ١٩٨٤م)

ومثّل الرماني للوجه الأول بمثال ثانٍ هو قوله تعالى : ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرمادٍ اشتدت به الريح في يومٍ عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ﴾ [1] وعلق على هذا التشبيه مبرزاً وجه الشبه ، ومبيناً مغزاه بقوله : " فهذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه ، فقد اجتمع المشبه والمشبه به في الهلاك وعدم الانتفاع والعجز عن الاستدراك لما فات ، وفي ذلك الحسرة العظيمة والموعظة البليغة "[2] ، وعناصر الصورة التشبيهية المؤلفة من الرماد والريح واليوم العاصف تؤكد معاني الضياع والهلاك وعدم الانتفاع والحسرة .

ثمَّ مثّل بمثال ثالث ، هو قوله عز وجل : ﴿ واتلُ عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ۞ ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴾[3] ، وعلق عليه بقوله : " فهذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه، وقد اجتمعا في ترك الطاعة على وجه من وجوه التدبير وفي التخسيس فالكلب لا يطيعك في ترك اللهث حملت عليه أو تركته ، وكذلك الكافر لا يطيع بالإيمان على رفق ولا على عُنف ، وهذا يدل على حكمة الله سبحانه وتعالى في أنه لا يمنع اللطف "[4] .

و جاء بمثال رابع ، قوله تعالى : ﴿ له دعوة الحق والذين يدعُون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسطِ كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه ، وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ﴾[5]، وبين وجه الشبه فيه بقوله:" فهذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه،وقد اجتمعا في الحاجة إلى نيل المنفعة،والحسرة بما يفوت من درك الطلبة، وفي ذلك الزجر عن الدعاء إلا لله عز وجل الذي يملك النفع والضر،ولا يضيع عنده مثقال الذر "[6].

٢. الوجه الثاني :

إخراج ما لم تجربه عادة إلى ما جرت به عادة ، كتشبيه البعث بعد الموت بالاستيقاظ بعد النوم ، وكتشبيه ارتفاع الجبل بارتفاع الظلة في قوله عز وجل : ﴿ وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلّة وظنُّوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ﴾[7] بيّن

---

(١) إبراهيم ، الآية ١٨ .
(٢) النكت ، ص٧٦ .
(٣) الأعراف ، الآيتان ، ١٧٥ – ١٧٦ .
(٤) النكت ، ص٧٦ .
(٥) الرعد ، الآية ١٤ .
(٦) النكت ، ص٧٦ .
(٧) الأعراف ، الآية ١٧١ . ومعنى نتقناه : أي قلعناه ورفعناه فوقهم .

الرماني قدرة الخالق في هذا التشبيه الذي فيه أعظم الآية لمن فكر في مقدورات الله تعالى عند مشاهدته لذلك أو عمله به ليطلب الفوز من لدُنه ، ونيل المنافع بطاعته ، وأوضح وجه الشبه بين طرفيه حيث اجتمعا في معنى الارتفاع في الصورة [1]. وجاء هذا التشبيه في شأن بني إسرائيل الذين أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لثقلها فرفع الله جبل الطور فوقهم كانه سقيفة . وقيل لهم إن قبلتم ما فيها وإلا ليقعن عليكم فاستجابوا صاغرين . وهو تشبيه غريب وطريف يوضح هذه الحادثة .

كما مثل بقوله، عزّ وجلّ : ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظنّ أهلها أنّهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس ، كذلك نفصّل الآيات لقوم يتفكرون ﴾ [2]. وأوضح وجه الشبه وما تضمنه التشبيه من عبرة وعظة قائلاً : " وهذا بيان قد أخرج ما لم تجربه عادة إلى ما قد جرت به ، وقد اجتمع والمشبه به في الزينة والبهجة ثم الهلاك بعده ،وفي ذلك العبرة لمن اعتبر ، والموعظة لمن تفكر في أن كلّ فانٍ حقيرٌ وإن طالت مدته ، وصغيرٌ وإن كَبُرَ قدرُه " [3].

ومثل بقوله عز وجلّ : ﴿ إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحسٍ مستمرٍ ۞ تنزع الناس كأنّهم أعجاز نخلٍ منقعر ﴾ [4]، وعلق عليه موضحا التشبيه ، وما اشتمل عليه من عظة وإبراز قدرة الله عز وجلّ، فقال : " وهذا بيان قد أخرج ما لم تجر به عادة إلى ما قد جرت به ، وقد اجتمعا في قلع الريح لهما ، وإهلاكها إياهما . وفي ذلك الآية الدالة على عظيم القدرة والتخويف من تعجيل العقوبة "[5] . هذا التشبيه غريب ، وهو من باب بيان إمكان المشبه ، لأنّ قلعَ الريحِ للرؤوس من الأجساد ليس بصورةٍ مألوفةٍ ، كما هو الحال في اقتلاعها لجذوع النخل ، ويدل على عظيم قدرة الخالق التي يخوّف بها الناس أنْ يحل بهم عذابٌ مثل الذي حلّ بقوم عادٍ . ويهتم هذا التشبيه بالصورةِ الخارجيةِ في وصفِ قوم عاد .

وساق أمثلة أخرى لذلك ،كقوله تعالى : ﴿ اعلموا إنما الحياة الدُنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً ، وفي الآخرة عذابٌ شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا

---

(1) النكت ، ص٧٦ . وينظر : السياق القرآني للتشبيه : البقرة ، الآية ٥٥ والنساء ، الآية ١٥٣ .
(2) يونس ، الآية ٢٤ .
(3) النكت ، ص٧٧ .
(4) القمر ، الآيتان ، ١٩ – ٢٠ .
(5) النكت ، ص٧٧ .

إلا متاع الغرور ﴾ [1]، وبين وجه الشبه والعظة من التشبيه بقوله : " فهذا تشبيه قد أخرج ما لم تجربه عادة إلى ما قد جرت به، وقد اجتمعا في شدة الإعجاب ثم في التغيير بالانقلاب ، وفي ذلك الاحتقارُ للدنيا والتحذير من الاغترار بها والسكون إليها " [2] .

٢. الوجه الثالث :

إخراج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة ، كتشبيه إعادة الأجسام بإعادة الكتب . ومثل له بقوله تعالى : ﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ﴾[3]. يكشف الرماني النكتة البلاغية في هذا التشبيه موضحا وجه الشبه بين الجنة والسماء والأرض وهو العِظم ، ومبرزاً العبرة في ذلك التشبيه القرآني بما يشتمل عليه من بيان عجيب بما قد تقرر في النفس من الأمور ، والتشويق إلى الجنة بحسن الصفة مع ما لها من السعة[4]. فقد صور عرض الجنة الفسيح وهو مما لا يعلم بالبديهة بواسطة تشبيهية بعرض السماء والأرض الرحيب وهو من البديهيات المعلومة بسهولة.

ومثله قوله تعالى : ﴿ فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل ٍ خاوية ﴾[5]الذي يقول الرماني عنه : " وهذا تشبيه قد أخرج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم ، وقد اجتمعا في خلو الأجساد من الأرواح ، وفي ذلك الاحتقار لكلّ شيء يؤول به الأمر إلى ذلك المآل [6].

في هذا التشبيه اهتمام بالصورة الداخلية لقوم عاد ، لأنّه يكشف خواءَهم الروحي المشابه لخواء أعجاز النخل وعدم نفعها ، مِمَّا نَجَمَ عنه تشابهٌ في هيئةِ الصرع والقتل .

٤. الوجه الأخير :

وهو إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة في الصفة ، كتشبيه ضياء السراج بضياء النَّهار بقصد المبالغة في الصفة إلى جانب الإيضاح ، كقوله تعالى : ﴿ وله الجوارِ المنشآت في البحر كالأعلام ﴾ [7] . كشف الرماني وجه الشبه بين طرفي التشبيه والعبرة فيه بقوله : " وقد اجتمعا في العِظم ، إلا أن الجبال أعظم . وفي ذلك العبرة من جهة القدرة فيما

---

[1] الحديد ، الآية ٢٠ .
[2] النكت ، ص٧٧ .
[3] الحديد ، الآية ٢١ .
[4] النكت ، ص٧٧ .
[5] الحاقة ، الآية ٧ .
[6] النكت ، ص٧٨ .
[7] الرحمن ، الآية ٢٤ .

سَخَّرَ من الفلك الجارية مع عظمها ، ومـــا في ذلك من الانتفاع بها وقطع الأقطـــار البعيدة فيها " [1].

ومثله قوله عز وجل : ﴿ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله ﴾ [2]، الذي علق عليه الرماني قائلا : " وفي هذا إنكار لأن تجعل حرمة السقاية والعمارة كحرمة من آمن وكحرمة الجهاد ، وهو بيان عجيب ، وقد كشفه التشبيه بالإيمان الباطل والقياس الفاسد . وفي ذلك الدلالة على تعظيم حال المؤمن بالإيمان ، وأنه لا يساوى به مخلوق على صفته في القياس " [3].

ومثله : ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ﴾ [4].

ويُعَدُّ الرماني صاحب الفضل في تمهيد سبل البحث للاحقيه من علماء البلاغة والنقد ، إذ كانت تقسيماته الأربعة الآنفة الذكر لوجوه التشبيه منارة لهم ، وكان فهمه العميق وتحليله الدقيق لتشبيهات القرآن ينبوعا نهلوا من معينه وزاد بعضهم عليه ، وبقي بعضهم عالة عليه يدور في فلك تقسيماته وأمثاله . ويمكن أن يُسَجَّل له ما يأتي :

١ – تعمقه في أصول التشبيه ، دون تأثر بأسلافه ، تعمقا يكشف استقلاله و أصالته في التفكير والبحث والتحليل ، فلم يدر بفلك تقسيمات المبرد للتشبيه : " تشبيه مفرط ، وتشبيه مصيب ، وتشبيه بعيد " [5] ، ولم يتأثر بابن طباطبا العلوي في ضروب التشبيه عنده " والتشبيهات على ضروب مختلفة . فمنها تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة ، ومنها تشبيهه به معنى ، ومنها تشبيهه به حركة ، وبطئا وسرعة ، ومنها تشبيهه به لونا ، ومنها تشبيهه به صوتا ، وربما امتزجت هذه المعاني بعضها ببعض " [6].

وتقسيم الرماني للتشبيه بناء على مستويات الإدراك المختلفة في المشبه والمشبه به من حيث وجه الشبه ، مؤسس على نظرة " ربما كانت أدق من نظرة عبد القاهر والمتأخرين الذين غلبت عليهم فكرة ابتذال التشبيه بكثرة التكرار ، لأن الرماني رأى أن قوة ظهور المشبه به وكثرة تكراره حتى كأن إدراكه إدراكا بدهيا ربما كان ذلك المغزى من التشبيه ، ولذلك كان تقسيمه تقسيما ناظرا إلى مستويات الإدراك كتشبيه ما لم تجر به عادة بما جرت به عادة، وما

---

[1] النكت ، ص٧٨ .
[2] التوبة،الآية١٩ .
[3] النكت،٧٨-٧٩ .
[4] الجاثية،الآية ٢١ .
[5] الكامل،٢/٨٧ .
[6] عيار الشعر،٢٣ .

لا يدرك بالبديهة بما يدرك بها إلى آخر ما ذكر " [1]. وهذه التقسيمات لنماذج الصورة التشبيهية في القرآن يرجعها الرماني إلى قدرة كتاب الله التصويرية للتأثير والإثارة ، إذ ينقل الفكرة المعنوية إلى صورة حسية أو ينقل الصورة الحسية إلى أخرى أكثر منها وضوحا [2].

٢ – لعله أول من جاب غمار التشبيهات القرآنية بعمق ، وقصر أمثلته على القرآن الكريم في بحثه للتشبيه فناً من فنون التعبير الذي تجلى به النظم المعجز لمحكم التنزيل ، ولا غرو في ذلك ، فمنهجه المنماز بغزارة الاستشهاد من القرآن ، وقصر الأمثلة عليه ، المراد منه تحقيق الغاية من كتابه " النكت في إعجاز القرآن " وهو كشف إعجازه ، وتجلية بلاغته ، وكان في التزامه بهذا المنهج أكيس من عبد القاهر الذي بعثر الشواهد القرآنية ، وهي هدف كتابه أصلا بين كثير من الشواهد الشعرية . والرماني إذ ربط جانباً من الإعجاز ببلاغة القرآن ، كان في ذلك يواجه قدرة التشبيهات القرآنية على التأثير في متلقيها . ورأى أن جانباً كبيراً من قدراتها التأثيرية يرتد إلى تقديم المعنى للحواس ، لذا افترض أنها تتناول معنى مجرداً وتقدمه للمتلقي بشكل حسي ، وذلك عن طريق ربطها المعنوي المجرد بالحسي المعاين ، أو ربطها الصور الحسية بأخرى أشد منها تمكناً في الصفات الحسية ، ولذا فبلاغة التشبيهات القرآنية قرينة قدرتها على تصوير المعنى [3]. وأكثر التشبيهات التي أوردها تمثيلات ، اكتفى بشرحها وبيان بلاغتها درجة أو درجات فوق التعبير الحقيقي ، ولجأ إلى التعليل العام في قولـــه : " وظهور الإعجاز في الوجوه التي بينها يكون باجتماع أمور يظهر بها للنفس أنَّ الكلام من البلاغة في أعلى طبقة [4]، ولم يتحدث عن فضل التشبيه القرآني على غيره ، ولم يجر موازنة بين صوره وكلام البلغاء كما فعل ذلك في الإيجاز [5].

٣ – لعله أول من التفت إلى أسرار التنوع في تشبيهات القرآن الكريم التفاتا غير مباشر ، و حين جمع بعض نظائر التشبيهات القرآنية [6]،نحو تحليله المختزن لتشبيهين لأعمال الكافرين ، وتشبيهين للحياة الدنيا ، وآخرين يصوران هلاك قوم عاد . وهو في تناوله لهذه التشبيهات جميعها ينظر إليها من حيث عنصر البيان والكشف ، ويوضح دور التشبيه في تجلية المعاني العقلية وإبرازها بصورة حسية قريبة، ويركز على إظهار وجه الشبه، والغرض الذي سِيقَ له التشبيه، وغالباً ما يكون دعوة الناس للتدبر والتأمل لأخذ العبرة والعظة .

---

[1] التصوير البياني ، د. محمد أبو موسى ، ص١٥٥ (دار التضامن – القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٠م) .
[2] الصورة الفنية ، د. جابر عصفور ، ص٢٨٩ .
[3] المرجع نفسه ، ص٢٨٧ .
[4] النكت ، ص٧٢ .
[5] تاريخ النقد الأدبي ، د. إحسان عباس ، ص٣٣٤ .
[6] أسرار التنوع في تشبيهات القرآن ، ملك بخش ، ص١٥ .

٤ – كانت له لمحات دقيقة في كشف بلاغة بعض التشبيهات نحو تأمله لدقة اختيار كلمة " الظمآن " في تشبيه أعمال الكافرين بالسراب ، ودرجتها العالية مـــن البلاغة التي تفوق كلمة " الرائي " ؛ لأنَّ الظمآن أحرص من الرائي على الماء ، وقلبه يتحرق لإطفاء الظمأ ولأنَّ الظمأ أكثرُ اتصالاً بالجسد من الرؤية ، والمبالغة في الظمأ طريق لهلك الإنسان . فكان يقف عند الأثر النفسي لتشبيهات القرآن ، مدركاً ما فيها من مؤثرات نفسية كالتخويف والتشويق وغير ذلك[١] . وكان أكثر القدماء يركزون في التعريف الاصطلاحي للتشبيه على المشابهة بين الطرفين والتطابق الخارجي بينهما دون البحث عن القيمة النفسية للأشياء ،في حين أدرك الرّماني الدلالة النفسية لبعض الصور التشبيهية في القرآن .

والرماني بكَشفِهِ لأحكَام الصورةِ التشبيهيةِ ؛ في دقةِ اختيار ألفاظِها ، وشدةِ تأثيرها في نفس متلقيها ، وتآلف مفرداتها مع النظم القرآني حسب الغرض ينسجم تنظيره مع أمثلته التطبيقية ، إذ لا يخرج عمَّا عرف به التشبيه البليغ (تشبيه البلاغة) بأنه إخراج الأغمض إلى الأظهر بأداة التشبيه مع حسن التأليف "[٢]. وهو أيضاً يكشف جماليات التشبيه في تشكيل الصورة القرآنية بالإضافة لاهتمامه بإبراز الجمال الحسي المؤثر في نفس المتلقي أشدَّ التأثير. ولمحته الفنية هذه تنم على ذوق في استكناه جماليات التشبيه القرآني .

٥ – اهتم الرماني بنسيج بناء التشبيه وصياغته التي تكشف خبايا المعاني فيه إذ اشتملت عناصر حسن التشبيه عنده على حسن النظم وعذوبة اللفظ وكثرة الفائدة وصحة الدلالة[٣] .

٦ – حلل تشبيهات القرآن الكريم وفق منهج يمكن أن يوصف بأنه جمالي ذوقي[٤] .

وظلت دراسة الرماني لتشبيهات القرآن تتردد وأصداء تقسيماتها وأمثلتها عند كل من أبي هلال العسكري، والباقلاني، وابن رشيق، وابن أبي الأصبع، والزركشي، والسيوطي ، كما ألهمت الإمام عبد القاهر الجرجاني في التفريق بين التشبيه الصريح والتشبيه التمثيلي ، وأغراض التشبيه ، وأنه يكون لبيان الإمكان، يقول أحد الباحثين : " وليست التقسيمات التي ذكرها المتأخرون مقطوعة عن تصور الرماني، بل إننا لو أمعنا نجدها هناك ، فالذي قالوه في أغراض التشبيه ، وإنه يكون لبيان الإمكان ... لا يبعد عما ذكره الرماني " [٥].

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، د. إحسان عباس ، ص٣٣٣ .
(٢) النكت ، ص٧٥ .
(٣) المصدر نفسه ، ص٧٦ ، وأسرار التنوع في تشبيهات القرآن ، ص١٨ .
(٤) التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري ، د. وليد قصاب ، ص١٣٤ (دار الثقافة – قطر ، ١٩٨٥م) .
(٥) الإعجاز البلاغي ، د. محمد أبو موسى ، ص١١٢ .

(٥) أبو هلال العسكري في " كتاب الصناعتين ؛ الكتابة والشعر " :

جاء أبو هلال (ت٣٩٥هـ) وكانت الطريق ممهدة أمامه نسبيا، فتناول التشبيه في باب مستقل هو الباب السابع بعيداً عن ألوان البديع،وجعله فصلين: تحدث في الأول عن حد التشبيه اصطلاحا وما يستحسن من منثور الكلام ومنظومه. وفي الآخر عن قبح التشبيه وعيوبه.

وافتتح الفصل الأول بتعريف التشبيه قائلاً : " التشبيه الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه ناب منابه أو لم ينب ، وقد جاء في الشعر وسائر الكلام بغير أداة التشبيه "[١] . وذهب إلى أن التشبيه داخل في محمود المبالغة ، وأنه يصح تشبيه الشيء بالشيء جملة ،وإن شابهه من وجه واحد نحو قول الله عز وجل ﴿ وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام ﴾[٢]، يقول : " إنما شبه المراكب بالجبال من جهة عظمها لا من جهة صلابتها ورسوخها ورزانتها ، ولو أشبه الشيء بالشيء من جميع جهاته لكان هوهو "[٣] . ولعل الدافع لأبي هلال على إيراد الفصل الأول في حد التشبيه يكمن في أنه لا يعد التشبيه مجازاً . ثم قسم التشبيه ثلاثة وجوه :

١. تشبيه شيئين متفقين من جهة اللون ، مثل تشبيه الماء بالماء ، والغراب بالغراب .
٢. تشبيه شيئين متفقين يعرف اتفاقهما بدليل، كتشبيه الجوهر بالجوهر، والسواد بالسواد .
٣. تشبيه شيئين مختلفين لمعنى يجمعهما كتشبيه البيان بالسحر ، والمعنى الذي يجمعهما لطافة التدبير ودقة المسلك ،وكتشبيه الشدة بالموت والمعنى الذي يجمعهما كراهية الحال وصعوبة الأمر[٤] .

وقسم أبو هلال أجود التشبيه وأبلغه أربعة أقسام ، هي نفسها التي ذكرت آنفا عند الرماني . وقد اتفق معه في هذه الوجوه والأمثلة والنواحي الجمالية لتشبيهات القرآن الكريم حتى لتكاد تكون مقاييس البلاغة والنقد في كشف جماليات التشبيه عند كليهما متطابقة ، ورجح أحد الباحثين تأثر أحدهما بالآخر ، لا سيما وقد عاشا في عصر واحد ، أو تأثر كليهما بأستاذ واحد[٥] .والذي نميل إليه ما يكاد يجمع عليه الباحثون من أنَّ الرّماني أثَّرَ في أبي هلال .

---

(١) كتاب الصناعتين ، ص٢٦١ .
(٢) الرحمن ، الآية ٢٤ .
(٣) كتاب الصناعتين ، ص٢٦١ – ٢٦٢ .
(٤) المصدر نفسه ، ص٢٦٢ .
(٥) دراسة حول أسلوب التشبيه وآيات الوحدانية ، د. عبدالله علي حسن ، ص٤٤ (مركز فجر – القاهرة ، ١٩٩٣) .

يقول أبو هلال : " وأجود التشبيه ما يقع على أربعة أوجه :

أحدها إخراج ما لا يقع عليه الحاسة ، وهو قول الله عز وجل ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ﴾[1] فأخرج ما لا يُحس إلى ما يُحس .والمعنى الذي يجمعهما بطلان المتوهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة، ولو قال يحسبه الرائي ماء لم يقع موقع قوله الظمآن لأن الظمآن أشد فاقة إليه وأعظم حرصا عليه... .

والوجه الآخر إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة ، كقوله تعالى : ﴿ وإذا نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظُلَّةٌ ﴾ [2]، والمعنى الجامع بين المشبه والمشبه به الانتفاع بالصورة . ومن هذا قوله تعالى : ﴿ إنما مثل الحياةِ الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء ﴾ إلى قوله ﴿ كأنْ لم تغنَ بالأمسِ ﴾ [3]. هو بيان ما جرت به العادة إلى ما لم تجر به .والمعنى الذي يجمع الأمرين الزينة والبهجة، ثم الهلاك وفيه العبرة لِمَنْ اعتَبَرَ ، والموعظة لمن تذكر . ومنه قوله تعالى: ﴿ اعلموا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو ﴾ على قوله عز وجل ﴿ ثم يكون حطاما ﴾ [4].والجامع بين الأمرين الإعجاب ، ثم سرعة الانقلاب ،وفيه الاحتقار للدنيا والتحذير من الاغترار بها .

والوجه الثالث إخراج ما لا يعرف بالبديهة إلى ما يعرف بها . فمن هذا قوله عز وجل ﴿ وجنة عرضها السموات والأرض ﴾ [5].قد أخرج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بها . والجامع بين الأمرين العظم ، والفائدة فيه التشويق إلى الجنة بحسن الصفة .

والوجه الرابع إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة فيها : كقوله عز وجل ﴿ وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام ﴾[6]. والجامع بين الأمرين العظم ، والفائدة البيان عن القدرة في تسخير الأجسام العِظام في أعظم ما يكون من الماء . وعلى هذا الوجه يجري أكثر تشبيهات القرآن وهي الغاية في الجودة والنهاية في الحسن"[7].

هذه الوجوه التي تكلم عليها أبو هلال هي ما عرفت بعد ذلك بفوائد التشبيه . ولم يفرق أبو هلال بين التشبيه والتمثيل ، فهو يتحدث عنهما مترادفين في حديثه عن الطريقة التي

---

(1) النور ، الآية ٣٩ .
(2) الأعراف ، الآية ١٧١ .
(3) يونس ، الآية ٢٤ .
(4) الحديد ، الآية ٢٠ .
(5) آل عمران ، الآية ١٣٣ .
(6) الرحمن ، الآية ٢٤ .
(7) كتاب الصناعتين ، ص٢٦٢ – ٢٦٤ .

سلكها العرب في تشبيهاتهم . يقول : وأما الطريقة المسلوكة في التشبيه والنهج القاصد في التمثيل عند القدماء والمحدثين . فتشبيه الجواد بالبحر والمطر ، والشجاع بالأسد ، والحسن بالشمس والقمر ، والسهم الماضي بالسيف، والعالي الرتبة بالنجم ، والحليم الرزين بالجبل ، والحيي بالبكر ، والفايت بالحلم ، واللئيم بالكلب ، والجبان بطائر الصفرد ، والطايش بالفراش، والذليل بالسلحفاة والوتد والنعل والكماة (الفقع) ، والقاسي بالحديد والصخر ، والبليد بالجماد[1] .

يتبدى من هذا النص ، فضلاً عن عدم الاختلاف بين مصطلحي التشبيه والتمثيل عنده ، أنه لا يشترط في بلاغة التشبيه أن يكون بالأمور الغريبة البعيدة عن بيئة المشبه ، فالأمور المبتذلة التي تعوّد الناس أن يشبهوا بها تصيب الهدف وتحقق الغرض. العبرة ببلوغ الغاية ودرك المرام بحسن العبارة وجودة السبك ، وفي تشبيهات القرآن بالأمور المعروفة لدى الجميع كالعرجون، وأعجاز النخل ،والعنكبوت، والحمار، والكلب، والرماد، والياقوت، والمرجان، خير دليل على أن التشبيه بالمتداول المعروف ليس من ابتذال التشبيه في شيء ، إذ ورد ذلك في معجز التنزيل وكانت تشبيهاته في الأوج من الإقناع العقلي والتأثير النفسي ، والصدق الفني ، إذ ارتقت تشبيهات القرآن بهذه الألفاظ ، المتداولة العادية المستمدة من البيئة المحيطة إلى صور حية ساحرة لِلبِّ الحكيم في إيحائها وظلالها ودلالاتها التصويرية للأغراض التي سيق لها كل تشبيه منها . ولم يكن أبو هلال أول من تكلم على طريقة العرب في التشبيه ، واثر البيئة في تشبيهات العرب ، إنما سبقه ابن طباطبا العلوي إذ قال : " وأعلم أن العرب أودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحكم ما أحاطت به معرفتها ، وأدركه عيانها ، ومرت به تجاربها ، ... ، فتضمنت أشعارها من التشبيهات ما أدركه من ذلك عيانها وحسُّها ، إلى ما في طبائعها وأنفسها من محمود الأخلاق ومذمومها "[2] .

وبيَّن أبو هلال أهمية التشبيه وبلاغته بقوله : " والتشبيه يزيد المعنى وضوحا ويكسبه تأكيداً . ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه ولم يستغن أحد منهم عنه. وقد جاء عن القدماء وأهل الجاهلية من كل جيل ما يستدل به على شرفه وفضله وموقعه من البلاغة بكل لسان "[3] .

وتطرق للوجوه التي يجري عليها التشبيه في جميع الكلام ، وذكر منها أربعة أنواع :

---

[1] كتاب الصناعتين ، ص٢٦٥ .
[2] عيار الشعر ، ص١٦ – ١٧ .
[3] كتاب الصناعتين ، ص٢٦٥ .

١. تشبيه الشيء بالشيء صورة . مثل قول الله عز وجل ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ [١]. وأخذه ابن الرومي ، فقال في ذمّ الدهر :

تأتي على القمر السّاري نوائبه حتى يُرى ناحلاً في شخص عُرجون

وأين يقع هذا من لفظ القرآن ؟

٢. تشبيه الشيء بالشيء لوناً وحسناً، كقول الله عز وجل ﴿ كأنهنّ الياقوت والمرجان ﴾ [٢]، وقوله تعالى ﴿ كأنهن بيضٌ مكنون ﴾ [٣].

٣. تشبيه الشيء بالشيء لوناً وسبوغا ، كتشبيه الدرع بالسيل في بياضها وسبوغها لأنها تعم الجسد كما يعم السيل الأرض المستوية إذا تفجّر فيها .

٤. تشبيه الشيء بالشيء لوناً وصورة ، كتشبيه الثغر بالأقحوان [٤] . ولم يضرب للوجهين الآخرين أمثلة من تشبيهات القرآن ، وإنما ساق أمثلة من الشعر العربي من مختلف العصور . وهو في الوجوه الآنفة الذكر يتأثر ابن طباطبا العلوي الذي يرى " التشبيهات على ضروب مختلفة فمنها : تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة ، ومنها تشبيهه به معنى ، ومنها تشبيهه به حركة ، وبطئاً وسرعة ، ومنها تشبيهه به لوناً ، ومنها تشبيهه به صوتاً . وربما امتزجت هذه المعاني بعضها ببعض " [٥] .

إنّ دراسة أبي هلال للتشبيه اتسمت بالتفصيل والتنظيم والموازنة والشرح والتحليل ، وقامت على البحث والدرس والاستقصاء وسادها روح التقنين والتقسيم والنقد الفني [٦] ، وكانت خلاصة ما قيل في التشبيه في القرون السابقة ، استقصى فيها جهود النقاد والبلاغيين حتى عصره . لذا كانت إضافاته في الجمع أكبر منها في النقد والتحليل ، وهذا لا يعيبه ، بل يرفع من قدر جهده لأنه أفصح في مقدمة كتابه بأنه جمعٌ للبلاغة ، ليستفيد الدارسون من مادته العلمية بما يغنيهم عن مراجعة كتب السابقين .

وقد اعتنى أبو هلال في مؤلفه بالإكثار من الأمثلة ، وتنويعها ، واستفاد من سابقيه لاسيما الرماني – على الأرجح – ، وإذا كان الرماني قد قصر أمثلته على تشبيهات القرآن فإن أبا هلال راوح بين التشبيهات القرآنية والشعرية ، وكما يقول أحد الباحثين : " عني في أحوال

---

[١] يس ، الآية ٣٩ .
[٢] الرحمن ، الآية ٥٨ .
[٣] الصافات ، الآية ٤٩ .
[٤] كتاب الصناعتين ، ص ٢٦٧ – ٢٦٩ .
[٥] عيار الشعر ، ص٢٣ .
[٦] الصورة البيانية بين النظرية والتطبيق ، د. حفني محمد شرف ، ص٧١ (دار نهضة مصر – القاهرة ، ط١، ١٩٦٥م) .

كثيرة بتحليل أطراف منها تحليلاً يدل على رهافة حسّه وصفاء ذوقه ونقائه " [1]. بذا يكون أبو هلال قد وضع لبنات جديدة ، وهيأ للاحقيه البناء ، إذ مهّد لهم الطريق بسعة اطلاعه، وعرض ثقافته ، إلا أنه لم يوفق في عدّ بعض أمثلة التشبيه البليغ من الاستعارة ، نحو قولـــه تعالى : ﴿ نساؤكم حرث لكم ﴾ [2]، وقوله تعالى: ﴿ هُنّ لباسٌ لكم ﴾ [3]، لأن الاستعارة لا يجمع فيها بين الطرفين. وأبو هلال في ذلك يتابع ابن قتيبة في عد هاتين الآيتين استعارتين [4]، وهما من التشبيه البليغ ، ومثلهما أيضا قوله تعالى:﴿ وجعلنا الليل لباسا ﴾ [5].

---

[1] البلاغة تطور وتاريخ ، د. شوقي ضيف ، ص١٤٦ .
[2] البقرة ، الآية ٢٢٣ .
[3] البقرة ، الآية ١٨٧
[4] تأويل مشكل القرآن ، ص١٤١ .
[5] النبأ ، الآية ١٠ .

(٦) الباقلاني* في " إعجاز القرآن " :

تضمن كتاب الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) " إعجاز القرآن " مجموعة من المباحث البلاغية تندرج كلها تحت المفهوم القديم لمصطلح " البديع " ؛ الذي يشتمل على كل علوم البلاغة العربية التي حددت وقسمت فيما بعد عصره إلى علوم المعاني والبيان والبديع على يد السكاكي ، وظهرت بوضوح عند بدر الدين بن مالك (ت ٦٨٦هـ)[١].

فالتشبيه عند الباقلاني من البديع أي من البلاغة يقول : " ومما يعدونه من البديع التشبيه الحسن "[٢].

عقد الباقلاني فصلاً في بدايات كتابهِ تحدَّث فيه عن وجوه البديع : الاستعارة ، والإرداف ، والتشبيه الحسن ، والمماثلة ، والمطابقة ، والجناس ، والموازنة ، والمساواة ، والإشارة، والمبالغة ، والإيغال ، والغلو ، والتوشيح ، وصحة التقسيم ، وصحة التفسير ، والتتميم ، والترصيع ، والتكافؤ ، والتعطف ، والكناية ، والتعريض ، والالتفات ، والتذييل ، والاستطراد ، والتكرار وغيرها . وعقَّب على ما ذكره من أقسام البديع بقوله : " ووجوه البديع كثيرة جداً ، فاقتصرنا على ذكر بعضها ، ونبهنا بذلك على ما لم نذكر ، كراهة التطويل ، فليس الغرضُ ذكر جميع أبواب البديع . وقد قدَّر مقدرون أنه يمكن استفادة إعجاز القرآن من هذه الأبواب التي نقلناها، وأنَّ ذلك مما يمكن الاستدلال به عليه . وليس كذلك عندنا ؛ لأنَّ هذه الوجوه إذا وقع التنبيه عليها أمكن التوصل إليها بالتدريب والتعوّد والتصنع لها "[٣] ، وأضافَ قائِلاً : " إنَّه لا سبيل إلى معرفةِ إعجاز القرآن من البديع الذي ادّعَوْه في الشعر ووصفوه فيه . وذلك : أنَّ هذا الفن ليس فيه ما يخرق العادة ، ويخرج عن العرف ، بل يمكن استدراكه بالتعلم والتدرب به والتصنع له... . أما شأو نظم القرآن ، فليس له مثال يُحتذى عليه ، ولا إمام يُقتدى به ، ولا يَصِحُّ وقوعٌ مثله اتفاقاً "[٤] .

---

* هو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم المعروف بالقاضي الباقلاني ، كان يلقب بشيخ أهل السنة ولسان الأمة ، متكلم أشعري،من مصنفاته " التمهيد " و" نكت الانتصار لنقل القرآن " و" إعجاز القرآن ".

(١) البلاغة عند السكاكي ، د. أحمد مطلوب ، ص٨٧ ، ٢٨١ ، ٣٢٣ ، ٣٧٠ (منشورات مكتبة النهضة – بغداد ، ط١ ، ١٩٦٤م) والبلاغة العربية ، د. علي عشري زايد ، ص٤٧ ، ٤٨ . وينظر : المصباح في المعاني والبيان والبديع ، بدر الدين بن مالك ، ص٩٩ ، ١٩٢ (تحقيق د. عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م) .

(٢) إعجاز القرآن ، ص٧٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص١٠٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ص١١١ – ١١٢ .

ولخَصَّ الباقلاني في الفصل الرابع عشر من كتابه وجوه البلاغة العشرة التي ذكرها الرماني في رسالته " النكت " وهي : الإيجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والتلاؤم ، والفواصل، والتجانس ، والتصريف ، والتضمين ، والمبالغة ، وحسن البيان [١].

بعد تلخيصه لهذه الوجوه كشف رأيه من أخذ إعجاز القرآن منها منفردة ، ومن وجوه البديع التي ذكرها في الفصل السابع من كتابه مؤكداً ما قاله آنفاً من أن هذه الوجوه منفردة ، لا يؤخذ منها إعجاز القرآن . وكان الباقلاني يرد وجوه الإعجاز القرآني إلى ثلاثة :

١. الإخبار بالغيوب .
٢. أخبار الأمم الماضية مع أمية الرسول – صلى الله عليه وسلم – .
٣. نظمه البديع .

ويلخص نظريته في إعجاز القرآن البلاغي بقوله " إنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحَدِّ الذي يُعلَم عجز الخلق عنه "[٢] . ويرى أن بلاغة القرآن لا تقع بوجه من وجوه البديع أو وجوه البلاغة ، يقول : إنَّ مَنْ الناس من زعم أنَّ إعجاز القرآن يؤخذ من وجوه البلاغة والبديع ، ولا يلبث أن يقول إنَّها في رأيه تنقسم قسمين، فمنها ما يمكن الوقوع عليه ، والتعمّل له وتعلمه ، وهذا لا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن به . ومنها ما لا سبيل إليه بالتعلم والتعمّل من البلاغات فذلك هو الذي يدل على إعجاز القرآن[٣] .

ويوضح معنى قوله إنَّ هذه الوجوه لا يؤخذ منها إعجاز القرآن على انفرادها فيقول : " وإنما نُنكِرُ أن يقول قائل : إنَّ بعض هذه الوجوه بانفرادها قد حصل فيه الإعجاز من غير أن يقارنه ما يصل به الكلام ويُفضي إليه ، مثل ما يقول : إنَّ ما أقسم به وحده بنفسه معجز ، وإن التشبيه مُعجز ، وإنَّ التجنيس مُعجز ، والمطابقة بنفسها معجزة .

فأما الآية التي فيها ذِكر التشبيه ، فإنْ ادَّعى إعجازها لألفاظها ونظمها وتأليفها ، فإني لا أدفع ذلك وأصححه ، ولكن لا أدّعي إعجازها لموضع التشبيهِ "[٤] .

نلاحظ أنَّ الباقلاني يتراجع بعض الشيء عمّا ذكره أولاً ، فيذكر احتمالاً يمكن أن يشتمل عليه كلام الرماني ، ومن الواضح أن هذا الاحتمال قد صار يقيناً ، إذا تذكرنا ما اشترطه الرماني من حسن التأليف وحسن النظم في التشبيه[٥] ، والرماني أيضاً من الذين

---

[١] إعجاز القرآن ، ص٢٦٢ وما بعدها .
[٢] المصدر نفسه ، ص٣٥ .
[٣] المصدر نفسه ، ص ٢٧٥ .
[٤] المصدر نفسه ، ص٢٧٦ .
[٥] النكت ، ص٨١ ، ٨٢ .

يرون أن أعجاز القرآن في نظمه ، لكنَّه النظم الشامل لكل ألوان البلاغة ، ما عرفناه منها وما لم نعرفه ممَّا ينطوي عليه بيان القرآن الكريم[1] .

هكذا يلتقى الباقلاني والرماني في عدّ تشبيهات القرآن معجزة بالنظر إلى دلالات التأليف وأسرار النظم داخل أسلوب التشبيه القرآني ، وبمراعاة السوابق واللواحق التي تحيط بالصورة من أقطارها ، لأن هذه التشبيهات بكل دلالاتها التصويرية من مقتضيات النظم وعنه تحدث وبه تكون . فقد اجتمع فيه لونان من الحسن الآسر : المزايا المعنوية ، والمزايا البيانية المنسوجة من خيوط المزايا المعنوية . وهذا هو جوهر الفرق بين ما جاء منها في القرآن الكريم ، وما جاء في كلام العرب ، فهي في القرآن الكريم معجزة ، لأنَّ نظمه معجز ، لا يعتوره نقص ، وهي في النظم البشري من كلام العرب غير معجزة ، لما يعتوره من نقص وضعف وهنات[2] .

ذكر الباقلاني بعض التشبيهات القرآنية ووصفها بأنها من التشبيه الحسن ، يقول : ومن التشبيه الحسن في القرآن قوله تعالى: ﴿ وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام ﴾ [3]، وقولـه تعالى ﴿ كأنَّهنَّ بيضٌ مكنون ﴾[4] ومواضع نذكرها بعد هذا "[5] . يؤكد الباقلاني الفارق بين المعنى المجرد والمعنى المصور كالتشبيه وغيره ، في سياق حديثه عن إعجاز القرآن. يقول : " وإذا كان الكلام إنما يفيد الإبانة عن الأغراض القائمة في النفوس . وكان مع ذلك أحكم في الإبانة عن المراد، واشدَّ تحقيقاً في الإيضاح عن المَطلبِ، وأعجب في وضعه ، وأرشقَ في تصرُّفه ، وأبرع في نظمه ، كان أولى وأحقَّ بأنْ يكون شريفاً ... وقد أجمعوا على أن من أحذق المُصوِّرين ، من صوّرَ لك الباكيَ المُتضاحِكَ ، والباكيَ الحزينَ ، والضَّاحكَ المُتباكِيَ ، والضاحك المستبشر ، وكما أنه يحتاج إلى لطف يد في تصوير هذه الأمثلة ، فكذلك يحتاج إلى لطف في اللسان والطبع في تصوير ما في النفسِ للغيرِ "[6] .

يعني بتصوير " الباكي الحزين " و " الضاحك المستبشر " القدرة على تصوير المشاعر والانفعالات النفسية . والباقلاني في ذلك يؤكد ما يذهب إليه النقاد والبلاغيون من بداهة القول بأن المعاني المجردة أضعف وسائل التعبير لأنها تؤدي معاني مفردة أو عابرة لا تعلق بالنفس

---

[1] بيان التشبيه ، دراسة تاريخية فنية ، د. محمد العيسوي ، ص١٠١ .
[2] المرجع نفسه ، ص١٠١ .
[3] الرحمن ، الآية ٢٤ .
[4] الصافات ، الآية ٤٩ .
[5] إعجاز القرآن ، ص٧٢ – ٧٣ .
[6] المصدر نفسه ، ص١١٩ .

كثيراً ، ولا تثير في الخيال حركة أو انفعالاً ، أما الوسائل المؤثرة بالنفس فهي التي تحدد المعنى في صورة .

جاء الباقلاني بما يدل على ذوقه الرفيع ، وثقافته الواسعة واطلاعه العميق في فن التشبيه وذلك في معرض موازنته بين تشبيهات القدامى والمحدثين ، وتعليقه على رأي بعض النقاد الذين فتنوا بتشبيه شيئين بشيئين على حسن التقسيم في قول بشار :

كَأنَّ مُثارَ النَّـقع فوقَ رؤُوسنا وأسيافـنَا ليلٌ تهاوَى كواكبُهْ

وزعموا أنَّه أحسن ما وجد للمحدثين ، وفضلوه على قول امرئ القيس :

كأنَّ عيونَ الوحشِ حولَ خبائِنا وأرحلنا الجزعُ الذي لم يُثقَّبِ

وقوله :

كأنَّ قلوبَ الطيرِ رَطباً ويابساً لدى وكرها العُنَّابُ والحَشفُ البَالِي

ردَّ الباقلاني عليهم مفضِّلاً هذين التشبيهين على تشبيه بشار ، يقول : " وقد سبق امرؤ القيس إلى صحة التقسيم في التشبيه ، ولم يتمكن بشار إلا من تشبيه إحدى الجملتين بالأخرى دون صحة التقسيم والتفصيل "[1] ، وهذه لمحة نقدية دقيقة تدل على إدراكه وفهمه لتشبيه المفردات وتشبيه الهيئة والجملة ، وهي خطوة في فهم التفصيل في التشبيه ، وإن كنت لا أدفع عنه التعصب للقديم وغمط المحدثين حقَّهم وإنْ بذوا القدامى وتفوقوا عليهم ، وجاؤوا بما لم يستطعه الأوائل . وبراعة التشبيه التمثيلي في بيت بشار لا تخفى وقد أفاض في بيان جماليات هذه الصورة الدارسون[2] .

يتضح ممَّا سبق أنَّ نظرات الباقلاني في التشبيهات القرآنية نظرية، لم يلامس فيها الجوانب التطبيقية ، كما فعل في تطبيق منهجه على الشعر في تحليل قصيدتين واحدة لامرئ القيس ، وأخرى للبحتري مطلعها :

أهْلاً بذلِكمُ الخَيَالِ المقبلِ فعلَ الذي نهواهُ أو لم يَفعلِ

ففي تحليله لقصيدة البحتري لمحات نقدية فنية ، إذ أشار إلى اختلال الرؤيا الشعرية عند البحتري في تشبيه الخيال بالبرق : " إنه جعل الخيال كالبرق لإشراقه في مسراه "[3] ، والخيال لا يُشبَّه عنده بالبرق لأنَّ البرقَ سريعٌ خاطفٌ والخيال يسري مسرى النسيم ، ثم يرى أنَّ في تمثيله هذا غلواً في الصنعة ، وأن سبب اختلال الصورة عدم الدقة في مراعاة النسبة

---

(1) إعجاز القرآن ، ص٧٢ .

(2) ينظر : الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن ، دراسة تحليلية نقدية، د. عبد الرؤوف مخلوف، ص٢٩١ (مكتبة الحياة – بيروت ، ١٩٧٨) .

(3) إعجاز القرآن ، ص ٢٢١.

في الصفة بين المشبه والمشبه به ، وهذا أدّى بدوره إلى فقدان الإحساس بالجمال في النفس للبعد وعدم التوافق أو بعد الصورة الربطية في المشبه به عن الصورة الأصلية في الخيال .

من هذا أيضاً ما قاله في تشبيه البحتري أذني الفرس بورق موصّل ، إذ قال : " إنّ هذا التشبيه غير واقع "[1] . وكذلك نظرته للابتذال في الصورة التشبيهية بسبب القرب وكثرة التردد على الألسنة[2] .

لعل الباقلاني يكون أول من هاجم نظرية إعجاز القرآن بتصوير ما فيه من وجوه البديع ، ووجوه البلاغة التي ذكرها الرماني ، وقد تناول سورة النمل بالتحليل ، لكن لم نقع له على نظرات نقدية تطبيقية في تشبيهات القرآن ؛ لكنه مهد للبحث في أسرار إعجاز القرآن في نظمه مع أنه كما يقول الدكتور شوقي ضيف : لم يستطع أن يصور شيئاً من هذه الأسرار، إذ ظلت الفكرة عنده غامضة ، وظلت مستورة في ضباب كثيف؛ لأنّه لم يزد في كتابه عن محاولة شرح ما قاله الجاحظ من جمال النظم القرآني وما قاله الرّماني من أنّه في المرتبة الرفيعة من البلاغة والبيان ، ودونه بلاغة البلغاء .

وردّ تفسير هذه المرتبة بوجوه البلاغة التي ذكرها الرماني ، ووجوه البديع التي جاءت عند ابن المعتز وقدامة [3].

---

[1] إعجاز القرآن ، ص٢٣٠ .

[2] مقدمة د. محمد زغلول سلام في تحقيقه لكتاب الباقلاني " نكت الأنتصار لنقل القرآن " ، ص٣١ (منشأة المعارف بالاسكندرية ، د.ط ، د. ت) .

[3] البلاغة تطور وتاريخ ، ص١١٤ .

(٧) القاضي عبد الجبار الهمذاني*

كان القاضي عبد الجبار (ت ٤١٥هـ) من أبرز من بحثوا في إعجاز القرآن ، إذ كان جُلُّ حديثه في الجزء السادس عشر من سفره العظيم " المغني في أبواب التوحيد والعدل " عن الإعجاز، وكان أيضاً من الذين انبروا للردّ على المطاعن التي وجهت لنظم القرآن ومتشابهه ، فألف " تنزيه القرآن عن المطاعن " و " المتشابه " و " نظم الفوائد وتقريب المراد للرائد " المعروف بأمالي القاضي عبد الجبار . وكان القاضي عبد الجبار من المؤصلين لفكرة ربط إعجاز القرآن بالنظم ، وقد أفاد منه عبد القاهر كثيراً في بلورة نظرية النظم .

تعرض القاضي عبد الجبار في مصنفاته لتشبيهات القرآن الكريم ، خلال رَدِّه على المطاعن التي تناوشت القرآن ، وكشف بعض جمالياتها وأسرارها . لكنَّه لم يفرد للتشبيه بحثاً مستقلاً في أيّ من مصنفاته، بل تناولها حيث يوجد طعن في آية بزعم عدم وفاء التشبيه بالغرض ، فيتولى هو دفع هذا الطعن ، وإبراز التشبيه خالياً من كل مأخذ ، وبريئاً من كل مخالفة لقواعد اللغة ، ويظهره متحلياً بصفات البلاغة ، ومتوشحاً بأبهى حلل الفصاحة .

فقد عرض لأول تشبيهات القرآن الكريم وروداً ، وهو قوله تعالى : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً ... أو كصيب من السماء فيه ظلماتٌ ورعدٌ وبرقٌ ... ﴾[1] وردَّ على من يعترض على هذا التشبيه ويطعن بصحته قائلاً : " فإن قيل : كيف يقول تعالى : " أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق " . ولفظة " أو " يستعملها من شك في الأمور دون العلم بها، ويتعالى الله عن هذا الوصف ؟

فجوابنا : أنه تعالى كما يجوز أن يمثلهم بشيء يجوز أن يمثلهم بشيء آخر في باب الضلالة ، وليس المراد إلا الجمع بين الأمرين ، وقد يقال لفظة أو فيما طريقه الجمع في ذلك كقوله تعالى : ﴿ ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم ﴾[2] أراد الجمع . وكذلك قوله تعالى : ﴿ ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن ﴾ [3]أراد الجمع . وقد يقال : جالس الحسن أو ابن سيرين . والمراد الجمع ، وإذا جاز في الواو أنْ يراد به معنى أو، كقوله تعالى : ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ﴾[4] ، فكذلك يجوز أن يذكر

---

* عماد الدين أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الأسد آبادي من أئمة المعتزلة وشيوخهم ، كان أكبر أعلام المعتزلة في عصره .

(١) البقرة ، الآيات ١٧ – ١٩ .

(٢) النور ، الآية ٦١ .

(٣) النور ، الآية ٢١ .

(٤) النساء ، الآية ٣ .

اللغة إذا كان الثابت في الكلام يدل على المحذوف "[1]. بذا يدفع بالحجة من لم يتبين وجه الحذف والاختصار في التشبيه القرآني .

وردّ على من طعن في قوله تعالى : ﴿ إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم ۞ طلعها كأنه رؤوس الشياطين ﴾[2] ، مبيناً غرض التشبيه والحكمة من مجيئه بهذه الصورة المنفرة يقول : " فالغرض معقول لأهل اللغة ، لأنهم إذا عرفوا في الجملة : أنَّ خلق الشياطين فيه تشويه ، وفي الطبع عنه نفار ، لم يمنع أن يزجرهم عن المعاصي بذكر النار وأطعمتها ويشبه طلعها بذلك ، وربما كان التمثيل بمثل هذه الأمور التي يذهب القلب فيها مذاهب مختلفة لخروجها عن طريق المشاهدة أبلغ ، فكل ما يذكر من هذا الجنس فطريق الجواب عنه ما قدمناه "[3] .

وكشف ما يتراءى لبعضهم من تعارض أو توهم التناقض في تشبيه عصا موسى عليه السلام بمشبهين مختلفين ، إذ شبهها بالثعبان في قوله تعالى : ﴿ فألقى موسى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ﴾[4] وشبهها بالجان في موضع آخر : ﴿ كأنَّها جان ﴾[5] فأوضَحَ أنَّ المرادَ أنَّها كالثعْبَان في العِظم، والجان في سرعةِ حركتها من حيث خُلِقت من نَار السَّمُوم[6] .

ونلاحظ في دفوع القاضي عبد الجبار عن تشبيهات القرآن في وجه المطاعن ، إدراكه أبعاد التشبيه ، وتوضيحه لطرفيه ووجهه ، وتجليته بريئاً من كُلِّ نقد .فقد عرف التشبيه البليغ دون أن يُطلق عليه اسمه الاصطلاحي ، يقول : " وربما قالوا في قوله تعالى : ﴿ فبصرك اليوم حديد ﴾[7] ما معنى ذلك ؟ وجوابنا : أن المراد المعرفة وأنها قوية في الآخرة فالشبهة زائلة ، فشبهت في القوة بالحديد لأنَّ معرفتهم في الآخرة ضرورية ، وإلاَّ فالقوم ينظرون من طرف خفيٍّ [8].وقال: " ومتى قيل ما معنى قوله : " أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس "[9] ومعلوم أن معنى الميراث لا يصح فيهم ؟ وجوابنا : أنه شبه وصولهم إلى الفردوس من دون سبب يأتونه بوصول المرء إلى الأملاك بالميراث عند الموت ،

---

[1] تنزيه القرآن عن المطاعن ، ص٦٤ .
[2] الصافات ، الآيتان ٦٤ – ٦٥ .
[3] المغني في أبواب التوحيد والعدل ، ١٦ / ٤٠٦ (تحقيق أمين الخولي ، دار الكتب المصرية – القاهرة ، ١٩٦٠).
[4] الشعراء ، الآية ٣٢ .
[5] النمل ، الآية ١٠ .
[6] تنزيه القرآن عن المطاعن ، ص٢٩٧ .
[7] ق ، الآية ٢٢ .
[8] تنزيه القرآن عن المطاعن ، ص٣٩٨ .
[9] المؤمنون ، الآيتان : ٩ – ١٠ .

وهذا من أحسن ما يجري في الكلام من التشبيه "[1] . والتشبيهان السابقان ، وهما من التشبيه البليغ ، أدرك القاضي عبد الجبار أبعادهما ورأى أن هذا النوع من أحسن أنواع التشبيهات دون أن يفصّل في نوع التشبيه واسمه الاصطلاحي . فقد أبان أن المشبه هو المعرفة وأنها قوية وأن المشبه به الحديد ، إذ الكافر في الدنيا في غَفلة من يوم يجازى فيه على عاقبة كفره ، فلمّا كشف الغطاء عنه احتدَّ بصره أي بصيرته ، وهذا كما تقول فلان حديد الذهن أو ذاكرته حديد في القوة والتماسك ؛ وكنّى بالغطاء عن الغفلة كأنها غطت عينيه ، فهو لا يبصر فإذا كان يوم القيامة زالت عنه الغفلة فأصبح بصره كالحديد في القوة ، فأبصر ما لم يكن يبصره من الحق[2] .

وكان القاضي عبد الجبار يغفل ذكر مصطلح التشبيه في رده المطاعن عن بعض تشبيهات القرآن ويستخدم مشتقات الوصف بدلاً منه أحياناً ، نحو قوله : " وربما قيل في قوله تعالى : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم ﴾[3] كيف يصحّ ذلك وليس فيهم من يتخذ أحبارهم أرباباً ، وإنما يقول بعضهم ذلك في عيسى فقط ؟ وجوابنا : أن المروي عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال في معناه : إنَّهم لمَّا أطيعوا فيما أمروا به ونُهوا عنه ، وصفوا بأنهم اتخذوا أرباباً وذلك صحيح فيهم ، وعلى هذا الوجه يوصف مالك العبد بأنه ربُّه إذا أطاعه فالأمر مستقيم[4] .

يتبدى لنا أنه شبَّه الأحبار والرهبان بالأرباب بجامع الطاعة ، واستدل بالحديث الشريف على ذلك ، ولم يصرح بلفظ التشبيه ، بل استخدم ألفاظ " وصفوا ، ويوصف " ووجه الآية توجيها يفهم منه التشبيه ، وإن لم يصرح بلفظه[5] .و من هذا قول القاضي عبد الجبار : " وربما قيل في قوله تعالى : ﴿ وترى الناس سُكارى وما هم بسُكارى ﴾[6] أليس ذلك متناقضاً ؟ وجوابنا : أن المراد أنهم قد بلغوا في التحيّر إلى حد السكر وإن لم يكن هناك سكر ، ومثل ذلك يدخل في نهاية الفصاحة ، فكيف يعد متناقضاً ؟ وقد يقبل المرء على من لحِقه الدَهَش والحَيْرة فيقول مثل ذلك[7] .

---

[1] تنزيه القرآن عن المطاعن ، ص٢٧٧ .
[2] ينظر : تفسير البحر المحيط لأبي حيان ، ٨ / ١٢٤ – ١٢٥ .
[3] التوبة ، الآية ٣١ .
[4] تنزيه القرآن عن المطاعن ، ص١٦٥ .
[5] بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار، د. عبد الفتاح لاشين ، ص٢٢٥ – ٢٢٦ (دار الفكر العربي ، مطبعة دار القرآن – القاهرة) .
[6] الحج ، الآية ٢ .
[7] تنزيه القرآن عن المطاعن ، ص٢٦٩ .

يفهم من كلام عبد الجبار أنه يشبه المتحير والمدهوش بالسكران بجامع الدَهَش والحيرة والاضطراب وعدم الاتزان ، وإن لم يُصرح بالتشبيه أو الوصف لفظا ، إلاّ أنه يرى أن هذا الأسلوب يدخل في نهاية الفصاحة والبلاغة .

وبيَّن القاضي عبد الجبار ما في القرآن الكريم من مجازات وتشبيهات رداً على طعن الطاعنين يقول : " مسألة " إنه قيل : كيف يَصِحُّ أن يقول تعالى ﴿ صمٌّ بُكمٌ عميٌ ﴾[1] ولم يكونوا كذلك في الحقيقة ، فجوابنا أنه تعالى شبه حالهم من حيث لم ينتفعوا بما يسمعون ويبصرون ، ويقولون بحال من هذا صفته ، وذلك بيّن في اللغة فيمن لم يقبل ولم ينتفع به ، والمراد يصيره إلى رتبة الأعمى والأصم "[2] .

وكان يذكر بعض صور التشبيه البليغ مقابلاً للحقيقة نحو ردّه : على مطاعن من قالوا بأنَّ الله تعالى في قوله عز وجل : ﴿ والذين كذبوا بآياتنا صمٌّ وبُكمٌ في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم ﴾[3]جعل الكفار ممنوعين ، وبين أنه يصرّفهم في المنع والإطلاق كيف شاء ، فأجابهم القاضي عبد الجبار : أنه يحتمل أنه جعلهم بهذه الصفة في الآخرة على الحقيقة ، ... ، ويحتمل أيضا أنه يريد في دار الدنيا ؛ أنهم لشدة تمسكهم بالكفر والتكذيب بآيات الله ، وإعراضهم عمَّا يسمعون ، وعن المذاكرة بما أريد منهم ، شبههم بمن هو في الحقيقة بهذه الصفة [4].

فالقاضي يذكر التشبيه مقابلاً للحقيقة ، أي أنه يَعُدُّ التشبيه من باب المجاز يقول : " وربما قيل في قوله : ﴿ ... وإنَّ الدار الآخرة لهي الحَيَوانُ ... ﴾[5] كيف يصح ذلك في وصف الدار التي هي جماد ؟ وجوابنا : أنه تعالى بين بهذا المجاز ما لا يفهم بالحقيقة ، إذ المراد أنَّ هذه الدار من حق الحياة فيها أن تدوم ولا تنقطع ، ومن حقها أن يدوم نعيمها بلا بؤس وأن يتصل بلا مشقة "[6] . فقد شبه الآخرة في نعيمها الدائم بالحياة التي لا ينقطع نعيمها. وكذا يجيب عن تساؤل الطاعنين عن معنى قوله تعالى : ﴿ وجاؤوا على قميصه بدمٍ كَذِبٍ ﴾[7] ، وكيف يصح وصف الدم بالكذب ؟ بقوله : " فأما قوله بدم كذبٍ ، فمن أحسن ما يوجد في مجاز الكلام ، فإنهم صوروه بخلاف صورته فصار كالكذب ، ويحتمل أن يكون المراد بدمٍ واقعٍ

---

(1) البقرة ، الآية ١٨ والآية ١٧١ .
(2) تنزيه القرآن عن المطاعن ، ص١٦ .
(3) الأنعام ، الآية ٣٩ .
(4) متشابه القرآن ، القاضي عبد الجبار ، ص٢٤٧ (تحقيق د. عدنان زرزور ، دار التراث – القاهرة) .
(5) العنكبوت ، الآية ٦٤ .
(6) تنزيه القرآن عن المطاعن ، ص٣١٧ .
(7) يوسف ، الآية ١٨ .

من كاذبٍ "[1] . وقد ذهب القاضي عبد الجبار إلى أن في الآية تشبيها ، إذ شبه الدم لمّا صور بخلاف صورته الحقيقية بالكذب ، وأدخل هذا التشبيه وهو بليغ في المجاز وجعله أحسن ضروبه[2] .

وكان القاضي يخلط أحيانا بين التشبيه البليغ ، الذي سمّاه التشبيه الذي يكون على وجه التحقيق ، والاستعارة . ويسوّى بينهما في المعنى . يقول في قوله تعالى : ﴿ النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ﴾[3] رادا على الطاعنين الذي قالوا : كيف يصح في أزواجه أن يكنّ أمهاتهم ؟ وجوابنا : أنه أولى بهم فيما يقتضي الانقياد في الشرع ، وأولى بهم فيما يتصل بالإشفاق ، أو المراد: أنه أولى بهم من بعضهم لبعض كقوله تعالى : ﴿ فسلموا على أنفسكم ﴾[4].وأما أنّ أزواجه – صلى الله عليه وسلم – أمهات المؤمنين، فالمراد تأكيد تحريمهن على المؤمنين ، وتبرئة رسول الله عن أن يخلفه في أزواجه غيره . لذلك روي عن عائشة في امرأة قالت : إنّك أمي ، أنها أنكرت ذلك وقالت : إنّما أنا أم رجالكم ، لأنّ التزويج في الرجال يَصِحُّ ، فأكد ذلك التحريم بأنْ شبههن بالأمهات[5] .

ويضيف قائلاً : " وربما حُذِف في التشبيه اللفظ ليكون على وجه التحقيق كما يقال للرجل البليد : هو حمار ، ولمـــن يصغي ولا يفهم : إنه ميت ، قال تعالى : ﴿ إنك لا تُسمع الموتى ﴾[6][7]. وهو حين يقرر أنّ في الآية الأولى تشبيها بليغا يُسَمِّيه التشبيه على وجه التحقيق ويبين أسرار بلاغته ، إنّما يخلط بين التشبيه البليغ والاستعارة ، فيَعُدُّ الاستعارة في قولـــه تعالى ﴿ إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء ﴾ من التشبيه المحذوف الأداة ليكون على وجه التحقيق . ويتكرر هذا الخلط عنده بين التشبيه البليغ ، الذي جعله من باب المجاز، والاستعارة في غير موضع[8] ؛ حتى يتأكد للمدقق أنه أدخل التشبيه البليغ في الاستعارة ، وجعله أحسن ضروب المجاز ، وعده أعلى مراتب الفصاحة ، وأسمى منازل البلاغة .

---

(1) تنزيه القرآن عن المطاعن ، ص١٩٠ .
(2) بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار ، ص٢٣٣ – ٢٣٤ .
(3) الأحزاب ، الآية ٦ .
(4) النور ، الآية ٦١ .
(5) تنزيه القرآن عن المطاعن ، ص٣٣٣ .
(6) النمل ، الآية ٨٠ .
(7) تنزيه القرآن عن المطاعن ، ص٣٣٣ .
(8) تنزيه القرآن عن المطاعن ، ص١٦ ، ومتشابه القرآن ، ص٥٩ .

(٨) ابن رشيق القيرواني في " العمدة "

يُعَدُّ أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت٤٥٦هـ) من أعلام الأدب والنقد في المغرب العربي ، الذين كانوا حلقة الوصل في تاريخ النقد البلاغي بين المشرق والمغرب ، إذ طلع على التراث البلاغي والنقدي لأعلام المشرق كالجاحظ وابن قتيبة ، وابن المعتز، والرماني، والخطابي ، وقدامة بن جعفر، والقاضي الجرجاني، والآمدي، والحاتمي، وابن وكيع المصري ، كما ينبئ كتابه " العمدة " وتتلمذ في المغرب على أعلام النقد والبلاغة كالقزاز القيرواني، وعبد الكريم النهشلي، وغيرهم .

كان ابن رشيق ، كسلفه أبي هلال ، يجمع آراء السابقين ، ويصنفها ، ويمتاز بالدقة في الجمع والتنسيق ، مع خبرة وذوق ودراية ، وله بعض النظرات النقدية الجديدة .

استهل حديثه عن البديع وفنونه بالمجاز ؛ الذي أدخل فيه امثلة من الاستعارة والتشبيه والكناية . ومعروف أن البلاغيين بعده جعلوا المجاز علما على الاستعارة والكناية والمجاز المرسل والعقلي ، وأخرجوا التشبيه لأن ركنيه ، وهما المشبه والمشبه به حقيقيان[١] .

يرى ابن رشيق أن المثل والاستعارة من التشبيه ، إلا أنهما بغير أدوات التشبيه وأسلوبهما يختلف عن أسلوب التشبيه ، وقد فرّق بين الاستعارة والتشبيه والمثل بقوله : والتمثيل والاستعارة من التشبيه ، إلا أنهما بغير أداته ، وعلى غير أسلوبه ، والمثل المضروب في الشعر ، راجع إلى ما ذكرته ، وتسمية المثل دالة على ما قلته ، لأنَّ المَثَل والمِثْل الشبيه والنظير ، وقيل : إنما سمي مثلاً لأنه مائل لخاطر الإنسان أبدا ، يتاسى به ، ويعظ ويأمر ويزجر ، والماثل : الشخص المنتصب ، من قولهم " طلل ماثل " أي شاخص ، والماثل من الأضداد، وقال مجاهد في قول الله عز وجل: ﴿ وقد خلت من قبلهم المَثُلاتُ ﴾[٢] هي الأمثال. وقال قتادة : هي العقوبات؛ وقال قوم: إنما معنى المثل المثال الذي يُحذى عليه ، كأنه جعله مقياسا لغيره، وهو راجع إلى ما قدمت. وقال بعضهم: في المثل ثلاث خلال : إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وقد يكون المثل بمعنى الصفة، وقوله تعالى : ﴿ ولـه المثل الأعلى في السماوات والأرض ﴾[٣] أي الصفة العـليا وهي قولنا (لا إله إلا الله)

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ ، د. شوقي ضيف ، ص١٤٨ .
(٢) الرعد ، الآية ٦ .
(٣) الروم ، الآية ٢٧ .

وقولـــه تعالى ﴿ ذلك مثلهم في التوراة ، ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطاه ﴾[1] ؛ أي صفتهم[2] .

وعقد باباً سماه (باب المثل السائر) أكد فيه أن المثل السائر في كلام العرب كثير نظما ونثرا ، وأفضله أوجزه ، وأحكمه أصدقه[3] ، وهو يرى أنّ الأمثال السائرة الطوال تأتي محكمة إذا تولاها الفصحاء من الناس ، فأمّا ما كان منها في القرآن فقد ضمن الإعجاز[4] . وساق من تشبيهات القرآن الكريم أمثلة على الأمثال السائرة القصار والطوال[5]؛ فمن الأمثلة السائرة القصار التي اجتزأها من تشبيهات القرآن قوله عز وجل : ﴿ كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ۞ وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت ﴾[6]، وقوله تعالى : ﴿ فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل الذين كذبوا بآياتنا ﴾[7]، وقولـــه تعالـــى: ﴿ كمثل الحمار يحمل أسفارا ﴾[8].

ومن تشبيهات القرآن التي ساقها أمثلة للأمثال السائرة الطوال قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى كالذي ينفق ماله رئآءَ الناس ولا يؤمن بالله اليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء ممّا كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾[9]، وقوله تعالى : ﴿ والذين كفروا بربهم أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيـــئا ... أو كظلمات في بحـــر لجي.. ﴾[10]، وقوله تعالى : ﴿ ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين ﴾[11]، وقوله تعالى : ﴿ وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت ربِّ ابنِ لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ﴾[12]، وقوله تعالى: ﴿ ومريم

---

(1) الفتح ، الآية ٢٩ .
(2) العمدة ، ، ١ / ٢٨٠ .
(3) المصدر نفسه ، ١ / ٢٨٠ .
(4) المصدر نفسه ، ١ / ٢٨١ .
(5) المصدر نفسه ، ١ / ٢٨١ .
(6) العنكبوت ، الآية ٤١ .
(7) الأعراف ، الآية ١٧٦ .
(8) الجمعة ، الآية ٥ .
(9) البقرة ، الآية ٢٦٤ .
(10) النور ، الآيتان : ٣٩ – ٤٠ .
(11) التحريم ، الآية ١٠ .
(12) التحريم ، الآية ١١ .

ابنةعمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين﴾ [1].

وعقد للتشبيه باباً منفرداً واسعاً ، بدأه بتعريفه فقال: " التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله ، من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إيّاه[2]، وقد خالف في حد التشبيه قدامة،وصرّح بمخالفة قدامة في موضع آخر فيما زعمه الآخر من أن أفضل التشبيه ما وقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما حتى يدني بهما إلى حال الاتحاد [3]. وكذا خالف الرماني الذي ذهب إلى أن التشبيه والاستعارة جميعا يخرجان الأغمض إلى الأوضح،ويقربان البعيد وهما عنده في باب الإختصار[4]،وناقشه حين عرض لتشبيه الأوضح بالأغمض وما تقع عليه الحاسة بما لا تقع (تشبيه المحسوس بالمعقول) في قول الشاعر :

وله غرّة كلون وصالٍ فوقها طرةٌ كلون صدودِ

ورأى أن الرماني عاب على الشاعر وتحامل عليه ، ويسوّغ قول الشاعر بقولـــه " كان قصد الشاعر أن يشبه ما يقوم بالنفس دليله بأكثر ممَّا هو عليه في الحقيقة ، كأنَّه أراد المبالغة ولعله يقول أو يقول المُحتّجُّ له : معرفة النفس والمعقول أعظم من إدراك الحاسة "[5] ، ويحتج ابن رشيق لذلك بأنَّ تشبيه المحسوس بالمعقول وَرَدَ في القرآن يقول : " وقد جاء مثل هذا في القرآن وفي الشـــعر الفصيح قال الله عـــز وجـــل: ﴿ طلعها كأنَّه رؤوس الشياطين ﴾ [6] فقال قوم : إنَّ شجرة الزقوم – وهي أيضا الأستن – لها صورة منكرة وثمرة قبيحة يقال لها رؤوس الشياطين ، وقال قوم : الشياطين الحيات في غير هذا المكان ، والأجود الأعرف أنَّه شبَّه بما لا يشك أنه منكرٌ قبيح ، لما جعل الله عز وجل في قلوب الإنس من بشاعة صور الجن والشياطين ، وإن لم يروها عياناً ، فخوفنا تعالى بما أعد للعقوبة، وشبهه بما نخاف أن نراه ، وقال امرؤ القيس :

أيقتلني والمشرفي مُضَاجعي ومسنونة زرقٌ كأنياب أغوالِ

فشبه نصال النبل بأنياب الأغوال لما في النفس منها "[7] .

---

[1] التحريم ، الآية ١٢ .
[2] العمدة ، ١ / ٢٨٦ .
[3] المصدر نفسه ، ١ / ٢٨٩ ، ونقد الشعر ، ص١٢٤.
[4] العمدة ، ١ / ٢٨٩ ، والنكت ، ص٧٥ .
[5] العمدة ، ١ / ٢٨٨ .
[6] الصافات ، الآية ٦٥ .
[7] العمدة،١/٢٨٨ .الأستن والأستان: أصول الشجر يفشو في منابته فإذا نظر إليه الناظرشبهه بشخوص الناس.

هذا الفهم من ابن رشيق ينبئ عن إدراك لطبيعة تشبيهات القرآن ، فإنّ قوتها وإعجازها لا يعود إلى التشبيه الحسي المحدود التأثير حسب ، إنمّا إلى اتساع الصورة وثراء مدلولها وإشعاعها المستمر ، وآثارها النفسية العميقة في نفس المتلقي ، وهو ما يتحقق من خلال تشبيه المحسوس بالمعقول أو التشبيه الوهمي .

فابن رشيق يرى أن الأمر ما دام متعلقاً بالمبالغة ، فإنّ المشبه به المعقول يكون أوضح في نفس قائله ، أو على مقتضى مبالغته ، إذ قد تكون للشاعر معايشة خاصة مع بعض المعاني النفسية أو العقلية تجعلها أوضح عنده من كثير من المحسوسات . وكذا الأمر قد يكون بالنسبة للمتلقي ، أحيانا ، الذي قد تخترق نفسه بعض الصور العقلية، ويكون صداها بنفسه أوقع من بعض الصور الحسية المألوفة .

وذكر أنّ التشبيه يقع دائما على الأعراض لا على الجواهر ، وأنّه إنمّا يكون بالمقاربة ، وأداة التشبيه الكاف للمقاربة[1] . ثم تحدث عن فائدة التشبيه وطريقته وأقسامه (تشبيه الحقيقة، وتشبيه البلاغة) ، كما جاء عند الرماني ، فأكد أن فائدة التشبيه هي تقريب المشبه من فهم السامع وإيضاحه له ، وأن سبيله تشبيه الأدنى بالأعلى في المدح كقولك: حصى كالياقوت ، وتشبيه الأعلى بالأدنى في الذم كقولك ياقوت كالحصى أو كالزجاج[2] .

وذكر أن الأصل في التشبيه ، مع دخول الكاف وأمثالها أو كأن وما شاكلها ، الإفراد أي تشبيه شيء بشيء في بيت واحد ، وأن أول من جاء بالتشبيه المتعدد أمرؤ القيس ، ثم اتبعه الشعراء في ذلك[3] ، وتحدث عن التشبيه بغير كاف ولا شيء من أخواتها ، مؤكداً أن حذف أداة التشبيه يفيد الإيجاب والتحقيق[4] .

وأشار إلى نوع من التشبيهات ذات جدة وطرافة وإبتكار لم يُسبق أصحابها إليها ، وتابع النقاد ابن أبي عون، والخالديين، والحاتمي، بتسميتها بالتشبيهات العقم. يقول : " ومن التشبيهات عقم لم يسبق أصحابها إليها ، ولا تعدّى أحد بعدهم عليها ، واشتقاقها فيما ذكر من الريح العقيم ، وهي التي لا تلقح شجرة ، ولا تنتج ثمرة "[5] ، ويتفق المعنى الاصطلاحي لها مع المعنى

---

(1) العمدة ، ١ / ٢٨٦ .
(2) المصدر نفسه ، ١ / ٢٩٠ .
(3) المصدر نفسه ، ١ / ٢٩٠ وما بعدها .
(4) المصدر نفسه ، ١ / ٢٩٢ .
(5) المصدر نفسه ، ١ / ٢٩٦ .

اللغوي للعقم ، فالشيء العقيم كما جاء في لسان العرب الذي لا مثيل له ، يقول أبو دعبل يمدح عبدالله بن الأزرق :

عقم النساء فلن يلدن شبيهه إنّ النساء بمثله عُقمُ [1]

وبعد أن أورد ابن رشيق طائفة من الأمثلة الشعرية على التشبيهات العقم ، قال " وفي الشعر من هذا صدر جيد ، وفي القرآن تشبيه كثير كقوله تعالى : ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ [2]، وقوله تعالى : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ﴾ [3]، وقوله تعالى : ﴿ وإذا غشيهم موج كالظلل ﴾ [4]، وقوله : ﴿ كأنهم جراد منتشر ﴾ [5].

وإذا جاز استخدام الألفاظ (التشبيهات العقم والجدة والطرافة) بالنسبة للقرآن الكريم فإنّ تشبيهات القرآن كلها عقم ، لأنّ أحداً من البشر لم يسبق إليها ، ولم ولن يلحق بها إنس ولا جانّ مهما أوتي من عبقرية وخيال ، لأنها جمعت بين المتنافرات في ربقة واحدة . واستعمل القرآن الأمثال المركبة التي لم توجد من قبل ، واستغل أبسط الأشياء في تشبيهاته ليثبت بها قضايا إيمانية كبرى ، فاستعمل العنكبوت والذباب ليثبت قضية الوحدانية ، والجمال الصفر ليصف ضخامة نار جهنم ، والعهن المنفوش ليبرهن على يوم القيامة . وإجمالاً جاءت تشبيهات القرآن لإثبات قضايا إيمانية وكل دارس لأسلوب التشبيهات القرآنية يحس بالاقتناع لما فيها من بساطة شديدة وإقناع عجيب ، لذا فهي تشبيهات عقم ، وفق مصطلح ابن رشيق ، لأنها تدخل ضمن الإعجاز البياني للقرآن الكريم [6].

هذه أهم لمحات ابن رشيق في تشبيهات القرآن الكريم ولا ريب أن فيها بعض الجدة، وتمتاز بالدقة والعمق والتحليل والموازنة والاستنباط وتنم على ذوق ودراية ، وقدرة على وضع المصطلح . وله نظرات جديدة أخرى في طبيعة التشبيه عامة ، كمعرفته بتبدّل الأذواق والعادات والتقاليد ، وفقاً لأثر الأطوار الحضارية، وتبدل القيم في الحكم على التشبيهات، ووعيه بالفروق بين طبيعة تشبيهات القدماء والمحدثين [7]ليس هذا مجال التعرض لها .

---

[1] لسان العرب (عقم) .
[2] يس ، الآية ٣٩ .
[3] النور ، الآية ٣٩ .
[4] لقمان ، الآية ٣٢ .
[5] القمر ، الآية ٧ .
[6] دراسة حول أسلوب التشبيه وآيات الوحدانية ، د. عبدالله حسن ، ص٨٨ .
[7] العمدة ، ١ / ٢٩٩ .

(٩) ابن سنان الخفاجي في " سرّ الفصاحة " :

الأمير عبدالله بن محمد الحلبي (٤٢٢ – ٤٦٦هـ) عالم وشاعر وأديب ألف " سرّ الفصاحة " سنة ٤٥٤هـ . ومن الفوائد التي توَخاها لمعرفة حقيقة الفصاحة ما ينعكس على القرآن معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم ، سواء أكان معجزاً بفصاحته التي فاقت فصاحة العرب ، أم لأنّ الله صرفهم عن معارضته رغم قدرتهم على الإتيان بمثله لولا الصرف .

فصّل القول في فصاحة الألفاظ منفردة ، ومنظومة بعضها مع بعض . والأوصاف التي تطلب لصحة المعاني : ومنها صحة التشبيه ، فكلامه في التشبيه جاء في القسم الثالث ، وألحقه بالكلام على البلاغة ، بينما تكلم في القسم الثاني على الاستعارة وألحقها بالكلام على الفصاحة ، مع أن التشبيه والاستعارة من واد واحد ، وكلاهما استقر تحت مظلة علم البيان بعد ذلك .

صحة التشبيه عنده أن يكون أحد الشيئين مثل الآخر في بعض المعاني والصفات . والأحسن أن يكون الشبه في أكثر الصفات والمعاني ، ولا يجوز أن يكون أحد الطرفين مثل الآخر من جميع الوجوه ، حتى لا يكون الشيء هو الآخر بعينه[١] .

والأصل في حسن التشبيه عنده أن يُمثل الغائب الخفي الذي لا يعتاد بالظاهر المحسوس المعتاد ، فيكون حُسن هذا لأجل إيضاح المعنى وبيان المراد ، أو يمثل الشيء بما هو أعظم وأحسن وأبلغ منه ، فيكون حسن ذلك لأجل الغلوّ والمبالغة[٢] .

أورد ابن سنان أمثلة من القرآن الكريم في تحقيق دعواه ، ودعم رأيه إلا إننا نجد جُلّ شواهده من تشبيهات القرآن[٣] ، وبالتحديد معظم مواطن الاستشهاد تمثيلات قرآنية ، مِمَّا يَدُلنا أنّ جل النقاد والبلاغيين وجدوا في تشبيهات القرآن خير وسيلة للتعبير عن آرائهم ، وقد لا يتعدونها إلى غيرها ، لأنها نماذج راقية لأبلغ أنواع التشبيه ، وتتوافر فيها جُلُّ أقسامه .

ثم عقّب على ما ذكره من تشبيهات القرآن بقوله : " وهذه التشبيهات كُلها ما بيناه من تشبيه الخفي بالظاهر المحسوس ، والذي لا يعتاد بالمعتاد ، لِما في ذلك من البيان ، إلا قوله تبارك وتعالى : ﴿ وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام ﴾[٤]، فانّه شبه الشيء بما هو أعظم منه

---

(١) سر الفصاحة ، ص٢٣٧ (شرح وتصحيح : عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح ، القاهرة ، ١٩٦٩م) .

(٢) المصدر نفسه، ص٢٣٧ .

(٣) من التشبيهات التي ساقها على حسن التشبيه : (النور : الآية ٣٩ ، وإبراهيم : الآية ١٨ ، ويونس: الآية ٢٤ ، والجمعة : الآية ٥ ، والعنكبوت : الآية ٤١ ، والرحمن : الآية ٢٤) .

(٤) الرحمن : الآية ٢٤ .

على وجه المبالغة "[1] . وواضح تأثره بالرماني فيما ذهب إليه من أن حسن التشبيه إنما يرجع إلى تشبيه الخفي بالظاهر المحسوس ، واستشهاده بما استشهد به الرماني .

دخل ابن سنان في الجدل الذي تثيره الصورة التشبيهية في القرآن ، فأكّد مقولة : إنّ الأصل في التشبيه هو التوضيح والإبانة[2] ، ورأى أنّ مما يحتاج إليه التشبيه أن يكون الأمر المشبه به واقعاً مشاهداً معروفاً غير مستنكر ، ليوافق ذلك المقصود بالتشبيه والتمثيل من الإيضاح والبيان[3] . فتمثيل المعنى يوضحه ويخرجه إلى الحس والمشاهدة ، وهذه فائدة التمثيل في جميع العلوم لأن المثال لا بدّ من أن يكون أظهر من الممثّل ، فالغرض بإيراده إيضاح المعنى وبيانه[4] .وقد عرض للتشبيه في قوله تعالى : ﴿ إنّها شجرة تخرج في أصل الجحيم ۞ طلعها كأنه رؤوس الشياطين ﴾ [5]وهو يرد على الذين قالوا : إن رؤوس الشياطين غير مشاهدة ، والأصل في المشبه به أن يكون معروفاً واضحاً أبين من المشبه فقال : " إنّ الزقوم غير مشاهد ورؤوس الشياطين غير مشاهدة ، إلاّ أنه استقر في نفوس الناس من قبح الشبياطين ما صار بمنزلة المشاهد ، كما استقرّ في نفوسهم من حسن الحور العين ما صار بمنزلة المشاهد ، حتى إنهم إذا شبهوا وجها بوجه الحور كان تشبيها صحيحاً ، وإن كانت الحور لم تشاهد ، ولم يستقر في نفوسهم قبح طلع الزقوم كما استقر في نفوسهم قبح رؤوس الشياطين ، فكأن المشبه به أوضح، وفي رؤوس الشياطين أيضا من المبالغة في القبح ما ليس في طلع الزقوم ، وقد قيل في بعض التفاسير: إنّ الشياطين هنا الحيات، وعلى هذا القول يسقط السؤال ، لأن الحيات مشاهدة " [6].

٦٠٦٦٨٧

لا يعيب ابن سنان وضعه التشبيه في المعاني أو فصاحة التأليف ، ووضعه الاستعارة في فصاحة الألفاظ مع أنهما كليهما من علم البيان ، فقد أدرج معاصره عبد القاهر كل فنون البلاغة تحت اسم البيان ، ولم يعرف قسمة البلاغة إلى البديع والمعاني والبيان ، ولم ينقص ذلك من القيمة العظيمة لكتابيه ، وعلى الرغم من نزر نظراته في تشبيهات القرآن فهو ليس بناقد انطباعي ، بل عالم يعمل العقل في تلمس أسرار الجمال في النص بمنهج علمي وخبرة ودراية أصيلتين .

---

(1) سر الفصاحة ، ص٢٣٨ .
(2) الصورة الفنية ، د. جابر عصفور ، ص٣٧١ .
(3) سر الفصاحة ، ص٢٤٤ .
(4) المصدر نفسه ، ص٢٢٣ .
(5) الصافات ، الآيتان : ٦٤ – ٦٥ .
(6) سر الفصاحة ، ص٢٤٦ .

(١٠) عبد القاهر الجرجاني في " أسرار البلاغة " و " دلائل الإعجاز" :

أولى عبد القاهر التشبيه عناية خاصة ، فقد استغرق قرابة نصف كتابه " أسرار البلاغة "، وكان من أكبر علماء البلاغة الذين هضموا تراث السلف وتمثلوه مجددين فيه ، حتى اكتملت على يديه ملامح التشبيه في تراث اللغويين والنحاة ، والأدباء والبلاغيين والنقاد ، وآتت أكلها يافعة الثمار ، وارفة الظلال ، " فوضع نظرية البيان في صورتها النهائية ، فقام على أساسها علم البيان ، كما وضع نظرية النظم في شكلها التام فقام على أساسها علم المعاني" [١]، وكان منهجه يمثل التوازن بين النظرية والتطبيق، أو بين الطريقتين العلمية والأدبية. وكان في كتابيه وفي " الرسالة الشافية في إعجاز القرآن " يبرهن على إعجاز القرآن الكريم وتفوقه في أسلوبه البياني على النصوص الأدبية[٢]. لذا يَعُدُّ أكثر العلماء كتابيه " أسرار البلاغة " و " دلائل الإعجاز " درة كتب البيان العربي لأنه كان يهدف منهما إلى بيان مزايا القرآن وإعجازه[٣] ، وهذا ما جعل أحد الباحثين يحدد أهداف كتابيه " بالغرض الديني، وهو خدمة القرآن وإظهار إعجازه "[٤] .

يُعدُّ عبد القاهر أولَ من تميز بالتحليل والعمق والاستقصاء فيما عرض له من تشبيهات القرآن الكريم ، ولم يعرض لكثير منها ،بل اختار نماذج قليلة لأنّ بلاغتها لا تتفاوت ، وإن تنوعت صورها واختلفت أسرارها ، فكل صورة ، بل كل كلمة في موضعها هي البليغة وحدها . وركز جهده في تشبيهين منها ، تعمقهما وفصّل كثيراً في كشف أسرارهما، واستفتح بهما حديثه عن الفرق بين التمثيل والتشبيه .

لعلَّ من أبرز ما تميز به عبد القاهر عن غيره هي تفريقه بين التشبيه والتمثيل ، فالتمثيل عنده " هو تشبيه من طريق العقل والمقاييس التي تجمع بين الشيئين في حكم تقتضيه الصفة المحسوسة لا في نفس الصفة ،...، من أنك تشبه اللفظ بالعسل على أنك تجمع بينهما في حكمٍ توجبه الحلاوة دون الحلاوة نفسها "[٥] . والتمثيل عنده النوع الآخر من التشبيه الذي لا يكون وجه الشبه فيه أمراً بيناً بنفسه ، بل يحتاج في تحصيله إلى ضربٍ من التأول[٦] . لذا فالتشبيه

---

(١) بيان التشبيه ، د. عبد الحميد العيسوي ، ص١٠٧ .

(٢) ينظر: إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي ، د. علي مهدي زيتون ، ص٣٠٢ (دار المشرق – بيروت ،ط١ ، ١٩٩٢م).

(٣) التحرير والتنوير ، محمد الطاهر ابن عاشور ، ١ / ١٠٦ (الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٩م) .

(٤) عبد القاهر الجرجاني ، بلاغته ونقده ، د. أحمد مطلوب ، ص٣٢٥ .

(٥) أسرار البلاغة ، ص٢٣٦ ، وينظر أيضاً ص ٢٤٢ .

(٦) المصدر نفسه ، ص٩٠ .

عامّ والتمثيل أخص منه ، فكل تمثيل تشبيه ، وليس كل تشبيه تمثيلاً[1] ، فأنت تقول في قـول قيس بن الخطِم :

وقد لاحَ في الصبح الثُريا لِمن رأى كعنقود مُلاحية حين نوّرا

إنه تشبيه حسن، ولا تقول " هو تمثيل ". وكذلك تقول: " ابن المعتز حَسَنُ التشبيهات بديعها " ، لأنك تعني تشبيهه المبصرات بعضها ببعض وكل ما لا يوجد الشبه فيه من طريـق التـأول ؛ وذلك أنَّ إحسانه في التشبيه أكثر ، وهو به أشهر . وكل ما لا يصح أن يسمى تمثـيلاً فلفـظ المثل به لا يستعمل فيه أيضا ، فلا يقال : ابن المعتز حسنُ الأمثال ، تريد التشبيهات ، ولكنك إن قلت في قول ابن المعتز :

اصبر على مضض الحسو دِ فإنَّ صبركَ قاتلهْ

فالنـّار تأكـل نفسـها إن لم تجد ما تأكله

إنه تمثيل، فلك ذلك لأن تشبيه الحسود ، إذا صُبرَ عليه وسُكِتَ عنه ، وترك غيظه يتردد فيه ، بالنار التي لا تُمَدُّ بالحطب حتى يأكل بعضها بعضا ، مما حاجته إلى التأول ظاهرة بينة[2] .

فالتمثيل عند عبد القاهر يشمل التشبيه العقلي غير الحقيقي المفرد كقولنا : لفظ كالعسـل فـي الحلاوة ، والتشبيه العقلي غير الحقيقي المركب ، كالتشبيهات القرآنية ، محور الحديث الآتي . وما عداهما تشبيه . في حين التمثيل عند السكاكي هو التشبيه العقلي غير الحقيقـي المركـب فقط، والتمثيل عند القزويني يقع في التشبيه المركب حسيا كان أو عقليا غيـر حقيقـي . فقـد توافقوا على اعتبار التمثيل في التشبيه العقلي غير الحقيقي المركـب، وانفـرد عبـد القـاهر باعتبار التمثيل في التشبيه العقلي غير الحقيقي المفرد لحاجته إلى التأول ، كما انفرد الخطيـب القزويني باعتبار التمثيل في التشبيه الحسي المركب[3] .

يرى عبد القاهر أن المثل الحقيقي والتشبيه الذي هو الأولى بأن يسمى تمثيلاً لبعده عن التشبيه الظاهر الصريح ما تجده لا يحصل إلاّ من جملة من الكلام أو جملتين أو أكثر . وقد أوضـح ذلك بقوله : " إنَّ التشبيه كلما كان أوغل في كونه عقليا محضا ، كانت الحاجة إلـى الجملـة أكثر . ألا ترى إلى نحو قوله عزّ وجل : ﴿ إنَّما مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلنـاه مـن السـماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفهـا وازّيّنـت

---

(1) أسرار البلاغة ،ص٩٥ .

(2) المصدر نفسه ، ص ٩٥ – ٩٧ ونسبة البيت لقيس بن الخطيم غير صحيحة ، والصواب هو لأبي القيس بن الأسلت وهو من شواهد التشبيه المركب الحسي عند العباسي (معاهد التنصيص، ٢ / ١٧،وديوان قيس بن الخطيم،تحقيق د.ناصر الدين الأسد،ص١٦٨ ،والتشبيهات ،ص٥).

(3) أسرار البلاغة في التشبيه والتمثيل ، بشرح د. محمد فرهود ، ص٦ – ٧ (دار الطباعة المحمدية – القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٩م) .

وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغنَ بالأمس ﴾ [1]، كيف كثرت الجمل فيه ؟ حتى إنك ترى في هذه الآية عشر جمل إذا فُصِّلت . وهي، وإن كان قد دخل بعضُها في بعض حتى كأنها جملة واحدة ، فإنّ ذلك لا يمنع من أن تكون صور الجمل معنا حاصلة تشير إليها واحدةً واحدةً . ثم إن الشبه منتزعٌ من مجموعها ، من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض ، وإفراد شطر من شطر ، حتى إنك لو حذفت منها جملة واحدة من أي موضع كان ، أخلّ ذلك بالمغزى من التشبيه[2] . قد يفهم من هذا أن عبد القاهر يشترط في التشبيه، لكي يكون تمثيلاً، أن يكون مركباً ، لكن الأمر ليس كذلك ، لأن التمثيل عنده ما كان وجه الشبه فيه عقلياً غير حقيقي ، من غير نظر إلى إفراد أو تركيب ، لكنه يرى الأولى في التمثيل أن يكون تشبيهاً منتزعاً من مجموع أمور . لذا أدخل التشبيه المفرد في التمثيل، كقولك : " هذه حجة كالشمس في الظهور " ، لأنه تشبيه لا يتم إلا بتأول[3] . كقولهم في صفة الكلام " ألفاظه كالماء في السلاسة ، وكالنسيم في الرقة ، وكالعسل في الحلاوة " لأنها تشبيهات تحتاج إلى قدر من التأمل[4] ، وكقول كعب الأشقري في صفة بني المهلب : " كانوا كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها "[5] لأنه تشبيه دقيق غامض يحتاج في استخراجه إلى فضل روية ولطف فكرة[6] . في حين أخرج التشبيه المركب الحسي من التمثيل ، كقول ابن المعتز :

كأن عيون النرجس الغضِّ حَولها مَداهِنُ دُرٍّ حَشْوُهنَّ عقيقُ

لأن الشبه فيه طريقه الحس، وليس التأول[7] . فالتمثيل عنده تشبيه عقلي ، وبذلك خالف جمهور البلاغيين الذين يرون أنّ التمثيل ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد ، ولا يشترطون فيه غير تركيب الصورة ، سواء أكانت العناصر التي تتألف منها صورته حسية أم معنوية[8] .

---

(1) يونس ، الآية ٢٤ .
(2) أسرار البلاغة ، ص١٠٨ – ١٠٩ .
(3) المصدر نفسه ، ص٩٢ – ٩٣ .
(4) المصدر نفسه ، ص ٩٣ – ٩٤ .
(5) المعنى : أي هم متساوون لا رجحان لأحدهم على الآخر (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، فخر الرازي، ص٩٧ (تحقيق د. إبراهيم السامرائي و د.محمد بركات أبو علي ، دار الفكر – عمان ، ١٩٨٥م) .
(6) أسرار البلاغة ، ص٩٣ .
(7) المصدر نفسه ، ص٩٥ .
(8) ينظر: مفتاح العلوم للسكاكي،ص٣٤٦، والتلخيص في علوم البلاغة للخطيب القزويني، ص٢٧٤ (شرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي – بيروت). والإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ، ص١٩٧ (تحقيق علي بُو ملحم ، دار مكتبة الهلال – بيروت ، ط٢ ، ١٩٩١م) .

قسم عبد القاهر وجه الشبه العقلي ثلاثة أقسام :

١. مفرد : وهو ما انتزع فيه الشبه العقلي من شيء واحد ، كانتزاع الشبه للحجة من ظهور الشمس في تشبيه الحجة بالشمس .

٢. مركب : وهو هيئة تنتزع من اثنين فأكثر امتزجت وتشابكت وتداخلت .

٣. متعدد : وهو مجموعة من وجوه متمايزة ، كل منها ينتزع من أمر واحد ، وإن اجتمعت فعلى التمايز والانفصال والاستقلال لا على الامتزاج والتشابك والتداخل . يقول: " الشبه العقلي ربما انتزع من شيء واحد كما مضى من انتزاع الشبه للفظ من حلاوة العسل ، وربما انتزع من عِدة أمور يُجمعُ بعضها إلى بعض ، ثم يستخرج من مجموعها الشبه ، فيكون سبيله سبيل الشيئين يُمزج أحدهما بالآخر ، حتى تحدث صورة غير ما كان لهما في حال الإفراد ، لا سبيل الشيئين يجمع بينهما وتحفظ صورتهما "[1] . وضرب للتشبيه العقلي المركب مثالاً من تشبيهات القرآن، هو قوله عز وجل : ﴿ مَثَلُ الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ﴾ [2]. وأفاض في إيضاح التشبيه من جميع جوانبه ، فبين أركانه ووجهه ، وفصّل فيه قائلا : " الشبه منتزع من أحوال الحمار، وهو أنه يحمل الأسفار التي هي أوعية العلوم ومستودع ثمر العقول ، ثم لا يَحُسُّ بما فيها ولا يشعر بمضمونها ، ولا يفرق بينها وبين سائر الأحمال التي ليست من العلم في شيء، ولا من الدّلالة عليه بسبيل ، فليس له مما يحمل حظٌّ سوى أنه يثقل عليه ، ويكُدُّ جنبيه ، فهو كما ترى (أي الشبه) مقتضى أمور مجموعة، ونتيجةٌ لأشياء أُلفت وقرن بعضها إلى بعض.

بيان ذلك : أنّه احتيج إلى أن يراعى من الحمار فعلٌ مخصوص ، وهو الحِمل ، وأن يكون المحمول شيئاً مخصوصاً ، وهو الأسفار التي فيها إمارات تدلّ على العلوم ، وأن يُتَتَ ذلك بجهل الحمار ما فيها ، حتى يحصل الشبه المقصود . ثم إنه لا يحصل من كل واحدٍ من هذه الأمور على الانفراد ، ولا يتصور أن يقال إنه تشبيه بعد تشبيه ، من غير أن يقف الأول على الثاني ، ويدخل الثاني في الأول ، لأن الشبه لا يتعلق بالحمل حتى يكون من الحمار ، ثم لا يتعلق أيضاً بحمل الحمار حتى يكون المحمول الأسفار ، ثم لا يتعلق بهذا كله حتى يقترن به جَهل الحمار بالأسفار المحمولة على ظهره ، فما لم تجعله كالخيط الممدود ، ولم يمزج حتى يكون القياس قياس أشياء يُبالغ في مِزاجها حتى تتحد وتخرُج عن أن تعرف صورةُ كل واحد

---

[1] أسرار البلاغة ، ص١٠١ .
[2] الجمعة ، الآية ٥ .

منها على الانفراد ، بل تبطل صُورها المفردة التي كانت قبل المزاج ، وتحدث صورة خاصة غير اللواتي عهدت ، وتحصل مَذاقةٌ لو فرضت حصولها لك في تلك الأشياء من غير امتزاج ، فرضت مالا يكون ، لم يتم المقصود ، ولم تحصل النتيجة المطلوبة ، وهي الذمُّ بالشقاء في شيء يتعلق به غرض جليل وفائدة شريفة ، مع حرمان ذلك الغرض وعدم الوصول إلى تلك الفائدة ، واستصحاب ما يتضمن المنافع العظيمة والنعم الخطيرة، من غير أن يكون ذلك الاستصحاب سبباً إلى نيل شيء من تلك المنافع والنِّعم " [1].

وميز بين التشبيه العقلي المركب في سورة الجمعة و ما يجيء فيه التشبيه معقوداً على أمرين لا يتشابكان هذا التشابك في التشبيه القرآني السابق ، وضرب لذلك أمثلة قولهم " هو يصفو ويكدر " و " هو يَمُرُّ ويحلو " ، و " يشجُّ ويأسو " و " يُسرج ويُلجم ". وأوضح أننا إن أردنا أن نجمع للموصوف الصيغتين ، فليست إحداهما ممتزجة بالأخرى، وعلل ذلك بقوله : " لأنك لو قلت: هو يصفو ويكدر ولم تتعرض لذكر " الكدر " ، أو قلت : " يحلو " ، ولم يسبق ذكر " يَمُرُّ " ، وجدت المعنى في تشبيهك له بالماء في الصفاء، وبالعسل في الحلاوة بحاله وعلى حقيقته . وليس كذلك الأمر في الآية ، لأنك لو قلت : " كالحمار يَحمِل أسفاراً " ، ولم تعتبر أن يكون جهل الحمار مقروناً بحمله ، وأن يكون متعدياً إلى ما تعدى إليه الحمل ، لم يحصل لك المغزى منه .

وكذلك لو قلت : " هُم كالحمار في أنه يجهل الأسفار ، ولم تشرط أن يكون حمله الأسفارَ مقروناً بجهله لها ، لكان كذلك . وكذلك لو ذكرت الحمل والجهل مطلقين ، ولم تجعل لهما المفعول المخصوص الذي هو الأسفار ، فقلت : " هو كالحمار في أنه يحمل ويجهل " ، وقعت من التشبيه المقصود في الآية بأبعد البُعد . والنكتة أن التشبيه بالحمل للأسفار ، إنما كان بشرط أن يقترن به الكدر ، ولذلك لو قلت : " يصفو ولا يكدر " لم تزد في صميم التشبيه وحقيقته شيئاً ، وإنما استدمت الصفة كقولك : " يصفو أبداً وعلى كلّ حال "[2] .

وتحدث عبد القاهر بتفصيل عن انقسام التمثيل إلى مفرد ومركّب مؤكداً أن الشبه إذا انتُزِعَ من الوصف لم يَخلُ من وجهين :

أحدهما : أن يكون الأمر يرجع إلى نفسه كتشبيه الكلام بالعسل في الحلاوة ، فكل منهما يوجب في النفس لذة وقبولا .

---

[1] أسرار البلاغة ، ص١٠١ – ١٠٢ .

[2] المصدر نفسه ، ص١٠٢ – ١٠٣ ، يشج أي يجرح .

والآخر : وهو ما انتُزع منه الشبه لأمر لا يرجع إلى نفسه ، كقولهم : " هو كالقابض على الماء " و " هو كالراقم في الماء " ، فالشبه هنا منتزع مما بين القبض والماء ، وليس بمنتزع من القبض نفسه ، وذلك أنَّ فائدة قبض اليد على الشيء أن يحصل فيها ، فإذا كان الشيء مما لا يتماسك ، ففعلك القبض في اليد لغوٌ ، وكذلك القصد في الرَّقم أنْ يبقى أثره في الشيء ، وإذا فعلته فيما لا يقبله ، كان فعلكَ كلا فعل[1] .

وذهب إلى أن الحمل في التشبيه القرآني السابق من النوع الآخر ، لأنه تضمن الشبه من اليهود ، لا لأمر يرجع إلى حقيقة الحمل ، بل لأمرين آخرين :

أحدهما : تعدّيه إلى الأسفار .

والآخر : اقتران الجهل للأسفار به .

وإذا كان الأمر كذلك ، كان قطعُكَ الحمل عن هذين الأمرين في البُعد من الغرض كقطعك القبض والرَّقم عن الماء ، في استحالة أن يُعقل منهما ما يُعقل بعد تعديهما إلى الماء بوجه من الوجوه[2] . ويضيف : " فإن قلت : ففي اليهود شبهٌ من الحمل ، من حيث هو حمل على حالٍ ، وذلك أن الحافظ للشيء بقلبه ، يشبه الحامل للشيء على ظهره ، وعلى ذلك يقال : " حملةُ الحديث " و " حملة العلم " كما جاء في الأثر : يحمل هذا العلم من كُلِّ خلَفٍ عُدُولُه " و " ربَّ حَامِلِ فقهٍ إلى مَن هو أفقه منه " ، فالجواب : أن الأمر وإن كان كذلك ، فإن هذا الشبه لم يُقصد ههنا ، وإنما قصد ما يوجبه تعدِّي الحمل إلى الأسفار ، مع اقتران الجهل بها به ، وهو العناء بلا منفعة . يبين ذلك : أنك قد تقول للرجل يحملُ في كُمه أبداً دفاتر علمٍ ، وهو بليد لا يفهم ، أو كسلان لا يتعلم : " إن كان يحمل كُتب العلم فالحمار أيضاً قد يحمل " تريد أن تُبطِل دعواه أن له في حمله فائدة ، وأن تُسوي بينه وبين الحمار في فقد الفائدة مِمَّا يحمل . فالحمل ههنا نفسه موجود في المشبه بالحمار ، ثم التشبيه لا ينصرف إليه من حيث هو حملٌ ، وإنما ينصرف إلى ما ذكرت لك من عَدَم الجدوى والفائدة . وإنما يُتصور أن يكون الشبه راجعاً إلى الحمل من حيثُ هو حِمل ، حيث يوصف الرجل مثلاً بكثرة الحفظ للوظائف ، أو جَهد النفس في الأشغال المتراكمة ، وذلك خارجٌ عن الغرض مما نحن فيه "[3] .

وعمد إلى المفاضلة بين المعنى المؤدى بأسلوب التشبيه بما فيه من تمثيل وتصوير وحسن شارة وبزّة ، و المعنى نفسه يؤدى بغير أسلوب التشبيه ، مبرزاً بلاغة التشبيه الذي ينعته بـ " الفن الذي هو أكرم وأشرف " مبيناً روعته ، وأنه من أرقى الأساليب وأفصحها في إيضاح

---

(1) أسرار البلاغة ، ص١٠٤ .

(2) المصدر نفسه ، ص١٠٥ .

(3) المصدر نفسه ، ص١٠٥ – ١٠٦ .

الحجج وإثباتها يقول : " وكذلك فتعهد الفرق بين أن تقول : " فلان يكُدُّ نفسه في قراءة الكتب، ولا يفهم منها شيئاً " وتسكت ، وبين أن تتلو الآية ﴿ مَثَلُ الذين حُمِّلوا التوراة .... ﴾ وتُنشد نحو قول الشاعر :

زَواملُ للأشعار لا عِلمَ عندهُم ... بجيدِّها إلا كَعِلم الأباعر

لعمرك ما يدري البعير إذا غدا ... بأوساقه أوراح ، ما في الغرائر "[1]

اعتمد عبد القاهر تحليله السابق للتشبيهين القرآنيين في سورتي يونس والجمعة لبيان المزية في التمثيل ولاستخراج الفضل فيه ، وبيان الطريقة المثلى التي ينبغي أن يكون عليها القول ، حتى يزين في النفوس ، ويعظم أثرُه فيها . ومن أسرار الفضل وأسباب المزية التي أشار إليها في تشبيهات القرآن من خلال هذين النموذجين ، التركيب في التمثيل ، والتفصيل، والاستقصاء . ونحاول استكناه هذه الأسرار ، وتلك المزايا التي جاءت في تحليل عبد القاهر لتشبيهات القرآن .

التركيب في التمثيل :

رأى عبد القاهر أن بعض أجزاء التشبيه يتوقف بعضها على بعض في أداء المعنى ، فيعتمد اللاحق منها على السابق ، ولا يستقل بنفسه . ففي معرض تحليله للتشبيه القرآني في سورة الجمعة، يقول : " إن هذا الشبه العقلي ... ربما انتزع من عِدة أمور يجمع بعضها إلى بعض ، ثم يستخرج من مجموعها الشبه "[2] . ويقول في تحليله للتشبيه في سورة يونس : " ثم إنَّ الشبه منتزع من مجموعها ، من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض ، وإفراد شطر من شطر ، حتى إنك لو حذفت منها جملة واحدة من أي موضع كان ، أخلَّ ذلك بالمغزى من التشبيه "[3] .

وكشف فوائد التركيب ومزيته في التمثيل من خلال الاستشهاد بالشعر تأكيداً للتشبيهين في الآيتين. يقول : " هذا ، وليس إذا كان الكلامُ في غاية البيان وعلى أبلغ ما يكون من الوضوح ، أغناك ذاك عن الفكرة إذا كان المعنى لطيفاً ، فإن المعاني الشريفة اللطيفة لا بُدَّ فيها من بناء ثانٍ على أوّل ، وردٍّ تالٍ إلى سابق "[4] .

---

(1) أسرار البلاغة، ص١١٦– ١١٧،والبيتان لمروان بن أبي حفصة، والزوامل جمع زاملة وهو البعير يحمل عليه الرجل زاده ومتاعه، والأوساق جمع وسق وهو الحمل والغرائر جمع "غِرارة " وهو الوعاء.

(2) أسرار البلاغة ، ص١٠١ .

(3) المصدر نفسه ، ص١٠٩ .

(4) المصدر نفسه ، ص١٤٤ .

إذا، فالذي يحوجنا إلى الفكر اللطيف والغوص عن المعنى ، والذي يحتاج إلى تحريك الخاطر ، هو " بناء ثانٍ على أول ، ورد تالٍ إلى سابق " ، وهذا ما يكسب الكلام مزية . هذا السبب يتمثل بقول عبد القاهر في تحليل تشبيه سورة الجمعة : " ولا يتصور أن يقال إنّه تشبيه بعد تشبيه من غير أن يقف الأول على الثاني ، ويدخل الثاني في الأول ، ... "[1] . ويتمثل كذلك في تحليله للتشبيه في سورة يونس بقوله : " ولا ينبغي أن تُعدَّ الجُمل في هذا النحو بعدّ التشبيهات التي يُضمُّ بعضها إلى بعض ، والأغراض الكثيرة التي كل واحدٍ منها منفرد بنفسه ، بل بعدّ جُملٍ تتسق ثانية منها على أولّة ، وثالثة على ثانية ، وهكذا "[2] .

ويؤكد أنَّ التركيب في التمثيل مزية ، بسبب ما يحدث بين أجزائه من امتزاج ، يقول في تحليله تشبيه سورة الجمعة : " فما لم تجعله كالخيط الممدود ، ولم يمزج حتى يكون القياس قياس أشياء يبالغ في مزاجها حتى تتحد وتخرج عن أن تعرف صورة كل واحد منها على الانفراد ، بل تَبْطُلُ صورها المفردة التي كانت قبل المزاج ، وتحدث صورة خاصة غير اللواتي عهدت ، وتحصلُ مذاقةُ لو فرضت حُصُولها لك في تلك الأشياء من غير امتزاج ، فرضت ما لا يكون ، لم يتم المقصود ، ولم تحصل النتيجة "[3] . هذا يختلف عن التعدُّدِ في التشبيه ، لذا فضل بيت بشار ، لأنَّ التشبيهَ فيه مُركب ، على بيت امْرئ القيس ذي التشبيهِ المُتَعَدِّدِ[4] .

ويرى أن الشبه العقلي في الصور التشبيهية التركيبية ينزع من عدة أمور مجتمعة ، كما أنَّ وجه الشبه يتحقق من جملة من الكلام وترتيب الكلام على نحو مخصوص يكوّن مجموع الصورة كما هو واضح في الصورة التشبيهية السابقة ، التي شبه الله فيها حال أحبار اليهود وقد حملوا التوراة ،وقرؤوها وحفظوا ما فيها ولم يعملوا بها ولا انتفعوا بآياتها بالحمار يحمل أسفارا . ويبدو الأمر أوضح حين يتصاعد وجه الشبه العقلي ليصل إلى أعلى درجات التأول ، ليصبح عقلياً محضاً على حد قول عبد القاهر، حين يصبح التمثيل أكثر تركيباً فيقع في عدد كثير من الجمل المتوالية ، كما يتحقق في بعض التشبيهات القرآنية ؛ نحو تمثيل سورة يونس .

ولا تخفى هنا رؤية عبد القاهر الكلية للصورة التشبيهية حيث يقع المشبه به – الذي يوازي دورة الحياة الدنيا بمراحلها المتعاقبة ، والتي تنتهي بالزوال والفناء – في عشر جمل متوالية

---

(1) أسرار البلاغة ، ص١٠١ .
(2) المصدر نفسه ، ص١٠٩ .
(3) المصدر نفسه ، ص١٠٢ .
(4) المصدر نفسه ، ص١٩٤ .

ومتداخلة، وقد شكلت ربقة يصعب أن يفصل فيها جزء عن الآخر ، أو يتقدم أو يتأخر عن موضعه ، حتى لا تختل الصورة المشكلة من مجموع هذه الأجزاء وفق هذا الترتيب ، وبالتالي يفتقد المغزى المستفاد منها . وقد شكل تعاقب الجمل في هذا التمثيل نمطا شبيها بالنمط القصصي الذي يعتمد على توالي الأحداث وتصاعدها . وذلك من خلال التصوير الحسي ، الذي يبين في هذه الآية كيف تؤول الحياة الدنيا إلى زوال بهدف استخلاص العبرة والعظة . من هنا تحولت صورة التشبيه التمثيلي عند عبد القاهر إلى معنى كلي تجاوز النمط الجزئي للصورة البلاغية المعتادة ، لكنه لم يكن معنيًا بهذه النظرة الكلية بقدر ما كان معنيا بالكيفية التي يستخرج بها وجه الشبه العقلي من مجموع هذه الصورة ، ليستدل بها على فكرة مؤداها أن جوهر التمثيل يتحقق من خلال بعده عن التشبيه الظاهر الصريح ، وكلما ازدادت مسافة هذا البعد أصبحت الصورة تمثيلاً . وأيا كان الأمر . فقد شكل هذا النوع من التمثيل القرآني نمطا عاليا من أنماط التمثيل عند عبد القاهر لاعتماده على التأويل العقلي، الذي يقتضيه نوع من الغموض المستحب الناتج عن بعد العلاقة بين طرفي التشبيه، فضلاً عن قيام الصورة التشبيهية على التركيب،الذي يدعم بدوره ذلك بالغموض بل الإغراق في التأويل.

وأبرز عبد القاهر من خلال تحليله للصورة السابقة تماسك الصور التشبيهية في القرآن تماسكا شديدا بحيث لو حاولنا فصل أحد أجزائها لانفرط عقدها ، وانتثرت معالم الجمال فيها . من هنا نرى القوة البيانية متمثلة في إعطاء الفكرة عن طريق الصورة التشبيهية مركبة الأجزاء ، والعجيب في ذلك أن التمثيل نفسه لم يأت عبثا، لكننا نراه يجيء عقب فكرة يراد توضيحها وتمكينها في ذهن السامع ، هذا لما نعلمه من أن الحجة لا تقام إلا بعد طرح الدعوى وبسط الفكرة [1].وأرجع عبد القاهر إعجاب المتلقي بالصورة التشبيهية إلى الجمع بين المتباعدات فيها لأنها تحدث في نفسه الدهشة والاستغراب والإعجاب. يقول : " إذا استقريت التشبيهات وجدت التباعد بين الشيئين كلما كان أشدَّ ، كانت إلى النفوس أعجب، وكانت النفوس لها أطرب ، وكان مكانها إلى أن تُحدِث الأريحية أقرب . وذلك أن موضع الاستحسان ، ومكان الاستظراف ، والمثير للدفين من الارتياح ، والمتألّف للنافر من المسرة ، والمؤلف لأطراف البهجة – أنك ترى بها الشيئين مثلين متباينين ، ومؤتلفين مختلفين ، وترى الصورة الواحدة في السماء والأرض ، وفي خلقة الإنسان وخلال الروض "[2] .

---

(1) ينظر : أسرار البلاغة ، ص١١٥ وما بعدها ، ونظرات في التمثيل البلاغي ، د. محمد السيد شيخون ، ص٢٨٥ ، (مقالة في مجلة الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة ، عدد ٤٥ ، السنة ١٢ ، ١٩٨٠م) .

(2) أسرار البلاغة ، ص١٣٠ .

أيد الدكتور مصطفى ناصف ذلك مؤكداً الربط بين الشكل والمضمون، فقال:" والمحقق أن براعة المجاز القرآني لم تصور تصويراً مشرقاً في عصر من العصور ، وأن القرآن لم يتذوق تذوقاً خالصاً ، ولو فعلوا لما قالوا إن التشبيه الأدبي يقوم على المشاركة بين الأشياء في ظواهرها وألوانها وأقدارها " [1] . وهو بذلك يلمز من قال : إنّ أحسن التشبيه ما وقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها ، ويعلي من نظرة عبد القاهر حيث لا يعتد بالتشبيهات حتى يكون الشبه مقرراً بين شيئين مختلفين في الجنس[2] .

وفي حديثه عن الصورة التشبيهية في قوله تعالى : ﴿ مثل الذين حُمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً ﴾ [3] ، يقول : " سبيله سبيل الشيئين يمزج أحدهما بالآخر حتى تحدث صورة غير ما كان لهما في حال الإفراد لا سبيل الشيئين يجمع بينهما وتحفظ صورتهما " [4] ، فهو يبين فضل الطريقة التصويرية في القرآن ، التي تجعل للمعاني والأغراض والموضوعات القرآنية ، صورتها التي نراها ، ومن هذه الصورة كانت قيمتها الكبرى . فهي في هذه الصورة غيرها في صورة آية أخرى . وكأني بعبد القاهر يكشف عن طريقة القرآن في تصوير المعاني الذهنية والحالات النفسية ، وإبرازها في صور حسية ، تختلف عن طريقة نقل المعاني والحالات النفسية في صورتها الذهنية التجريدية[5] .

إنّ جمال الصورة التشبيهية وغيرها من الصور البلاغية كالاستعارة والكناية لا يرجع إلى حسن ألفاظها ، إنما قيمتها في كونها " صور المعاني "[6] ،وربط بين اللفظ والمعنى من خلال نظرية النظم ، وأوضح أن الصياغة هي التي تمنح النص جماله وقيمته ، فليس للفظة المفردة قيمة بدون المعنى ، فالصورة عنده في النظم والصياغة ، وما الأنواع البيانية ، ومنها التشبيه، لديه إلا أجزاء من عناصر تشكل الصورة التي يعرفها بقوله : " وأعلم أن قولنا الصورة إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا "[7] .

وفي المقابل، يرى عبد القاهر أن التأول في الصورة التشبيهية يتفاوت بسبب بعد طرفيها ، وعدم وضوح العلاقة الحسية بينهما حتى إنه في بعضها يحتاج إلى قدر من التأمل ، وفي

---

(1) الصورة الأدبية ، ص٨٦ (دار الأندلس – بيروت ، ط٢ ، ١٩٨١م) .
(2) ينظر : أسرار البلاغة ، ص١٢٩ .
(3) الجمعة ، آية ٥ .
(4) أسرار البلاغة ، تحقيق محمود شاكر ، ص١٠١ .
(5) التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، ص ٢٤١ – ٢٤٢ .
(6) دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود شاكر ، ص٢٦٥ .
(7) المصدر نفسه ، ص٥٠٨ .

بعضها الآخر يصل إلى حد الغموض حتى يحتاج في استخراجه إلى فضل روية ولطف فكرة[1].

التفصيل :

عَرّفَ عبدُ القاهر التفصيل بقوله : " واعلم أنَّ قولنا " التفصيل " عبارة جامعة ، ومحصولها على الجملة أن معكَ وصفين أو أوصافاً ، فأنت تنظر فيها واحداً واحداً ، وتفصل بالتأمل بعضها عن بعض ، وأن بك في الجملة حاجة إلى أن تنظر في أكثر من شيء واحد ، وأن تنظر في الشيء الواحد إلى أكثر من جهة واحدة "[2] . ويقول في موضع آخر : " وجملة القول أنكَ متى زدت في التشبيه على مراعاة وصف واحد أو جهة واحدة ، فقد دخلت في التفصيل والتركيب "[3] . فالتفصيل هو الزيادة في التشبيه على مراعاة وصف واحد أو جهة واحدة ، أمّا التركيب فهو المزج بين هذه الأوصاف أو الجهات في تشكيل التشبيه .

ويتبدى التفصيل في تحليل عبد القاهر للتشبيه في سورة الجمعة، بقوله : " الشبه منتزع من أحوال الحمار ، ... ، فهو كما ترى مُقتضى أمورٍ مجموعةٍ ، ونتيجةُ لأشياء ألفت وقُرن بعضها إلى بعض "[4] . فالمزية في التشبيه إنما هي في مراعاة هيئات خاصة من أحوال الحمار، وفي التفصيل الذي تناول عدة هيئات منه . ويظهر في تحليله للتشبيه في سورة يونس بقوله : " ... ثم إنّ الشبه منتزع من مجموعها "[5] ، فهذا يستدعي وجود غير صفة من غير جهة .

وجاءت كلمة " المخصوص " في تحليله للتشبيه مرادفة لمعنى التفصيل ، أو هي من أسباب التفصيل. يقول : " احتيج أن يُرَاعى من الحمار فعلٌ مخصوصٌ ، وأنْ يكونَ المحمولُ شيئاً مخصوصاً "[6] ، وقد جاء التفصيل من النظر إلى غير صفة من صفات المُشبه به أو من النظر إلى أكثر من جهة فيه . وكذا الأمر في تشبيه الحياة الدنيا في سورة يونس ، فقد بلغت وجوه التفصيل عشرة ، لذلك انماز التشبيه فكما ذكر فيه من تفصيل ذكرت فيه أشياء كثيرة ، ونظر إليه من جهات كثيرة .

---

(١) أسرار البلاغة ، ص ٩٣ .
(٢) المصدر نفسه ، ص١٦٦ .
(٣) المصدر نفسه ، ص١٧٩ .
(٤) المصدر نفسه ، ص١٠١ .
(٥) المصدر نفسه ، ص١٠٩ .
(٦) المصدر نفسه ، ص١٠١ .

الاستقصاء :

وهو المبالغة في التفصيل ، وتجاوز القصد إلى كل الجهات التي يكتمل به القصد من التشبيه ، بذكر جميع أجزاء الصورة التي تتم به دقائق التمثيل ، يقول: " وجملة القول أنك متى زدت في التشبيه على مراعاة وصفٍ واحدٍ أو جهةٍ واحدة ، فقد دخلت في التفصيل والتركيب ، وفتحت باب التفاضل ، ثم تختلف المنازل في الفضل بحسب الصورة في استنفادك قوة الاستقصاء ، أو رضاك بالعفو دون الجَهد "[1] . فالمستقصي للتشبيه لا يَدَعُ من أحوال المشبه به وصفاً يفي بحق التشبيه ، ويكمل صورته إلا جاء به ، ويتبدى ذلك في تحليله لتشبيه سورة الجمعة ،بقوله : " احتيج إلى أن يُراعى من الحمار فعلٌ مخصوص ، وهو الحمل ، وأنْ يكون المحمول شيئاً مخصوصاً وهو الأسفار التي فيها أمارات تدلُّ على العلوم ، وأن يتلث ذلك بجهل الحمار ما فيها ، حتى يحصل الشبه المقصود "[2] . فوجه الشبه ليس مستمداًمن الحمل مطلقاً ، وإنما من الحمل مقترناً بالأسفار والجهل بها ، ذلك أنه ليست هناك علاقة مشابهة بين اليهود والحمار ، بل تتحقق في حالة اقتران الحمل بالأسفار والجهل بها، والصورة التشبيهية لا تتحقق إلا من جملة من الكلام مرتبة بشكل متعاقب ، بحيث لا يمكن حذف جزء دون جزء ، وإلا اختلت . فقد استقصيت كلُّ أوصاف صورة المشبه به حتى حصل الشبه المقصود . وفي تشبيه سورة يونس يظهر استقصاء الصورة بقوله : " ألا ترى إلى نحو قوله عز وجل ... كيف كَثُرت الجُمل فيه ؟ حتى إنك ترى في هذه الآية عشر جُمل إذا فُصلت "[3] .

وذهب إلى أن المماثلة والمثل والتمثيل تسميات متشابهة الدلالة [4] ، وأن المثل قد يضرب بجمل لا بد فيها من أن يتقدمها مذكور يكون مشبهاً به ، ولا يمكن حذف المشبه به والاقتصار على ذكر المشبه ، نحو قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " الناس كإبل مِئة لا تكاد تجدُ فيها راحلة " ، لا بُدَّ فيه من المحافظة على ذكر المشبه به الذي هو " الإبل ". يقول عبد القاهر : " فلو قلت : " الناس لا تجد فيهم راحلة " أو " لا تجد في الناس راحلة " ، كان ظاهر التعسُّف "[5] . ويضيف " وههنا ما هو أشدُّ اقتضاءً للمحافظة على ذكر ما تُعلق الجملة به

---

[1] أسرار البلاغة ، ص١٧٩ .
[2] المصدر نفسه ، ص١٠١ .
[3] المصدر نفسه ، ص١٠٩ .
[4] ينظر : المصدر نفسه ، ص١١٣ .
[5] المصدر نفسه ، ص١١٣ .

وتُسند إليه ، وذلك مثل قوله عز وجلّ : ﴿ إنما مثلُ الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء ﴾[1] ، لو أردت أن تحذف " الماء " الذي هو المشبه به ، وتنقل الكلام إلى المشبه الذي هو " الحياة " أردت ما لا تحصل منه على كلام يعقل ، لأن الأفعال المذكورة المحدث بها عن المـاء ، لا يصح إجراؤها على الحياة "[2] .

وذهب إلى أنّ الجملة إذا جاءت بعد المشبه به لم تخلُ من ثلاثة وجوه [3]:

الأول : أن يكون المشبه به معبراً عنه بلفظ موصولٍ ، وتكون الجملة صلة ، كقوله تعـالى : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ﴾ [4] .

الثاني : أن يكون المشبه به نكرة تقع الجملة صفة له ، كقوله صلى الله عليه وسلم : " النـاس كإبل مئة لا تجد فيها راحلة " .

والأخير : أن تجيء الجملة مبتدأة ، وذلك إذا كان المشبه به معرفة ، ولم يكن هناك " الـذي " ، كقوله تعالى : ﴿ كمثل العنكبوت أتخذت بيتا ﴾ [5] .

وتكلم عمّا يصلح فيه التشبيه الظاهر ، ولا يصلح فيه التشبيه البليغ والاستعارة يقول : " وإن أردت أن تزداد علماً بأن الأمر كذلك ، أعني أن ههنا ما يصلح فيه التشبيه الظاهر ولا تصلح فيه المبالغة وجعل الأولِ الثاني ،فاعمد إلى ما تجد الاسم الذي افتتح به المثل فيه غير محتمل لضربٍ من التشبيه إذا أفرد وقطع عن الكلام بَعْدَهُ ، كقوله تعالى : ﴿ إنما مثلُ الحيـاة الدنيا كماء أنزلناه من السماء ﴾ [6]، لو قلت : " إنما الحياة الدنيا ماء أنزلناه من السـماء " أو " الماء ينزل من السماء فتخضرُ منه الأرض " ، لم يكن للكلام وجهٌ غير أن تقدر حـذف مثـل نحو: " إنما الحياة الدنيا مِثلُ ماء ينزل من السماء فيكون كيت وكيت"، إذ لا يتصور بين الحياة الدنيا والماء شبه يصحُّ قصده وقد أفرد ... . وهذا موضع في الجملـة مُشـكل ، ولا يمكـن القطع فيه بحكم على التفصيل ، ولكن لا سبيل إلى جحد أنك تجد الاسم في الكثير وقد وضـع موضعاً في التشبيه بالكاف ، لو حاولت أن تخرجه في ذلك الموضع بعينه إلى حدّ الاسـتعارة والمبالغة ، وجعل هذا ذاك ، لم ينقد لك ، كالنكرة التي هي " ماء " في الآية وفي الآي الأخـر نحو قوله تعالى : ﴿ أو كصيّبٍ من السماء فيه ظلماتٌ ورعدٌ وبرق﴾[7]، ولو قلت: "هم صيّبٌ

---

(1) يونس ، الآية ٢٤ .
(2) أسرار البلاغة ، ص١١٤ .
(3) المصدر نفسه ، ص١١٤ .
(4) البقرة ، الآية ١٧ .
(5) العنكبوت ، الآية ٤١ .
(6) يونس ، الآية ٣٤ .
(7) البقرة ، الآية ١٩ .

"،ولا تُضمر مثلاً ألبتة على حدّ " هو أسد " لم يجز، لأنه لا معنى لجعلهم صيبا في هذا الموضع، وإن كان لا يمتنع أن يقع "صيِّب" ، في موضع آخر ليس من هذا الغرض في شيء ،استعارة ومبالغة ، كقولك: " فاض صيِّبٌ منه "، تريد جوده ، و " هو صيِّب يفيض " تريد مندفق في الجُودِ "[1] .

أخيراً يمكننا أن نقول إن عبد القاهر جعل تشبيهات القرآن ميزاناً لفن التشبيه عامة ، وأنه ينبغي أن يكون التشبيه القرآني مقياساً وقانوناً لسائر الأقوال ، ولذا جعل قسماً كبيراً من كتابه " أسرار البلاغة " تفصيلاً أو تأصيلاً للمزايا التي وردت في تشبيهي سورتي الجمعة ويونس مثل التركيب والتفصيل والاستقصاء[2] ، التي عرضت لها آنفاً . فقد جعل عبد القاهر التشبيه القرآني أصل مزايا التشبيهات الرائعة، لذا ساق الشواهد الشعرية ملتفتاً في كلّ مرّة إلى مزية من المزايا التي وردت في تشبيهي سورتي الجمعة ويونس يبين فضلها في الشواهد التي يسوقها ، ويدل على فضل أثرها على المعنى .

وبذا كان كلامه في التشبيه الشعري متصلاً بكلامه في التشبيه القرآني، وكان منهجه يتلخيص في أنه يتدرج بالقارئ إلى المزايا العالية في القرآن بأمثلة كثيرة من الشعر ذي النمط العالي، ومقصوده أن بلاغة القرآن لا يمكن تذوقها إلا من تعلم ذوق الشعر الرفيع، وهذا يحتاج إلى الدربة والممارسة الطويلة. ومن هنا تراه يكثر من الأمثلة، حتى ظن فيه بعض الباحثين[3] الاضطراب في التبويب والخروج عن قصده وما أراده من كتبه وهو إقامة الدليل على الإعجاز . والأمثلة التي يعرضها عبد القاهر بالغة الدقة وفائقة الجمال ليسهل على القارئ الانتقال منها إلى القرآن ، وقد نبَّه محمود محمد شاكر إلى أنه لا يمكن أن يذوق بلاغة القرآن الكريم إلاّ من تمرّس طويلاً بالشعر البليغ[4].

---

[1] أسرار البلاغة ، ص٢٤٨ – ٢٤٩ .

[2] ينظر أسرار البلاغة ، ص١٦٠ وما بعدها و ص١٧٦ وما بعدها .

[3] ينظر : الصور البيانية بين النظرية والتطبيق ، د. حفني محمد شرف ، ص٨١ .

[4] مقدمة محمود شاكر لكتاب الظاهرة القرآنية ، تأليف مالك بن نبي ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، ص٣٢ وما بعدها (ندوة مالك بن بني ، دار الفكر – دمشق ، ١٩٨١م) .

(١١) الزمخشري في " الكشاف ":

تأثر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)عبد القاهر في كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز،وصدر عن بعض آراءهِ في تفسيره لتشبيهات القرآن الكريم(١).وكـان مثله يستحسن التمثيل " لما فيه من كشف المعنى ، ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب ، وإدناء المتوهم

---

(١)على الرغم من أنّ الزمخشري معتزلي و عبد القاهر سنيٌّ أشعريّ فقد التقيا في جملة أمور.لأنّ الأشاعرة-ومنهم عبد القاهر- توسطوا بين الطرق ونفوا التشبيه ,وأثبتوا الصفات المعنوية لله -عزّ وجلّ- أي الحياة والعلم , والقدرة, والإرادة , والسمع , والبصر ,والكلام القائم في النفس بطريق العقل والنقل .كذلك استخدم الزمخشري أسلوب التمثيل و التخييل في كشافه لخدمة مبادىء الاعتزال ,خاصة مبدأ التوحيد ,ودفع كلّ شبهة يشتم منها التجسيم أوالتشبيه .وهو إذ كان مؤمنا بالعقل ,مقدسا له ,فقد جعله آلته في التفسير ,يجول به في النص القرآني باحثا عن تآلف معاني ألفاظ الآية الواحدة وتآخيها ، وتعدّى العناية بنسق الآية إلى نسق القرآن المعنوي كله ,فالمعاني القرآنية كلٌّ متناسقٌ متجاوب .وهو بذا يشترك مع عبد القاهرفي اعتماد العقل في تفسير القرآن والقول بإعجاز نظمه .وهو في الآي التي لا يمس معناها الإعتزال ولا مبادئه,يسير في تفسيرها على نهج المفسرين الأثريين النقليين ؛ فيفسر القرآن بالقرآن تفسيرا ظاهرياقريبا ,أو يفسره بأحاديث الرسول والصحابة ,وهو قلّ أن يقف من التفاسير الأثرية موقف الناقد الفاحص,كذلك يورد أسباب النزول والناسخ والمنسوخ إمّا عارضا فحسب أو ناقدا.وذهب مذهب عبد القاهر بالقول إنّ القرآن معجز بأحكام معاني النحو الحادثة من تأليف الكلم ونظمه ,وعالجه على نطاق واسع في تفسيره سور القرآن , وتأثر رأي عبد القاهر أنّ اللفظ خادم للمعنى وأنّه قشر والمعنى اللبّ ويجدر أن لا ننسى أنّ شيخ الأشاعرة أبا الحسن , الذي ناضل المبتدعة بالعقل حفاظا للسنة , ظلّ معتزليّا طوال أربعين سنة ,وتلميذا لأبي هاشم الجبائي قبل أنّ يرفض سفسطته , ويتمرد على إغراقه في توظيف العقل في مجادلات عقيمة , وقضايا مختلفة ,استخدم لها المعتزلة في مناقشاتهم وسائل منطقية مغلوطة ,ممّا وصلهم من البقايا المشوهة للمنطق الأرسطي .(للوقوف على تفصيلات ذلك ينظر :منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه , د.مصطفى الصاوي الجويني , والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات القرآنية ,د.محمد أبو موسى) .

الزمخشري وغيره ببيان أثر التمثيل والتخييل في نفاذ المعاني إلى أعماق النفس الإنسانية[1] . وأكّد الزمخشري أن هذا الباب من أبدع فنون البيان يمكن من خلاله الإجابة عن كثير من المتشابهات في القرآن ، وتنزيه الله تعالى عن التشبيه والتجسيم . يقول: " ولا ترى باباً في علم البيان أدق ولا أرق ولا ألطف من هذا الباب ، ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله تعالى في القرآن وسائر الكتب السماوية، وكلام الأنبياء ، فإن أكثره وعليته تخييلات قد زلت فيها الأقدام قديماً ، وما أتى الزالون إلاّ من قِلة عنايتهم بالبحث والتنقير ، حتى يعلموا أنّ في عداد العلوم الدقيقة علماً لو قدّروه حقّ قدره لما خفي عليهم أنّ العلوم كلّها مفتقرةٌ إليه وعيالٌ عليه ، إذ لا يحل عُقدها المُؤَرَّبَة ولا يفكُ قيودها المكربة إلاّ هو "[2] .

اتّضح مفهوم الزمخشري للتشبيه في أول تشبيه قرآني عرض له في سورة البقرة هو تشبيه المنافقين في قوله تعالى : ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ۞ مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ۞ صم بكم عمي فهم لا يرجعون ۞ أو كصيبٍ من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين ۞ يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كلّ شيءٍ قدير ﴾ [3] . فقد كتب مقدمة مختصرة كشف فيها عن أسلوب التشبيه القرآني ، ودوره في التعبير القرآني ، وأثره في تصوير المعاني . يتبدى في ذلك كلّه تأثره بعبد القاهر ، يقول الزمخشري : " لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميماً للبيان .ولضرب العرب – الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر – شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني ، ورفع الأستار عن الحقائق ، حتى تريك المتخيل في صورة المحقق ، والمتوهم في معرض المتيقن ، والغائب كأنه مشاهد . وفيه تبكيت للخصم الألدّ ، وقمع لسورة الجامح الأبي ، ولأمر ما أكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله ، وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الأنبياء والحكماء ،

---

(1) التخييل ؛ مفهومه وموقف المفسرين منه قدامى ومحدثين ، د. مصطفى المشني ، ص٥٥ (دار الرازي – عمان ، ط١ ، ٢٠٠١م) .
(2) الكشاف ،٣/٤٦٣ .
(3) البقرة ، الآيات ١٦ – ٢٠ .

قال الله تعالى : ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلاّ العالمون ﴾ [1]؛ ومن سور الإنجيل سورة الأمثال . والمثل في أصل كلامهم : بمعنى المثل ، وهو النظير ، يقال : مِثل ومثل ومثيل ، كشبه وشبه وشبيه ، ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده : مثل . ولم يضربوا مثلاً ، ولا رأوه أهلاً للتسيير ، ولا جديراً بالتداول والقبول ، إلا قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه .ومن ثم حوفظ عليه وحُمِي من التغيير ، فإن قلت : ما معنى مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً ، وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد ناراً حتى شبه أحد المثلين بصاحبه ؟قلت : قد استعير المثل استعارة الأسد للمقدام ، للحال أو الصفة أو القصة ، إذا كان لها شأن وفيها غرابة . كأنه قيل : حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد ناراً "[2] .

وأكّدَ الزمخشري أنّ المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد ؛ إنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد[3] ، الذي لما أضاءت النار ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين متحسرين على فوت الضوء ، خائبين بعد الكدح في إحياء النار[4] . وذهب إلى تفسير قوله تعالى ﴿ .. ذهب الله بنورهم .. ﴾ بقوله : " قلت : إذا طفئت النار بسبب سماوي ريح أو مطر ، فقد أطفأها الله تعالى وذهب بنور المستوقد ، ووجه آخر ،وهو أن يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها اللهُ . ثم إما أن تكون ناراً مجازية كنار الفتنة والعداوة للإسلام ،وتلك النار متقاصرة مدة إشتعالها قليلة البقاء. ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿ كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها اللهُ ﴾ [5]. وإما ناراً حقيقة أوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها إلى بعض المعاصي ، ويتهدوا بها في طرق العبث ، فأطفأها الله وخيَّب أمانيهم "[6] .وعلق الزمخشري على تشبيه حال المنافقين العجيبة الشأن بحال الذي استوقد ناراً قائلاً :"فإن قلت فيم شبهت حالهم بحال المستوقد ؟ قلت : في أنهم غِبُّ الإضاءة خبطوا في ظلمة وتورطوا في حيرة . فإن قلت : وأين الإضاءة في حال المنافق ؟ وهل هو أبداً إلاّ حائر خابط في ظلماء الكفر ؟ قلت : المراد ما استضاءوا به قليلاً من الانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم ، ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التي ترمي بهم إلى ظلمة سخط الله

---

(1) العنكبوت ، الآية ٤٣ .
(2) الكشاف ، ١ / ٧٩ . ونسب السيوطي هذا القول لحمزة الأصبهاني (ت٣٥١هـ) (صاحب الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة)،(ينظر : معترك الأقران ، ١ / ٤٦٥).
(3) المصدر نفسه ، ١ / ٨٠ .
(4) المصدر نفسه ، ١ / ٨٠ .
(5) المائدة ، الآية ٦٤ .
(6) الكشاف ، ١ / ٨١ .

وظلمة العقاب السرمد . ويجوز أن يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله على أسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واتسموا به من سمة النفاق "[1] .

يدل تعليق الزمخشري على تشبيهي سورة البقرة أنَّ التشبيه التمثيلي ينطبق على ما سمّاه الزمخشري التمثيل أو ضرب المثل ، لأنَّ المثل يَشملُ الحالَ والصِّفة والقصة . فقد ذكر في شرحه لمقاماته أنَّ الذي يسمى تمثيلاً نحو قوله تعالى : ﴿ سنسمه على الخرطوم ﴾ [2]، إذ مثلت حاله في الذل والمهانة بحال ِ الموسوم على أعزّ موضع ٍ منه [3]. لأن الوجه أكرم موضع في الجسد ،والأنف أكرم موضع من الوجه ، فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الإذلال والإهانة، لأن الوسم على الوجه ذل وشين ، فكيف به على أكرم موضع منه[4] .

والتفت إلى التصوير الحسي، فوضح أهميته قائلاً : " وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوَّره السامع كأنه ينظر إليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به "[5] .

وعلى هذا الأساس فسَّر قوله تعالى : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ... ﴾ [6] ، بأنه نوع من التمثيل يقصد به " تصوير للأضعاف كأنها ماثلة بين عيني الناظر "[7] .

إن في استخدامه لهذه المصطلحات تأكيداً أن الصورة التشبيهية في القرآن لا تنحصر في تشبيه شيء بشيء ،أو حالة بحالة، بل تتعدى ذلك إلى " إحلال طائفة من الصور الحسية محل طائفة من المعاني المجردة ، وربط هذه الصور الحسية ببعضها برباط ذهني "[8]،كذلك استخدامه لها

---

(1) الكشاف ، ١ / ٨٢ .

(2) القلم ، الآية ١٦ .

(3) مقامات الزمخشري ، بشرح الزمخشري ، ص١٥٦ (ط٢ ، مصر ، ١٣٢٥هـ) .

(4) الكشاف، ٤ / ٥٧٦ .

(5) الكشاف ، ١ / ٢٩٣ ، وينظر : البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، محمد أبو موسى، ص٤٣٤ (دار الفكر العربي – القاهرة) ..

(6) البقرة ، آية ٢٦١ .

(7) الكشاف ، ١ / ٣٠٦ .

(8) الصورة الفنية ، د. جابر عصفور، ص٢٩٣، نقلاً عن " من وصف القرآن يوم الدين والحساب "، د. شكري عياد ، ص١٧ (رسالة ماجستير – جامعة فواد الأول ، ١٩٤٧م) .المراد بتشبيه حالة بحالة المعنى العام وليس الاصطلاحي.

يرتبط بما يسمى في المصطلح النقدي بالتشخيص والتجسيم[1]، واستخدامه لكل ما يصور المعاني بمحسوسات ، يرمي منه إلى تجلية البلاغة القرآنية من خلال تأكيد مبدأ التوحيد عند المعتزلة،الذي ينزه الخالق عن أن تتلبس به أحوال المخلوقين[2].

بيد أنه يؤخذ على الزمخشري إلحاحه على الجانب البصري أثناء تحليله للصورة التشبيهية في القرآن وعدم تطرقه إلى الصور السمعية أو الشمية أو اللمسية أو الذوقية أو الحركية ، وهو في هذا يتشابه مع الرماني والعسكري ، علما أن الصور التشبيهية في القرآن أوسع من ذلك وأشمل ، وأنّ قصرها في الجانب البصري تضيق لأنماطها ، وحصر لقدراتها الثرة المتعددة[3] .

يرى الدكتور مصطفى ناصف أن البلاغيين لم يستلهموا روح القرآن في التصوير ، ولو فعلوا لأنكروا تعدد التشبيه، وقلبه، والبعد، والغرابة، والاستطراف، والمفاضلة بين البليغ وغير البليغ[4] . وقد أرجع نظرية التشبيه عند العرب لا، سيّما عبد القاهر في أسرار البلاغة، إلى نظرية الفن القائمة على " التجريد " ، وبذلك علل اهتمام البلاغيين والنقاد بالتناظر والتقابل في التشبيه بدافع نزعة التجريد المعروفة في الزخارف الإسلامية التي يكره فيها الفراغ في الفن. وأخذ على العرب مغالاتهم في تقدير التشبيه وإعلاء مكانته ، وأرجع الإفتتان به إلى المنهج العربي المحافظ الذي يحفل بالروعة والجلال . كذلك أخذ على النقاد

---

(1) التشخيص هو إضفاء الأوصاف والخواص الإنسانية على الأشياء أو المفاهيم التجريدية(قضايا في النقد والشعر،د.يوسف بكار،ص٣٥)بمعنى آخر هو" إبراز الجماد أو المجرد من الحياة من خلال الصورة بشكل متميز بالشعور والحركة والحياة " (المعجم الأدبي ، جبور عبد النور ، ص٦٧) ، وعرفه سيد قطب بأنه لون من ألوان " التخييل " يتمثل في خلع الحياة على المواد الجامدة ، والظواهر الطبيعية ، والانفعالات الوجدانية ففي قوله تعالى : " والصبح إذا تنفس " (سورة التكوير، آية ١٨) ، يخيل إليك هذه الحياة الوديعة الهادئة التي تتفرج عنها ثناياه ، وهو يتنفس ، فتتنفس معه الحياة ، ويدب النشاط في الأحياء على وجه الأرض والسماء (التصوير الفني ، ص٧٣) . أما التجسيم فهو " ميل معاكس للتجريد ؛ أي إبراز الماهيات والأفكار العامة والعواطف في رسوم وصور وتشابيه محسوسة هي في واقعها رموز معبرة عنها " (المعجم الأدبي ، جبور عبد النور ، ص٥٩)، وعرفه سيد قطب بأنه تجسيم المعنويات المجردة ، وإبرازها أجساماً أو محسوسات على العموم . وإنه ليصل في هذا إلى مدى بعيد ، حتى ليعبر في مواضع حساسة جد الحساسية يحرص الدين الإسلامي على تجريدها كل التجريد ، كالذات الإلهية وصفاتها، والخطورة تكمن في التجسيم في الأوهام (التصوير الفني ، ص٧٢) ، وينظر : البيان في إعجاز القرآن ، د. صلاح الخالدي ، ص ١٩٠ – ١٩١ .

(2) الصورة الفنية ، د. جابر عصفور ، ص٢٩٥ .

(3) ينظر الصورة الفنية ، د. جابر عصفور ، ص٢٩٧ – ٢٩٨ .

(4) الصورة الأدبية ، د. مصطفى ناصف ، ص٧٢ .

العرب اهتمامهم بالجانب التقديري للتشبيه دون البحث في قيمته ، وانصرافهم إلى وضع القواعد الصارمة، والتقسيمات العقلية التي تسوي بين الدلالة الأدبية والتعريفات المنطقية [1].

وأكّدَ الزمخشري أن أغلب التشبيهات القرآنية من التمثيلات المركبة على العكس من تشبيهات الشعراء العرب، الذين درجوا على التشبيهات المفردة أو المتعددة ، ولم يعتادوا طرائق التشبيه القرآني . يقول : " والصحيح الذي عليه علماء البيان لا يتخطونه ، أنّ التمثيلين جميعاً من التمثيلات المركبة دون المفرقة ، لا يتكلف الواحد واحد شيء يقدر شبهه به ، وهو القول الفحل والمذهب الجزل ، بيانه : أن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولاً بعضها عن بعض ، لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها [2]، كما فعل امرؤ القيس وجاء في القرآن ،وتشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئاً واحداً ، بأخرى مثلها ، كقوله تعالى : ﴿ مثلُ الذين حُمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً ﴾ [3]. الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار في جهله عما يحمله من أسفار الحكمة ، وتساوي الحالتين عنده من حال أسفار الحِكمة وحمل ما سواها من الأوقار ، لا يشعر من ذلك إلا بما يمر بدفيه من الكد والتعب ، وكقوله تعالى : ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كمَاءٍ أنزلناهُ من السَّماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح ﴾ [4]،المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلةِ بقاء الخضر . فأما أن يراد تشبيه الأفراد بالأفراد غير منوط بعضها ببعض ، ومصيرة شيئاً واحداً ، فلا ، فكذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة ، شبهت حيرتهم وشدة الأمر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل ، وكذلك من أخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق" [5].

وفي تفسيره لقوله تعالى : ﴿ صمٌ بكمٌ عميٌ فهم لا يرجعون ﴾ [6]ناقش نوع هذا التعبير البياني مرجحاً أنّه تشبيه بليغ يقول : " فإن قلت :كيف طريقته عند علماء البيان ؟ قلت طريقة قولهم : " هم ليوث " للشجعان وبحور للأسخياء . إلا أنّ هذا في الصفات وذاك في الأسماء ،

---

[1] ينظر : الصورة الأدبية، ص٤٦ – ٧١ ، والتجريد عند ناصف هو انتزاع الصفة والصورة من مساقها .
[2] يقصد بذلك التشبيه المتعدد . ينظر أسرار البلاغة ، ص١٩٢ . وهو نفسه التشبيه الملفوف (ينظر معاهد التنصيص، ٢ / ٨٠) .
[3] الجمعة ، الآية ٥ .
[4] الكهف ، الآية ٤٥ ، الأوقار : الأحمال . بدفيه : بجانبيه .
[5] الكشاف ، ١ / ٨٧ .
[6] البقرة ، الآية ١٨ .

وقد جاءت الاستعارة في الأسماء والصفات والأفعال جميعاً . تقول رأيت ليوثا ، ولقيت صُـما عن الخير ، ودجا الإسلام وأضاء الحق . فإن قلت : هل يُسمى ما في الآية استعارة ؟ قلـتُ : مختلفٌ فيه ، والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة ، لأنَّ المستعار له مذكور ،وهـم المنافقون ، والاستعارة إنما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويُجعل الكـلام خِلـوا عنـه صالحا لأن يُرادَ به المنقول والمنقول إليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام "[1] في حين ذهب في قوله تعالى ﴿ نساؤكم حرث لكم ﴾[2]؛ إلى القول بأنها اسـتعارة إذ قـال بمجازهـا ، وأن النساء شُبِّهنَ بالمحارث تشبيها لما يلقى في أرحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور[3] .

وكأنه أحس أنَّ دخول الكاف لا يحسن في الآية . وهو في ذلك يوافق ما ذهب إليه عبد القاهر من أنه إذا لم يحسن دخول أداة التشبيه على المشبه به في التشبيه البليغ كان لا بأس مـن أن نسميه استعارة [4]. وذهب إلى أن الشطر الثاني مـن الآيـة الكريمـة تمثيـل يقـول : " وقـولـه ﴿ فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾ تمثيل أي فأتوهن كما تأتون أراضيكم التي تريـدون أن تحرثوها من أي جهة شئتم ، لا تحظر عليكم جهة دون جهة ، والمعنـى جـامعوهن مـن أيِّ شق أدرتم بعد أن يكون المأتي واحداً وهو موضع الحرث[5] .

وانتقل إلى قوله تعالى : ﴿ أو كصيبٍ من السماء ... قدير ﴾[6]؛ مشيرا إلى وجه آخر,هـو أنَّ المنافقين لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هـداهم الـذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها ، وطبع بهـا علـى قلـوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه إياهم في الظلمات يقول : " ثم ثنَّى الله سبحانه في شأنهم بتمثيل آخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف ، وإيضاحاً غبَّ إيضاح ، وكما يجب على البليـغ فـي مظـان الإجمال والإيجاز أن يُجمِلَ ويوجز ، فكذلك الواجب عليه في موارد التفصـيل والإشـباع أن يفصِّل ويشبع ... "[7] . ويضيف : " فإن قلت : قد شبَّه المنافق في التمثيـل الأول بالمسـتوقد ناراً وإظهاره الإيمان بالإضاءة ،وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار ، فلماذا شبَّه في التمثيل الثـاني بالصيب والظلمات وبالرعد وبالبرق وبالصواعق ؟ قلت : لقائل أن يقول : شبَّه دين الإسـلام بالصيب ، لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمـات

---

[1] الكشاف ، ١ / ٨٣ .
[2] البقرة ، الآية ٢٢٣ .
[3] الكشاف ، ١ / ٢٦٣ .
[4] ينظر : أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، ص٣٢٨ – ٣٢٩ .
[5] الكشاف ، ١ / ٢٦٣ .
[6] البقرة ، الآيتان ١٩ – ٢٠ .
[7] الكشاف ، ١ / ٨٥ .

وما فيه من الوعد، والوعيد بالرعد والبرق, وما يصيب الكفرة من الإفزاع والبلايا والفتن من جهة أهل الإسلام بالصواعق ، والمعنى أو كمثل ذوي صيب ، والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا "[1] .

ويقول في قوله تعالى : ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء ﴾[2]، " لا بُدَّ من مضاف محذوف تقديره :ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق ، أو ومثل الذين كفروا كبهائم الذي ينعق والمعنى ومثل داعيهم إلى الإيمان في أنهم لا يسمعون من الدعاء إلا جرس النغمة ودوي الصوت من غير إلقاء أذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع إلا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجر لها ، ولا تفقه شيئاً آخر ولا تعي ، كما يفهم العقلاء ويعون ... وقيل معناه ومثلهم في اتباعهم آبائهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التي لا تسمع إلا ظاهر الصوت ، ولا تفهم ما تحته ، فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون أهم على حق أم باطل ؟ " [3].فوجه الشبه بين الطرفين على رأي الزمخشري الأول : أن الصوت لا يتجاوز الأذن، ولا يتغلغل في القلب في كلٍّ منهما. والتشبيه تمثيلي ، وعلى رأيه الآخر مجرد حصول اتباع ظاهري دون إدراك له .

ويميل في الرأي الأول إلى الرأي المنسوب لابن عباس ، الذي شبّه فيه واعظ الكافرين بالراعي ، وشبّه الكافرين الموعوظين بالغنم أو الإبل التي يدعوها الراعي فتسمع الصوت لكنها لا تفهم معناه [4]. وفي قوله تعالى : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً... أو كظلمات في بحر لُجّيّ يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض ... ﴾ [5]؛ يقول الزمخشري: " شبه ما يعمله من لا يعتقد الإيمان ولا يتبع الحقَ من الأعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم تخيب في العاقبة أمله ويلقى خلاف ما قدر ، بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء ، فيأتيه فلا يجد ما رجاه، ويجد زبانية الله عنده يأخذونه فيعتلوه إلى جهنم فيسقونه الحميم والغساق ... شبّه أعمالهم أولاً في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئاً ... ، وشبهها ثانياً في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة

---

[1] الكشاف ، ١ / ٨٦ .
[2] البقرة ، الآية ١٧١ .
[3] الكشاف ، ١ / ٢١٢ .
[4] المحرّر الوجيز ، ابن عطية الأندلسي ، ٢ / ٤٥ .
[5] النور ، الآية ٣٩ .

،وفي خلوها من نور الحق بظلمات متراكمة من لُجِّ البحر والأمواج والسحاب " [1]، فوجه الشبه في الأول طمع شديد في حصول المنفعة تعقبه حسرة وخيبة وندامة ،وفي الثاني الارتباك الشديد والحيرة الكبيرة .

وفي حديث الزمخشري عن أداة التشبيه في التشبيه المركب ينبه على ضرورة عدم التوقف عند الكلمة التي تلي أداة التشبيه ، لأنه لا يتأتى بها التشبيه لكونه مراعى فيه الكيفية المنتزعة من عدة أمور كما يبدو من صورة النظم ففي قوله تعالى : ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناسُ والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغنَ بالأمس كذلك نفصّل الآيات لقوم يتفكرون ﴾ [2]، يقول :كيف ولي الماء فيها الكاف ،وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ، ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره ، ومما هو بيِّنٌ في هذا قول لبيد :

وما الناسُ إلاَّ كالديار وأهلها بها يوم حلّوها وغدوا بلاقعُ

لم يشبه الناس بالديار وإنما شبّه وجودهم في الدنيا ، وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول أهل الديار فيها ووشك نهوضهم وتركها خلاء خاوية "[3].

وفصّل جُمل التشبيه القرآني المركب السابق ،واستقصى الوجوه الكثيرة والأوصاف التي تتم بها الصورة ، يقول : " هذا من التشبيه المركب ، شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الإقبال ، بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه حطاماً بعدما التفَّ وتكاثف وزيَّن الأرض بخضرته ورفيفه ...جعلت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس ، إذا أخذت الثياب الفاخرة من كلِّ لون ، فاكتستها وتزينت بغيرها من ألوان الزين " [4].

وعرض للتشبيه التمثيلي في قوله تعالى : ﴿ مثل الذين حُملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً ﴾ [5]، وفصّل فيه بقوله : شبّه اليهود – في أنهم حملة التوراة وقراؤها وحفاظ ما فيها ثم أنهم غير عاملين بها ولا منتفعين بآياتها وذلك أن فيها نعت رسول الله ،صلى الله عليه وسلم، والبشارة به ولم يؤمنوا به – بالحمار حمل أسفاراً أي كتباً كباراً من

---

[1] الكشاف ، ٣ / ٢٣٧ – ٢٣٨ .
[2] يونس ، الآية ٢٤ .
[3] الكشاف ، ١ / ٨٧ – ٨٨ .
[4] المصدر نفسه ، ٢ / ٣٢٩ ، رفيفه أي بريقه وتلألؤه .
[5] الجمعة ، الآية ٥ .

كتب العلم فهو يمشي بها ولا يدري منها إلا ما يمر بجنبه وظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله وبئس المثل [1].

وكما فصّل في تشبيهات القرآن المركبة كثيرا ، عرض للتشبيهات المفردة في آيات كثيرة، نحو قوله: ﴿ إنها ترمي بشرر كالقصر، كأنه جمالات صُفر ﴾ [2]، يقول : " يشرر وقرئ بشرار كالقصر ، أي كل شرارة كالقصر من القصور في عظمتها ، قيل هو الغليظ من الشجر ، الواحدة قصرة نحو جمرة وجمر وقرئ : كالقصَر بفتحتين : هي أعناق الإبل ، أو أعناق النخل ، نحو شجرة وشجر ... " جمالات " جمع جمال أوجماله جمع جمل ، شبهت بالقصور ثم بالجمال لبيان التشبيه ... " صفر " : سود تضرب إلى الصفرة . وفي شعر عمران بن حطّان الخارجي :

دعتهم بأعلى صوتها ورمتهم ... بمثل الجمال الصُفر نزاعة الشوى

وقال أبو العلاء :

حمراء ساطعة الذوائب في الدُجى ... ترمي بكلّ شرارةٍ كَطِرافِ

فشبهها بالطراف وهو بيت الأدم في العظم والحمرة ،وكأنه قصد بخبثه : أن يزيد على تشبيه القرآن ، ولتبجحه بما سوّل له من توهم الزيادة جاء في صدر بيته بقوله "حمراء " ، توطئة لها، ومناداة عليها ، وتنبيها للسامعين على مكانها ،ولقد عمي : جمع الله له عمى الدارين عن قوله – عز وعلا – : ﴿ كأنه جمالات صفرٌ ﴾ فإنه بمنزلة قوله :كبيت أحمر ؛ وعلى أن في التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيها من جهتين :من جهة العظم ، ومن جهة الطول في الهواء، وفي التشبيه بالجمالات تشبيه من ثلاث جهات :من جهة العظم والطول والصفرة ، فأبعد الله أغرابه في طرافه ،وما نفخ به شدقيه من استطرافه "[3] .

وذهب أحد الباحثين أنه لا مسوّغ لهذه الحملة العنيفة على المعري ، لأنه شبه الشرارة الكبيرة بالخيمة ، والقرآن الكريم شبه الشرر بالجمال، أو بالشجر الغليظ، أو بأعناق الإبل، أو بجذوع النخل ، ويضيف : " وسواء أكان تشبيه المعري جيداً ، أم غير جيد ، فإنه لم يدَّع أنَّ تشبيهه يسامي تشبيه القرآن الكريم ،ولا يستطيع أحدٌ أن يدعي له ذلك " [4]. والذي ينظر إلى تشبيه المعري مفرداً لا يخالف الدكتور الحوفي في دفاعه عن المعري ، لكن الزمخشري نظر إلى هذا التشبيه في سياق جملة من محاولات المعري النسج على منوال الكتاب العزيز في غير

---

[1] الكشاف ، ٤ / ٥١٨ .
[2] المرسلات ، الآيتان ٣٢ – ٣٣ .
[3] الكشاف ، ٤ / ٦٦٨ .
[4] الزمخشري ، د. أحمد الحوفي ، ص٢٠٦ (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٢ ، د. ت) .

موضع من آثاره الأدبية ، يستطيع المتتبع أن يضع يديه عليها بسهولة. إذ اتُّهِمَ المعري بالزندقة من بعض من درسوا شعره ونثره ، ورأى بعض الباحثين أن كتاب " الفصول والغايات " معارضة لكتاب الله عز وجل[١] .

يؤخذ على الزمخشري في تفسيره لبعض تشبيهات القرآن ذكره بعض الإسرائيليات ، إذ لم يسلم من أغلاط كان الأجدر به ألا يقع فيها نحو قوله في تفسير قوله تعالى : ﴿ أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ﴾ [٢]: " إنّ السحاب من السماء يتحدر ، ومنها يأخذ ماءه لا كزعم من يزعم أنه يأخذه من البحر ،ويؤيده قوله تعالى : ﴿ وينزل من السماء من جبال فيها من برد ﴾ [٣]"[٤]. وكأنما غاب عن ذهن الزمخشري أن المراد بقوله تعالى: ﴿ ينزل من السماء ﴾ أي من الغمام لأن كل ما علاك فهو سماء، وأن المقصود بقوله تعالى : ﴿ من جبال فيها برد ﴾ أي من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها أو جمودها[٥] .

مهما يكن، فإنّ الزمخشري أحرز نتائج مهمة في كشف تشبيهات القرآن من خلال وقفاته الجمالية القصيرة عند تفسيرها ، على الرغم من أن منهجه كان يساير ما اتسم به البحث البلاغي على مدى العصور ، وهو النظرة الجزئية إلى العبارة أو العبارتين في النص ، لا تعدوه إلى النص كله .

يرى أحد الباحثين أن الزمخشري لو أخذ بالنظرة الشمولية في تحليل النص القرآني كاملا كان يمكن أن يصل إلى نتائج أكثر قيمة ، وأن يفرد بابا للتشبيه في القرآن أو لأمثال القرآن أو لغير ذلك من مباحث البلاغة القرآنية[٦] .

وأخيراً، فإنّ بحوث التشبيه قد استوت قبل الزمخشري على يدي عبد القاهر، ولذلك لا نجد للزمخشري فيها أثراً كبيراً ، كما نجد له في أبواب البلاغة الأخرى ، إلاّ ما ينفذ إليه ببصيرته الأدبية في تحليل تشبيهات القرآن الكريم ، وتطبيق نظريتي عبد القاهر في المعاني والبيان تطبيقاً واعياً ينم على علم وذوق من خلال تفسيره الكشاف[٧] .

---

(١) ينظر : اتحاف الفضلاء برسائل أبي العلاء ، دراسة وإعداد محمد القاضي ، ص٥ (دار الحديث – القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٩م) .

(٢) البقرة ، الآية ١٩ .

(٣) النور ، الآية ٤٣ .

(٤) الكشاف ، ١ / ٨٩ ، وينظر نفسه ، ٣ / ٢٣٩ .

(٥) تفسير البيضاوي ، ٤ / ١٩٤ .

(٦) منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه ، د. مصطفى الصاوي الجويني ، ص٣٠٠ (دار المعارف – القاهرة ، ط٣ ، د. ت)

(٧) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات القرآنية، د. محمد أبو موسى، ص١٤٠.

(١٢) أبن عطية الأندلسي في " المحرّر الوجيز " :

لم يعن ابن عطية الأندلسي كثيراً بأسرار الإعجاز البياني في القرآن الكريم ويرجع إقلاله من الأسرار البيانية والنكات البلاغية في تفسيره لما يأتي :

أولاً : لم يتعمق مسائل علم البيان ، كغيره من الأندلسيين والمغاربة الذين كانوا أقل شأناً من المشارقة في هذا الفن ، وقد علل ابن خلدون هذا التفوق بقوله : " وبالجملة فالمشارقة على هذا الفن – يقصد علم البيان – أقوم من المغاربة ، وسببه – والله أعلم – أنّه كمالي في العلوم اللسانية ، والصنائع الكمالية توجد في العمران ، والمشرق أوفر عمراناً من المغرب – كما ذكرناه – أو نقول : لعناية العجم ، وهو معظم أهل المشرق ؛ كتفسير الزمخشري وهو كله مبني على هذا الفن ، وهو أصله "[١].

ثانياً : ضيّق دائرة المجاز في القرآن الكريم ، فقد كان يرى أنه لا مجاز في ألفاظ القرآن الكريم التي يمكن حملها على الحقيقة ، وما لا شك فيه أن المجاز بأنواعه يشكل أهم أبواب البلاغة . وكان ابن عطية في ذلك يميل إلى النزعة السلفية التي تقدم أقوال السلف من الصحابة والتابعين على القول بالمجاز ، فكان يرى أنه متى حمل كلام الله تعالى على حقيقته ، فلا يصح لنا أن نحمله على المجاز ، وإن كان المجاز محتملاً في تفسيره . ويتبدى ذلك في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المَسِّ ﴾ [٢] يقول : " وقال ابن عباس رضي الله عنه ، ومجاهد ، وابن جبير ، وقتادة ، والربيع ، والضحاك ، والسُّدي ، وابن زيد : معنى قوله : (لا يقومون) من قبورهم في البعث يوم القيامة ، وقال بعضهم : يُجعل معه شيطان يخنقه ، وقالوا كلهم يبعث كالمجنون عقوبة له وتمقيتاً عند جمع المحشر ، ويُقوّي هذا التأويل المجمع عليه أنّ في قراءة عبدالله بن مسعود : " لا يقومون يوم القيامة إلا كما يقوم المجنون " ، وأما ألفاظ الآية فكانت تحتمل تشبيه حال القائم بحرص وجشع إلى تجارة الربا بقيام المجنون ، لأنّ الطمع والرغبة تستفزه حتى تضطرب أعضاؤه ، وهذا كما يقول لمسرع في مشيه ، مخلط في هيئة حركاته إما من فزع أو غيره : قد جُنّ هذا ، وقد شبه الأعشى ناقته في نشاطها بالجنون في قوله :

وَتُصْبِحُ من غبِّ السُّرى وكَأنّما ... ألَمَّ بها من طائِفِ الجن أوْلَقُ [٣]

---

[١] مقدمة ابن خلدون ، تحقيق د. علي عبد الواحد وافي ، ٣ / ١٢٧٥.
[٢] البقرة ، الآية ٢٧٥ .
[٣] الأولق : ضرب من الجنون .

لكن ما جاءت به قراءة ابن مسعود ، وتظاهرت به أقوال المفسرين يضعف هذا التأويل "[1] .

ومن الشواهد التي أوردها ابن عطية على تشبيهات القرآن المتعددة في تفسيره ما ساقه في إيضاح قوله تعالى : ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلاّ دعاء ونداءً ﴾[2]، يقول : " المراد تشبيه واعظ الكافرين وداعيهم ، والكافرين الموعوظين ، بالراعي الذي ينعق بالغنم أو الإبل فلا تسمع إلاّ دعاءَه ونداءه ، ولا تفقه ما يقول ، هكذا فسّر ابن عباس ، وعكرمة ، والسدي ، وسيبويه ، فذكر تعالى بعض هذه الجملة وبعض هذه ، ودلّ المذكور على المحذوف ، وهذه نهاية الإيجاز "[3] . ذهب ابن عطية إلى أنّ التشبيه وقع بين شيئين وشيئين ، ولكن المذكور شيئان فقط ، فقد حُذف الداعي من الطرف الأول لدلالة المذكور في الطرف الثاني عليه ، وحذف المنعوق به من الطرف الثاني لدلالة الكافرين في الطرف الأول عليه ، وهذه صورة رائعة من صور التشبيه ، يرى فيها ابن عطية غاية البلاغة ونهاية الإيجاز[4] . لأنّ معنى الآية أن هؤلاء الكفرة يمر الدعاء على آذانهم صفحاً يسمعونه ولا يفقهونه، إذ لا ينتفعون بفقهه[5] ، كما لا تنتفع الغنم بدعاء الراعي ، إذ لا تفقه معنى النداء الذي تسمعه ، وعزا ابن عطية هذا الرأي إلى كوكبة من السلف الصالح على رأسهم ابن عباس .

وأورد رأياً يقول أصحابه : " إنما وقع التشبيه براعي الضأن لأنها من أبلد الحيوان ، فهي تحمق راعيها ، وفي المثل : " أحمق من راعي ضأن ثمانين " ، وقد قال دُريد لمالك بن عوف في يوم هوازن " راعي ضأن والله "[6] ؛ يريد أنه جاهل لا يصلح للقيادة ، وأورد رأي ابن زيد في معنى الآية فقال : " ومثل الذين كفروا في اتباعهم آلهتهم وعبادتهم إياها ، كمثل الذي ينعق بما لا يسمع منه شيئاً ، إلاّ دوياً غير مفيد ، يعني بذلك الصدى الذي يستجيب من الجبال "[7] .

ولم يكتفِ ابن عطية بهذين الرأيين ، إنّما أورد رأياً آخر في توجيه هذا التشبيه. يقول : " ووجّه الطبري في الآية معنى آخر وهو أن المراد : ومثل الكافرين في عبادتهم آلهتهم ، كمثل

---

(1) تفسير ابن عطية الأندلسي ، المسمّى المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ٢ / ٤٨٠ .(تحقيق: الرحالي فاروق، وعبدالله بن إبراهيم الأنصاري ، والسيد عبد العال إبراهيم ، والسيد محمد الشافعي العناني ، الدوحة ، ط١ ، ١٩٨٢م)

(2) البقرة ، الآية ١٧١ .

(3) المحرر الوجيز ،ابن عطية ، ٢ / ٦٣-٦٤ .

(4) منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم ، د. عبد الوهاب فايد ، ص٢١١ (الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، ١٩٧٣م).

(5) المحرر الوجيز ، ابن عطية ، ٢/٦٥ .

(6) المصدر نفسه ، ٢ / ٦٤ .

(7) المصدر نفسه ، ٢ / ٦٥ .

الذي ينعق بشيء بعيدٍ منه ، فهو لا يسمع من أجل البعد ، فليس للناعق من ذلك إلا النداء الذي يتبعه وينصبه ، فإنما شبه في هذين التأويلين الكفار بالناعق ، والأصنام بالمنعوق به ، وشُبِّهوا في الصمم والبكم والعمى بمن لا حاسة له ، لمَّا لم ينتفعوا بحواسهم ، ولا صرفوها في إدراك ما ينبغي "[1] .

وتعرض للتشبيه في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسطِ كفيه إلى الماء ليبلغ فاهُ وما هو ببالغه وما دُعاء الكافرين إلا في ضلال ﴾ [2]. فأورد رأي ابن عباس إنَّ " دعوة الحق " هي " لا إله إلا الله " ، وما كان من الشريعة في معناه . ورأى علي بن أبي طالب بأنها التوحيد وأضاف ابن عطية: " ويصح أن يكون معناها : له دعوة العباد بالحق ودعاء غيره من الأوثان باطل ، وقوله : (والذين) يُراد به ما عُبدَ من دونِ الله ، والضمير في يدعون لكفار قريش ونحوهم من العرب ... ومعنى الكلام والذين يدعونهم الكفار في حوائجهم ومنافعهم لا يجيبون بشيء . ثم مَثَّل تعالى مثالا لإجابتهم بالذي يبسط كفيّه نحو الماء ويشير إليه بالإقبال إلى فيه ، فهو لا يبلغ فمَهُ أبداً ، فكذلك إجابة هؤلاء والانتفاع بهم لا يقع "[3] .

وتعرض لتشبيه انفاق الكافرين في قوله تعالى :﴿ مثل ما ينفقون في هذه الحياة كمثل ريحٍ فيها صِرٌّ أصابت حرث قومٍ ظلموا أنفسهم فأهلكتهُ وما ظلمَهم اللهُ ولكن أنفسهم يظلمون ﴾[4] فقال : " المثالُ القائمُ بالنفوس من إنفاقهم الذي يعدونه قربةً وحسبةً وتحنثاً، ومن حبطه يوم القيامة ، وكونه هباءً منثوراً وذهابه ، كالمثال القائم في النفوس من زرع قومٍ نبت واخضرَّ ، وقوي الأمل فيه ، فهبت عليه ريح فيها صِرٌّ مُحرقٌ ، فأهلكته ، فوقع التشبيه بين شيئين وشيئين ، ذكر اللهُ عز وجلَّ أحد الشيئين المشبه بهما ، وليس الذي يوازي المذكور الأول ، وترك ذكر الآخر ، ودل المذكوران على المتروكين ، وهذه غايةُ البلاغة والإيجاز "[5]. فالكافرون لن تغني عنهم نفقاتهم من اللهِ شيئاً ، لأنهم ينفقونها رياءً ليقال عنهم أنَّهم أسخياء كرماء خيِّرون رحماء، فهم يتظاهرون بالرحمة والشفقة، ويدَّعون الإنفاق لوجه الله، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، فكيف يرجون ثوابا أو يخشون عِقابا.

---

(1) المحرر الوجيز ، ٢ / ٦٥ .
(2) الرعد ، الآية ١٤ .
(3) المحرر الوجيز ، ٨ / ١٤٩ – ١٥٠ .
(4) آل عمران ، الآية ١١٧ . والصِّر : البرد .
(5) المحرر الوجيز ، ٣ / ٢٨١ .

وعرض للتشبيه في قوله تعالى : ﴿ ألم تر كيف ضربَ الله مثلا كلمة طيبة كشجرةٍ طيبةٍ أصلها ثابت وفرعها في السماء ۞ تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ۞ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ﴾ [1]. فأورد رأي ابن عباس وغيره أن الكلمة الطيبة هي شهادة " لا إله إلاّ الله " ، مثّلها الله بالشجرة الطيبة وهي النخلة في قول أكثر المتأولين ، فكأن هذه الكلمة أصلها ثابت في قلوب المؤمنين ، وفضلها وما يصدر عنها من الأفعال الزكية ، وما يتحصل عليها من عفو الله ورحمته هو فرعها يصعد إلى السماء من قِبل العبد، ويتنزل منها من قبل الله تبارك وتعالى[2].

وأورد رأياً آخر لبعض المفسرين فقال : " وقالت فرقة : إنما مثّل الله بالشجرة الطيبة المؤمن نفسه ، إذ الكلمة الطيبة لا تقع إلاّ منه ، فكان الكلام : كلمة طيبة قائلها ، وكأن المؤمن ثابت في الأرض ، وأفعاله وأقواله صاعدة ، فهو كشجرة فرعها في السماء ، وما يكون أبداً من المؤمن من الطاعة أو على الكلمة من الفضل والأجر والغفران هو بمثابة الأكل الذي تأتي به كل حين "[3] . وأورد قولاً آخر لابن عباس أيضاً بأنها شجرة في الجنة . وأُلمح إلى الأحاديث النبوية التي تشير إلى أن الشجرة الطيبة المقصودة في الآية هي النخلة ، منها ما روي عن أنس رضي الله عنه ، قال : أُتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بقناع من بسر – والقناع : الطبق من عسب النخل يوضع فيه الطعام والفاكهة – فقال: ﴿مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة ﴾ حتى بلغ ﴿ تؤتى أكلها كل حين بإذن ربِّها ﴾ قال : هي النخلة ،﴿ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة ﴾ حتى بلغ ﴿ ما لها من قرار ﴾ قال : هي الحنظلة . أخرجه الترمذي ، والنسائي ، والبزار ، وابن جرير ، وغيرهم. ومنها ما أخرجه البخاري ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وغيرهم عن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال : كُنّا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أخبروني بشجرة مثل الرجل المسلم ، لا يتحات ورقها ، وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، قال عبدالله رضي الله عنه ، فوقع في نفسي أنها النخلة ، فأردت أن أقول : هي النخلة ، فإذا أنا أصغر القوم ، وثم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، فلما لم يتكلما بشيء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هي النخلة . ورجح ابن عطية أن تكون شجرة غير معينة إلا أنها شجرة تتصف بصفات ، تدخل النخلة وغيرها ، فقد وصفت هذه الشجرة بصفات أربع : الأولى: أنها طيبة ، أي كريمة المنبت . والثانية : رسوخ أصلها ، وهذا يدل

---

(1) إبراهيم ، الآيات ٢٤ – ٢٦ .
(2) المحرر الوجيز ، ٨ / ٢٣٣ .
(3) المصدر نفسه ، ٨ / ٢٣٣ .

على تمكنها ، وعلى أن الرياح لا تقصفها ، وهي لهذا طويلة العمر . والثالثة : عُلوّ فرعها ، وذلك يدل على رسوخ عروقها في الأرض . والرابعة : أن ثمرها دائم مستمر ، وأن عطاءها لا ينقطع ، فهي تعطي جناها في كل وقت أراده الله سبحانه . وكذلك المؤمن يشبهها ، إذ هو في جميع أيامه في عمل . وشبه الله المؤمن أو الكلمة بالشجرة في حال إثمارها ، إذ تلك أفضل أحوالها . وذكر ابن عطية تأويل الطبري في ذلك أن أكل الطلع في الشتاء ، وأن أكل الثمر في كل وقت من أوقات العام هو إتيان أكل وإن فارق النخل . وأضاف : " وإن فرضنا التشبيه بها على الإطلاق وهي إنما تؤتي في وقت دون وقت فالمعنى : كشجرة لا تُخِل بما جعلت له من الإتيان بالأكل في الأوقات المعلومة ، فكذلك هو المؤمن لا يُخل بما يُسِّر له من الأعمال الصالحة، أو الكلمة لا تغيب بركتها والأعمال الصادرة عنها ، بل هي في حفظ النظام كالشجرة الطيبة في حفظ وقتها المعلوم "[1] .

وفسّر ابن عطية الكلمة الخبيثة في التشبيه الثاني بأنها كلمة الكفر وما قاربها من الكلام السوقي في الظلم ونحوه ، وأورد أقوال المفسرين في الشجرة الخبيثة، فذكر أن أكثرهم قال هي شجرة الحنظل ، وأنّ بعضهم قال هي الثوم ، وقال الزجاج : هي الكشوثا [2]. وأورد ابن عطية قول ابن عباس : " هذا مثل ضَرَبَهُ الله تبارك وتعالى ولم يخلق هذه الشجرة على وجه الأرض " . ورأى ابن عطية أن التشبيه وقع بشجرة غير معينة إذا وجدت فيها هذه الأوصاف ، فالخبيث هو أن تكون كالعضاة أو شجرة السموم ونحوها إذا اجتثت ، أي اقتلعت جثتها بنزع الأصول ، وبقيت في غاية الوهن والضعف فتقلبها أقل ريح ، فالكافر يرى أنّ بيده شيئا ، وهو لا يستقر ولا يغني عنه ، كهذه الشجرة التي يُظن بها على بعد – أو للجهل بها – أنها شيء نافع ، وهي خبيثة الجني غير باقية "[3] .

وتعرض لتشبيه المحسوس بالمعقول في قوله تعالى : ﴿ إنها شَجرةٌ تخرجُ في أصل الجحيم

---

(1) المحرر الوجيز ، ٨ / ٢٣٦ .

(2) المصدر نفسه، ٨ / ٢٣٧ . وقال أبو حيان في تفسيره " البحر المحيط " عن هذه الشجرة الخبيثة : هي شجرة لا ورق لها ولا أصل ، يقال : هي كَشُوثٌ ، أي لا اصل ولا ثمر . وقال الشاعر :

وهُم كَشُوثٌ فلا أصلٌ ولا ورقٌ ولا نسيمٌ ولا ظِلٌ ولا ثمرُ

وقال الزمخشري في أساس البلاغة : جعل في السكر الكشوث والكشوثاء هي نبات أصفر مجتثٌ يتعلق بأطراف الشوك .

(3) المحرّر الوجيز ، ٨ / ٢٣٨ .

۞ طلعها كأنه رؤوس الشياطين ﴾ [1] ، فأورد آراء سابقيه ، و ذكر ثلاثة أقوال في تشبيه ثمر شجرة الزقوم تتلخص فيما يأتي :

١. شُبِّه بثمر شجرة معروفة يقال لها : رؤوس الشياطين ، وهي بناحية اليمن ، يقال لها : أستنة ؛ وهي شجرة قبيحة الشكل ، قبيحة منظر الثمرة ، ويقال إنه الشجر الذي يقال له : الصَّوم ؛ وهو شجر على شكل شخص الإنسان ، كريه المنظر جداً ، يقال لثمره: رؤوس الشياطين ، ويعني بالشياطين الحيَّات[٢] .

٢. شُبِّه برؤوس صنف من الحيَّات ، يقال له : الشياطين ، وهي ذات أعراف .

٣. شُبِّه بما استقر في النفوس من كراهة رؤوس الشياطين وقبحها وإن كانت لم تُرَ ، وهذا كما يقال للأشعث المنتفش الشعر الكريه المنظر : هذا وجه شيطان .

ورجح ابن عطية القول الأخير فقال : " إنما شبه بما استقر في النفوس من هيئتها "[٣] . وهذا الذي يميل إليه جُلُّ المفسرين الذين رأوا العرب يشبهون كل قبيح مهول بالشيطان ، ويشبهون كل فائق الحسن بالملك من الملائكة ، وقد أخبر سبحانه وتعالى عن صواحب يوسف بقوله: ﴿ ما هذا بشراً إن هذا إلاّ مَلَكٌ كريمٌ ﴾ [٤].

وتعرض للتشبيه التمثيلي في قوله تعالى : ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً ﴾ [٥]فقال : " الذين حملوا التوراة هم بنو إسرائيل والأحبار المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحُمِّلوا معناه : كُلِّفوا القيام بأوامرها ونواهيها، فهذه كما حمل الإنسان الأمانة ، وليس ذلك من الحمل على الظهر وإن كان مشتقاً منه ، وذكر تعالى أنهم لم يحملوها : أي لم يطيقوا أمرها ويقفوا عند حدِّها حين كذّبوا بمحمد، صلى الله عليه وسلم، والتوراة تنطق بنُبُوته فكأن كل خير لم ينتفع به من حمله ، كمثل حمار عليه أسفارٌ فهي عنده والزبل وغير ذلك بمنزلة واحدة "[٦].

وعرض للتشبيه المقلوب في قوله تعالى على لسان امرأة عمران حين وضعت مريم عليها السلام : ﴿ وليس الذكر كالأنثى ﴾ [٧]، تريد امتناع نذر الأنثى خادماً للكنيسة، إذ كان العرف آنذاك أن يخدم الكنيسة الذكور ، وعلّق ابن عطية عليه بقوله : " بدأت بذكر الأهم في نفسها ،

---

(١) الصافات ، الآيتان ٦٤ – ٦٧ .
(٢) المحرر الوجيز ، ١٢ / ٣٦٦ . ونسان العرب (أستن وصوم) .
(٣) المحرر الوجيز ، ١٢ / ٣٦٧ .
(٤) يوسف ، الآية ٣١ .
(٥) الجمعة ، الآية ٥ .
(٦) المحرر الوجيز ، ١٤ / ٤٤٢ – ٤٤٣ .
(٧) آل عمران ، الآية ٣٦.

وإلا فسياق قصتها يقتضي أن تقول : وليست الأنثى كالذكر ، فتضع حرف النفي مع الشيء الذي عندها وانتفت عنه صفات الكمال للغرض المراد "[1] .

كان ابن عطية يذكر الاستعارة في بعض المواضع باسم التشبيه مما جعل عبد العزيز بدوي يذهب إلى أنه كان لا يفرق بين الاستعارة والتشبيه ، فيطلق اللفظتين مريداً بهما مدلولاً واحداً[2] . مثال ذلك ما جاء في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ﴾ [3]. يقول ابن عطية : " والعروة في الأجرام هي موضع الإمساك وشدُّ الأيدي ، واستمسك : معناه قبض وشدَّ يديه ، والوُثقى : فُعلى من الوثاقة ، وهذه الآية تشبيه ، واختلفت عبارة المفسرين في الشيء المشبه بالعروة ، فقال مجاهد : العروة الإيمان ، وقال السُّدي : الإسلام ، وقال سعيد بن جبير والضحاك : العروة لا إله إلا الله ، وهذه العبارات ترجع إلى معنى واحد "[4] .

وقد ذكر ابن عطية في غير موضع من تفسيره الاستعارة بأسماء مختلفة كالمجاز[5] أو التشبيه[6] أو الاستعارة والتشبيه[7] ، ولعلَ سبب ذلك يَرْجِعُ لكون الاستعارة مبنية على التشبيه ؛ الذي يُعَدُّ الأصل الذي تفرعت عنه ، ولذا فاتهام ابن عطية بالخلط أحيانا بين الاستعارة والتشبيه ، وبالتالي العجز عن فهم أسرار البلاغة ، فيه بعض التحامل على عالم له باع في صنوف شتّى من المعرفة ، خاصة أنه كان يميل إلى تضييق مجال المجاز في القرآن ، ويحرص على التزام الحقيقة ، وكل لفظ يمكن حملها على الحقيقة لا داعي عنده لإخراجها إلى المجاز .

---

(1) المحرر الوجيز ، ٣ / ٨٨ .

(2) ابن عطية المفسر ومكانه من حياة التفسير في الأندلس ، عبد العزيز بدوي ، ص١٥٥ (رسالة ماجستير ، جامعة الإسكندرية ، كلية الآداب ، (١٣٨٠ هـ) نقلاً عن منهج ابن عطية في تفسير القرآن ، عبد الوهاب فايد ، ص٢١٢ .

(3) البقرة ، الآية ٢٥٦ .

(4) المحرر الوجيز ، ٢ / ٣٩٣ .

(5) ينظر : المصدر نفسه ، ١ / ٢٥٤ .

(6) ينظر : المصدر نفسه ، ١ / ٣٩٧ .

(7) ينظر : المصدر نفسه ، ١ / ١٨٠ .

(١٣) فخر الدين الرازي في :

" نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز " و " التفسير الكبير ومفاتيح الغيب "

تحَدَّثَ فخر الدين الرازي (ت٦٠٤هـ) عن قواعد التشبيه تحت مظلة أحكام الدلالات المعنوية ، وتأثر بعبد القاهر الجرجاني في أكثر آرائه ونقل كثيراً من أمثلته . واستلهم كثيراً من تحليلاته، واستطاع أن يستخلص قواعد تنضبط فيها أركان التشبيه وتفريعاتها ، وحدّد أغراض التشبيه التي لم يتعرض لها عبد القاهر ، ولعله بهذا أول بلاغي ضبط أطراف الموضوع وبوَّبه وحدّد أصوله واستجمع شذراته بأسلوب تعليمي يسهل على الدارس تناوله وإدراكه. ذهب الرازي مذهب عبد القاهر في أن التشبيه ليس من المجاز، لأنه معنى من المعاني وله حروف وألفاظ تدل عليه، فإذا صُرِّح بذكر الألفاظ الدالة عليه وضعاً كان الكلام حقيقة، فإذا قلت زيدٌ كالأسدِ لم يكن منك نقل اللفظ عن موضوعه فلا يكون مجازاً[١] .

وقسم الرازي التشبيه باعتبار طرفيه أربعة أقسام :

الأول : هو الذي يكون المشبه والمشبه به محسوسين، كقوله تعالى : ﴿ والقمر قدّرناه منازلَ حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ [٢]، وقوله تعالى : ﴿ وله الجوارِ المنشآتُ في البحر كالأعلام ﴾ [٣]، وقوله تعالى ﴿ كأنهم أعجازُ نخلٍ خاوية ﴾ [٤].

ولم يزد على ذلك ، ولم يفصّل في عرضه لتشبيهات القرآن الكريم تفصيله في تفسيره ، فقد أشار في تفسيره إلى بعض أركان التشبيه إشارة خاطفة . ففي حديثه عن تشبيه القمر بالعرجون القديم يقول : " أي رجع في الدقة إلى حالته التي كان عليها من قبل،" والعرجون " من الانعراج ، يقال لعود العذق عرجون ، والقديم المتقادم الزمان ... "[٥] . فأشار إلى وجه من وجوه الشبه بين القمر والعرجون وهو الدقة ، لكنه لم يُشر إلى وجوه الشبه الأخرى كالانحناء والاصفرار[٦] .

---

(١) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، ص١١٠ .
(٢) يس ، الآية ٣٩ .
(٣) الرحمن ، الآية ٢٤ .
(٤) الحاقة ، الآية ٧ .
(٥) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، م١٣ ، ٢ / ٧٣ (قدم له فضيلة الشيخ خليل محيي الدين الميس ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٥م) .
(٦) ينظر الكشاف للزمخشري ، ٣ / ٢٨٧ .

وتناول تشبيه السفن بالجبال في سورتي الرحمن والشورى ، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ولـه الجوارُ المنشآتُ في البحر كالأعلام ﴾ [1]، يقول " التقدير حينئذٍ : له السفن الجارية في البحر كالأعلام ، فيكون أكثر بياناً للقدرة ، كأنه قال : له السفن التي تجري في البحر كالأعلام ، أي كأنها الجبال ، والجبال لا تجري إلا بقدرة الله تعالى ؛ فالأعلام جمع العلم الذي هو الجبل ، وأما الشراع المرفوع كالعلم الذي هو معروف ، فلا عجب فيه ، وليس العجب فيه، كالعجب في جري الجبل في الماء "[2] .

نرى أن الرازي يؤكد أن المراد بالأعلام الجبال ، وليس الشرع المرفوعة فوق السفن كالرايات الخفاقة فوق سواريها ، لأنّ كون الأعلام بمعنى الجبال أدلُّ على إظهار قدرة الله تعالى من جعلها بمعنى الرايات التي ترفرف في أماكنها العالية [3]. كذلك فإن الاستخدام القرآني لكلمة الأعلام بوضع الجبال في التشبيه القرآني أبلغ ، إذ المراد تشبيه السفن العظيمة بالجبال الشاهقة ، لا مطلق الجبال ، لأنه ليس كلُّ جبلٍ علَماً ، وإنما العلم هو الجبل الطويل المرتفع[4] .

ويؤكد أنَّ المراد بالأعلام هو الجبال، إذ يقول في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام ﴾ [5] ، " اتفقوا على أن المراد بالأعلام الجبال ، قالت الخنساء في مرثية أخيها :

وإن صخراً لتأتّم الهُداة به كأنه علم في رأسه نار

ونقل أن النبي صلى الله عليه وسلم استنشد قصيدتها هذه فلما وصل الراوي إلى هذا البيت قال: قاتلها الله !! ما رضيت بتشبيهها له بالجبل حتى جعلت على رأسه ناراً ، إذا عرفت هذا فنقول : هذه السفن العظيمة التي تكون كالجبال تجري على وجه البحر عند هبوب الرياح على أسرع الوجوه ، وعند سكون هذه الرياح تقف "[6] .

وتناول تشبيه المحسوس بالمحسوس في تفسيره لقوله تعالى يصف هلاك عاد بالريح العاتية ﴿ كأنهم أعجاز نخل خاوية [7]﴾ ، فقال : " أي كأنهم أصول نخل خالية الأجواف، لا شيء فيها

---

(1) الرحمن ، الآية ٢٤ .
(2) تفسير الفخر الرازي ، م١٥ ، ١ / ١٠٤ .
(3) المباحث البيانية في تفسير الفخر الرازي، د. أحمد هنداوي هلال، ص٦٣ (مكتبة وهبة – القاهرة، ط١ ، ١٩٩٩م) . وينظر الفخر الرازي والبلاغة العربية ، د. محمد جلال الذهبي ، ص١٨٤ .
(4) ينظر معاني القرآن ، الفرّاء ، ٣ / ١١٥ .
(5) الشورى ، الآية ٣٢ .
(6) تفسير الفخر الرازي ، م١٤ ، ١ / ١٧٥ – ١٧٦ .
(7) الحاقة ، الآية ٧ .

، والنخل يؤنث ويذكر. قال الله تعالى في موضع آخر : ﴿ كأنهم أعجاز نخل منقعر ﴾[1]... .
ثم يحتمل أنهم شبهوا بالنخيل التي قلعت من أصلها ، وهو إخبار عن عظيم خلقهم، وأجسامهم ، ويحتمل أن يكون به الأصول دون الجذوع ، أي أن الريح قد قطعتهم حتى صاروا قطعاً ضخاماً كأصول النخل ، وأما وصف النخل بالخواء ، فيحتمل أن يكون وصفاً للقوم ؛ فإن الريح كانت تدخل أجوافهم فتصرعهم كالنخل الخاوية الجوف ، ويحتمل أن تكون الخالية بمعنى البالية ، لأنها إذا بليت خلت أجوافها ، فشبهوا بعد أن أهلكوا بالنخيل البالية "[2] .

و أوضح فخر الدين الرازي الصورة التشبيهية لمصارع القوم ، وقد جعلت الريح تضربهم فتصرعهم فيخرون جثثاً هامدة ممزقة الأشلاء كأنهم أصول نخل متآكلة الأجواف .

وتناول التشبيه في قوله تعالى : ﴿ كأنهنّ الياقوت والمرجان ﴾ [3] فذكر أن هذا التشبيه فيه وجهان : أحدهما تشبيه الحور العين بالياقوت واللؤلؤ في صفائهما . والآخر : تشبيه بياض البشرة، وحمرة الوجنة بحسن بياض اللؤلؤ ، وحمرة الياقوت ، فجعل المرجان ههنا اللؤلؤ. يقول : " والمرجان صغار اللؤلؤ ، وهي أشد بياضاً وضياء من الكبار بكثير ، فإن قلنا : إنّ التشبيه لبيان صفائهن ، فنقول : فيه لطيفة هي أن قوله تعالى: ﴿ قاصرات الطرف ﴾[4] إشارة إلى خلوصهن عن القبائح ، وقوله : ﴿ كأنهن الياقوت والمرجان ﴾ إشارة إلى صفائهن في الجنة ، فأول ما بدأ بالعقليات وختم بالحسيات ، كما قلنا : إن التشبيه لبيان مشابهة جسمهن بالياقوت والمرجان في الحمرة والبياض ، فكذلك القول فيه حيث قدم بيان العفة على بيان الحُسن ، ولا يبعد أن يقال : هو مؤكد لما مضى ؛ لأنهن لمَّا كُنَّ قاصرات الطرف ، ممتنعات عن الاجتماع بالإنس والجن ، لم يُطمثن ، فهنَّ كالياقوت الذي يكون في معدنه ، والمرجان المصون في صدفه ، لا يكون قد مَسَّه يدُ لامس "[5] وواضح من السياق أن الرازي يقصد بالعقليات الصفات العقلية كالعفة ،في حين قصد بالحسيات مظاهر الجمال الحسية كالبكارة والبياض والصفاء .

وفي قوله تعالى : ﴿ كأنهن بيضٌ مكنون ﴾[6] الذي يشبه فيه الحور العين بالبيض المكنون، يقول الرازي " المكنون في اللغة المستور يقال : كننت الشيء ، وأكننته ، ومعنى هذا التشبيه : أن ظاهر البياض بياض يشوبه قليل من الصفرة ، فإذا كان مكنوناً ، كان مصوناً عن الغبرة

---

(1) القمر ، الآية ٢٠ .
(2) تفسير الفخر الرازي ، م١٥ ، ٢ / ١٠٦ .
(3) الرحمن ، الآية ٥٨ .
(4) الرحمن ، الآية ٥٦ .
(5) تفسير الفخر الرازي ، م١٥ ، ١ / ١٣١ .
(6) الصافات ، الآية ٤٩ .

والقترة ، فكان هذا اللون في غاية الحسن ، والعرب كانوا يسمون النساء بيضات الخدور "[1] .

الثاني : هو تشبيه المعقول بالمعقول كتشبيه الموجود العاري عن الفوائد بالمعدوم .

الثالث : هو تشبيه المعقول بالمحسوس كقوله تعالى : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ... ﴾ [2].

ذكر الرازي في نهاية الإيجاز هذا التشبيه مثالاً على تشبيه المعقول بالمحسوس ، ولم يزد على ذلك، وفسّره ببيان طرفي التشبيه وإيضاح وجه الشبه في هذا التمثيل الذي ضربه الله مثلاً لأعمال الكافرين التي يحسبونها صالحة نافعة عند الله ، وهي في الحقيقة باطلة لاغية مخيبة لآمالهم يوم القيامة بالسراب . يقول: " وجه التشبيه أن الذي يأتي به الكافر ، إن كان من أفعال البر ، فهو لا يستحق عليه ثواباً ، مع أنه يعتقد أنّ له ثواباً عليه ، وإن كان من أفعال الإثم ، فهو يستحق عليه عقاباً ، مع أنه يعتقد أنه يستحق عليه ثواباً، فكيف كان ، فهو يعتقد أن له ثواباً عند الله تعالى ، فإذا وافى عرصات القيامة ، ولم يجد الثواب ، بل وجد العقاب العظيم ، عظمت حسرته ، وتناهى غمه ، فيشبه حاله حال الظمآن الذي تشتد حاجته إلى الماء ، فإذا شاهد السراب ، تعلق قلبه به ، ويرجو به النجاة ، ويقوى طمعه ، فإذا جاءه وأيس مما كان يرجوه ، فيعظم ذلك عليه "[3] .

ومن الأمثلة على تشبيه المعقول بالمحسوس التي ذكرها ووضحها في تفسيره قوله تعالى : ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ﴾ [4] ، وهو مثل ضربه الله تعالى لأعمال الكافرين، فقد وضح الرازي أنه سبحانه وتعالى لمّا ذكر أنواع عذابهم في الآية المتقدمة بيّن في هذا التشبيه أن أعمالهم جميعها تبطل وتضيع هباء ، ولا ينتفعون بشيء منها يوم القيامة ، ولا يجدون إلا النار تلقاء وجوههم [5]. بذا يكون كشف فائدة هذا التشبيه وثمرته . وقد وضح ضمناً وجه الشبه في هذا التشبيه بقوله : " اعلم أن وجه المشابهة بين هذا المثل وبين هذه الأعمال ، هو أن الريح العاصف تطير الرماد وتفرق أجزاءه ، بحيث لا يبقى لذلك الرماد أثر ولا خبر ، فكذا ههنا ، إنّ كفرهم

---

(1) تفسير الفخر الرازي ، م١٣ ، ١٣٩/٢ .
(2) النور ، الآية ٣٩ .
(3) تفسير الفخر الرازي ، م١٢ ، ٢ / ٨ .
(4) إبراهيم ، الآية ١٨ .
(5) تفسير الفخر الرازي ، م١٠ ، ١ / ١١١ .

أبطل أعمالهم ، وأحبطها بحيث لم يبق من تلك الأعمال معهم خبر ، ولا أثر " [1].

ومن الأمثلة على تشبيه المعقول بالمحسوس ، قوله تعالى : ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ﴾ [2] ،و مثل تشبيه الحجة بالنور الذي هو محسوس بالبصر ، وليس لأحد أن يقول الحجة أيضا مسموعة . ذلك لأننا نقول الحجة لا تفيد من حيث هي أصوات شيئا، بل المفيد هو المعاني العقلية الحاصلة في الذهن . ووجه المشابهة أن القلب مع الشبهة كالبصر مع الظلمة في أن البصر في الظلمة لا يفيد لصاحبه مكنة السعي، ولو سعى فربما دفع إلى الهلاك وتردّى في أهوية [3].

القسم الأخير : هو تشبيه المحسوس بالمعقول ، ذهب الرازي إلى عدم جوازه معللا ذلك بأن " العلوم العقلية مستفادة من الحواس ومنتهية إليها، ولذلك قيل من فقد حسا فقد فقدَ علما. وإذا كان المحسوس أصلا للمعقول فتشبيهه به يكون جعلاً للفرع أصلاً ،وللأصل فرعاً وهو غير جائز . ولذلك لو حاول محاولٌ المبالغة في وصف الشمس بالظهور، والمسك بالطيب فقال: الشمس كالحجة في الظهور، والمسك كخلق فلان في الطيب كان سخيفاً من القول "[4] .عقد فصلاً سمّاه" الاعتذار عمّا جاء في أشعار العرب من تشبيه المحسوس بالمعقول"، ذهب فيه إلى أن الوجه الحسن في هذه التشبيهات أن يقدر المعقول محسوساً، ويجعل كالأصل في ذلك المحسوس على طريق المبالغة وحينئذٍ يصح التشبيه[5] .

وعقد فصلاً سمّاه"تفصيل القول في تشبيه الموجود بالمتخيل الذي لا وجود له في الأعيان" كقوله تعالى : ﴿ طلعها كأنه رؤوس الشياطين ﴾ [6]، وقال:"... وأما تشبيه هذا الطلع برؤوس الشياطين ، ففيه سؤال ، لأنه قيل : إنا ما رأينا رؤوس الشياطين ، فكيف يمكن تشبيه شيء بها ؟ وأجابوا عنه من وجوه :

الأول : وهو الصحيح أن الناس لما اعتقدوا في الملائكة كمال الفضل في الصورة والسيرة ، واعتقدوا في الشياطين نهاية القبح والتشويه في الصورة والسيرة ، فكما حسن التشبيه بالملك عند إرادة تقرير الكمال والفضيلة في قوله : ﴿ إن هذا إلاّ ملكٌ كريم ﴾ [7]. فكذلك وجب أن يحسن التشبيه برؤوس الشياطين في القبح ، وتشويه الخلقة . والحاصل أنّ هذا من باب التشبيه

---

(1) تفسير الفخر الرازي ، م١٠ ، ١ / ١١٢ .
(2) العنكبوت ، الآية ٤١ .
(3) نهاية الإيجاز ، فخر الدين الرازي ، ص٩٣ .
(4) المصدر نفسه ، ص٩٣ .
(5) المصدر نفسه ، ص٩٤ .
(6) الصافات ، الآية ٦٥ .
(7) يوسف ، الآية ٣١ .

لا بالمحسوس ، بل بالمتخيل ، كأنه قيل : إن أقبح الأشياء في الوهم والخيال هو رؤوس الشياطين ، فهذه الشجرة تشبهها في قبح النظر وتشويه الصورة . والذي يؤكد هذا أن العقلاء إذا رأوا شيئاً شديد الاضطراب ، منكر الصورة ، قبيح الخلقة ، قالوا : إنَّه شيطان ، وإذا رأوا شيئاً حسن الصورة والسيرة قالوا : إنه ملك[1] .وأعقب قوله هذا بقولين آخرين. يقول : " والقول الثاني : أن الشياطين حيّات لها رؤوس وأعراف ، وهي من أقبح الحيات ، وبها يضرب المثل في القبح ، والعرب إذا رأت منظراً قبيحاً قالت كأنه شيطان الحماطة ، والحماطة شجرة معينة . والقول الثالث : أن رؤوس الشياطين نبت معروف قبيح الرأس ، والوجه الأول هو الجواب الحق "[2] .

وممّا لا شك فيه أن التشبيه على القولين الأخيرين خارج عما نحن فيه ، لأنه يكون حينئذٍ من تشبيه المحسوس بالمحسوس . ويلاحظ تفضيل الرازي للقول الأول لذا قال عنه : إنه الجواب الصحيح وقال مرة أخرى إنه الجواب الحق ، وقد ذكر هذا الرأي في موضع آخر عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ما هذا بشراً إن هذا إلا ملكٌ كريم ﴾ [3]. فقال : "المشهور أن المقصود منه إثبات الحسن العظيم له – أي ليوسف عليه السلام – قالوا : لأنه تعالى ركز في الطباع ألا حي أحسن من الملك،كما ركز فيها أن لا حيَّ أقبح من الشيطان"[4].

وقد تأثر فخر الدين الرازي بتفسيره للتشبيه القرآني السابق بآراء من سبقه ، فأفاد مما قاله ابن قتيبة، وابن جرير، والزمخشري من حيث المضمون ، كما تأثر بالزمخشري والبيضاوي وأبي السعود الذين نعتوا هذا التشبيه بالتخيلي. يقول الرازي : " والحاصل أن هذا من باب التشبيه لا بالمحسوس، بل بالمتخيل .كأنه قيل : إن أقبح الأشياء في الوهم والخيال هو رؤوس الشياطين "[5] . وكذلك ضرب المثل بهذا التشبيه، وهو يتحدث عن تشبيه الموجود بالمتخيل الذي لا وجود له في الأعيان في كتابه " نهاية الإيجاز " يقول : " مثاله تشبيه الجمر الموقد ببحر من المسك ، موجه الذهب ، وتحقيق القول فيه أن المعدوم إنما يكون متخيلا ، إذا فرض المتخيل مجتمعاً من أمور ، كل واحد منها موجود في الأعيان ، ومتى كان كذلك ، كان التشبيه حسناً لطيفاً ، وهو كتشبيه النرجس بمداهن دُرٍّ حشوهن عقيق، وتشبيه الشقائق بأعلام ياقوت نشرت على رماح من زبرجد ، فإن النشر في الياقوت ممتنع ، ومع ذلك فالتشبيه في غاية الحسن ... وقريب من هذا الجنس قول امرئ القيس :

---

(1) تفسير الفخر الرازي ، م١٣ ، ٢ / ١٤٣ .
(2) المصدر نفسه ، م١٣ ، ٢ / ١٤٣ .
(3) يوسف ، الآية ٣١ .
(4) تفسير الفخر الرازي ، م٩ ، ٢ / ١٣١ .
(5) التفسير الكبير ، م١٣ ، ٢ / ١٤٣ .

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

فإنهم وإن كانوا لم يشاهدوا أنياب الأغوال ، لكنهم لما اعتقدوا فيها غاية الحدة ، حسن التشبيه، وعليه جاء قوله تعالى : ﴿ طلعها كأنّه رؤوس الشياطين ﴾[1] "[2].

يبدو أن فخر الدين الرازي لم يفرق بين الوهمي والخيالي ، إذ تحدث عنهما مترادفين، وغاب عنه أن التشبيه الوهمي لا وجود لأجزائه ، ولا لصورته التركيبية في عالم المحسوس، في حين أن التشبيه الخيالي أجزاؤه موجودة ومعلومة ، لكن صورته التركيبية ليس لها وجود خارجي ، فلا يوجد بحر من المسك موجه الذهب ، وإن كان البحر والمسك والذهب عناصر مادية ملموسة بشكلها الافرادي ، وهذا ما عبر عنه بلاغي متأخر هو الدسوقي ،حين فرّق بين الوهمي والخيالي، فقال : " الوهمي لا وجود لهيئته ، ولا لجميع مادته ، والخيالي مادته موجودة ، دون هيئته "[3] . لذا فالتشبيه الخيالي تشبيه حسي لأن مادته تدرك بإحدى الحواس الخمس الظاهرة ، في حين أنّ التشبيه الوهمي تشبيه عقلي لأن مادته لا تدرك بشيء من الحواس الظاهرة ، مع أنه لو أدرك ، لم يدرك إلا بها[4] .

وعرض الرازي لوجه الشبه العقلي والحسي ، وساق أمثلة عبد القاهر بأسلوب تعليمي[5] . وقسم التشبيه إلى المفرد والمركب . ومن التشبيهات القرآنية المفردة التي أبرز فيها الرازي روعة التصوير الفني في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ إنها ترمي بشرر كالقصر، كأنه جمالاتٌ صفر ﴾ [6] ، إذ كشف من خلال إيضاحه لوجه الشبه عمق المعنى الذي تحويه الصورة التشبيهية التي ربطت الظواهر الدنيوية المحسوسة بأن شبهتها بصورة النار الغيبية لتقريبها من ذهن المتلقي. يقول : " اعلم أنه تعالى شبه الشرر في العظم بالقصر ، وفي اللون والكثرة والتتابع ، وسرعة الحركة بالجمالات الصفر ، وقيل أيضاً ان ابتداء الشرر يعظم فيكون كالقصر ثم يفترق فتكون تلك القطع المتفرقة المتتابعة كالجمالات الصفر، وأعلم أنه نقل عن أبن عباس، أنه قال في تفسير قوله: ﴿ إنها ترمي بشرر كالقصر ﴾ إن هذا التشبيه إنما ورد في بلاد العرب وقصورهم قصيرة السُمك جارية مجرى الخيمة ، فبين تعالى: إنها ترمي بشرر كالقصر ، فلما سمع أبو العلاء المعري بهذا تصرف فيه وشبهه بالخيمة من الأديم وهو قوله :

---

(1) الصافات ، الآية ٦٥ .
(2) نهاية الإيجاز ، ص٦١ – ٦٢ .
(3) شروح التلخيص ؛ حاشية الدسوقي ، ٣ / ٣١٨ .
(4) الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني ، ص١٩٣ .
(5) ينظر : نهاية الإيجاز ، فخر الدين الرازي ، ص٩٨ – ٩٩ .
(6) المرسلات ، الآيتان ٣٢ – ٣٣ .

حمراء ساطعة الذوائب في الدجى ترمي بكل شرارة كطراف

ثم زعم صاحب الكشاف أنه ذكر ذلك معارضة لهذه الآية ، وأقول كان الأولى لصاحب الكشاف ألا يذكر ذلك ، وإذ قد ذكر ، فلا بد لنا من تحقيق الكلام فيه "[1] ويشير الرازي هنا إلى قول الزمخشري الذي سبق ذكره وهو " فشبهها بالطراف وهو بيت الأدم في العظم والحمرة وكأنه قصد بخبثه أن يزيد على تشبيه القرآن "[2] مع أن الرازي تأثر بالزمخشري في مواضع أخرى من تفسيره على الرغم من اختلافهما المذهبي ، فالرازي أشعري والزمخشري معتزلي إلا أن الرازي خالف الزمخشري رأيه السابق واعترض عليه، ورده بروح المتكلم بعد أن وازن بين التشبيه القرآني وقول المعري ، مبرزاً بلاغة التشبيه القرآني. يقول : " تشبيه الشرارة بالطراف يفيد التشبيه في الشكل والعظم ، أما الشكل فمن وجهين :

الأول : أن الشرارة تكون قبل انشعابها كالنقطة من النار ، فإذا انشعبت اتسعت فهي كالنقطة التي تتسع فهي تشبه الخيمة فإن رأسها كالنقطة ثم إنها لا تزال تتسع شيئاً فشيئاً .

الثاني : أن الشرارة كالكرة أو الاسطوانة فهي شديدة الشبه بالخيمة المستديرة ، وأما التشبيه بالخيمة في العظم فالأمر ظاهر "[3] .

وقدح الرازي بقول الزمخشري في هذا التشبيه في اثني عشر وجهاً أبرز من خلالها أنه استكنه الصورة التشبيهية القرآنية بحس بلاغي عميق. يقول : " وأما وجه القدح فيه ، فمن وجوه :

(**الأول**) : أن لون الشرارة أصفر ، يشوبه شيء من السواد ، وهذا المعنى حاصل في الجمالات الصفر ، وغير حاصل في الخيمة من الأديم .

(**الثاني**) : أن الجمالة متحركة ، والخيمة لا تكون متحركة ، فتشبيه الشرار المتحرك بالجمالات المتحركة أولى .

(**الثالث**) : أن الشرارات متتابعة يجيء بعضها خلف البعض ، وهذا المعنى حاصل في الجمالات الصفر ، وغير حاصل في الطراف .

(**الرابع**) : أن القصر مأمن الرجل ، وموضع سلامته ، فتشبيه الشرر بالقصر تنبيه على أنه إنما تولدت آفته من الوضع الذي توقع منه الأمن والسلامة ، وحال الكافر كذلك ؛ فإنه كان يتوقع الخير والسلامة من دينه ، ثم إنه ما ظهرت له آفة ولا محنة إلا من ذلك الدين ، والخيمة ليست مما يتوقع منها الأمن الكلي .

---

(1) تفسير الفخر الرازي ، م١٥ ، ٢ / ٢٧٨ .
(2) الكشاف للزمخشري ، ٤ / ٦٦٨ .
(3) تفسير الفخر الرازي ، م١٥ ، ٢ / ٢٧٨ .

(**الخامس**) : أن العرب كانوا يعتقدون أن كُلَّ الجمال في ملك الجمال ، وتمام النعم إنما يحصل بملك النعم ، ولهذا قال تعالى :﴿ ولكم فيها جَمَالٌ حين تريحون وحين تسرحون ﴾ [1]، فتشبيه الشرر بالجمال السود كالتهكم بهم ، كأنه قيل لهم كنتم تتوقعون من دينكم كرامة ونعمة وجمالاً ، إلا أن ذلك الجمال هو هذه الشرارات التي هي كالجمال ، وهذا المعنى غير حاصل في الطراف .

(**السادس**) : أن الجمال إذا انفردت واختلط بعضها ببعض ، فكل من وقع فيما بين أيديها وأرجلها في ذلك الوقت ، نال بلاء شديداً وألماً عظيماً ، فتشبيه الشرارات بها حال تتابعها يفيد حصول كمال الضرر ، والطراف ليس كذلك .

(**السابع**) : الظاهر أن القصر يكون في المقدار أعظم من الطراف ، والجمالات الصفر تكون أكثر في العدد من الطراف فتشبيه هذه الشرارات بالقصر وبالجمالات يقتضي الزيادة في المقدار وفي العدد، وتشبيهها بالطراف لا يفيد شيئاً من ذلك ولما كان المقصود هو التهويل والتخويف كان التشبيه الأول أولى .

(**الثامن**) : إن التشبيه بالشيئين في إثبات وصفين أقوى في ثبوت ذينك الوصفين ... فالتشبيه بالطراف كالمجمل، والتشبيه بالقصر وبالجمالات الصفر ، كالبيان المفصل المكرر المؤكد ، ولما كان المقصود من هذا البيان هو التهويل والتخويف فكلما كان بيان وجوه العذاب أتم وأبين كان الخوف أشد ، فثبت أن هذا التشبيه أتم .

(**التاسع**) : يجد الإنسان الظل الطيب إذا كان في قصره فوقع تشبيه الشرارة بالقصر والجمالات كأنه قيل له : مركوبك هذه الجمالات ، وظلك في مثل هذا القصر ، وهذا يجري مجرى التهكم بهم ، وهذا المعنى غير حاصل في الطراف .

(**العاشر**) : من المعلوم أن تطاير القصر إلى الهواء أدخل في التعجب من تطاير الخيمة ... لأن النار التي تطير القصر إلى الهواء أقوى من النار التي تطير الطراف في الهواء ، ومعلوم أن المقصود تعظيم أمر النار في الشدة والقوة ، فكان التشبيه بالقصر أولى .

(**الحادي عشر**) : وهو أنَّ سقوط القصر على الإنسان أدخل في الإيلام والايجاع من سقوط الطراف عليه ، فتشبيه تلك الشرارات بالقصر يفيد أن تلك الشرارات إذا ارتفعت في الهواء ثم سقطت على الكافر فإنها تؤلمه إيلاماً شديداً ... بخلاف وقوع الطراف على الإنسان فإنه لا يؤلمه في الغاية .

---

[1] النحل ، الآية ٦ .

(الثاني عشر) : أنَّ الجمال في أكثر الأمور تكون موقرة ، فتشبيه الشرارات بالجمال تنبيه على أن مع كل واحد من تلك الشرارات أنواعاً من البلاء والمحنة لا يُحصي عددها إلاّ الله ، فكأنه قيل تلك الشرارات كالجمالات الموقرة بأنواع المحنة والبلاء ، وهذا المعنى غير حاصل في الطراف فكان التشبيه بالجمالات أتم "[1] .

وجاء الرازي على التشبيه المركب بمثال من تشبيهات القرآن، هو قوله تعالى : ﴿ مثل الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً ﴾ [2]وهو تمثيل منتزع من اجتماع أمور يتقيد بعضها ببعض ، وقد علق عليه بقوله : " تضمن الشبه من اليهود لا لأمر يرجع إلى حقيقة الحمل المطلق بل لأمرين آخرين مع ذلك ، أحدهما : تعديته إلى الأسفار ، والآخر اقتران الجهل بما فيها لأن الغرض توجه الذم إلى من أتعب نفسه في حمل ما يتضمن المنافع العظيمة ثم لا ينتفع به للجهل وهذا المقصود غير حاصل من الحمل المطلق بل من الحمل المشروط بالأمرين الآخرين "[3] .

يبدو أثر عبد القاهر في الرازي جلياً في هذا التعليق[4] . وممَّا رشح به قلم الرازي في هذا التشبيه ما جاء في تفسيره، حيث يقول : " ... وقوله ﴿ ..حُملوا التوراة ﴾ أي حملوا العمل بما فيها ، وكلفوا القيام بها ... وقوله تعالى ﴿ لم يحملوها ﴾ أي لم يؤدوا حقها ، ولم يحملوها حق حملها ... فشبههم ، والتوراة في أيديهم وهم لا يعملون بها بحمار يحمل كتباً ، وليس له من ذلك إلاّ ثقل الحمل من غير انتفاع بما يحمله ، كذلك اليهود ، ليس لهم من كتابهم الاّ وبال الحجة عليهم "[5] .

في هذا التشبيه المركب أوضح الرازي الهيئة المنتزعة من مجموع أجزاء المشبه وهي : اليهود ، والتوراة في أيديهم ، وهم لا يعملون بأحكامها ، والهيئة المنتزعة من مجموع عناصر المشبه به، وهي : الحمار يحمل أسفاراً لا يستفيد من حملها إلاّ عناء ثقل الحمل ، وجهد السير .

وأوضح الرازي أنّ التقييدات كلما كانت أكثر كان التشبيه أوغل في كونه عقلياً، وساق مثالاً لذلك التشبيه القرآني الذي ألحَّ عليه سلفه عبد القاهر كثيراً، وهو قوله تعالى : ﴿ إنما مثل

---

(1) تفسير الفخر الرازي ، م١٥ ، ٢ / ٢٧٨ – ٢٧٩ .
(2) الجمعة ، الآية ٥ .
(3) نهاية الإيجاز ، فخر الدين الرازي ، ص١٠٠ .
(4) ينظر : أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، ص١٠٢ – ١٠٣ .
(5) تفسير الفخر الرازي ، م١٥ ، ٢ / ٦ .

المظلمة مع رعد وبرق[1] . ولم يرجح الرازي أحد القولين ، في حين رأينا سلفه الزمخشري يرجح أنه مركب. يقول : " والصحيح الذي عليه علماء البيان لا يتخطونه أن التمثيلين جميعاً من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة ... وهو القول الفحل ، والمذهب الجزل "[2] .

وعقد الرازي باباً لأغراض التشبيه تحدث في الفصل الأول عن الأغراض العائدة إلى المشبه ، وتحدث في الثاني عن الأغراض العائدة إلى المشبه به . وأوضح أن الأمور العقلية متأخرة عن الإدراكات الحسية في الزمان فلا جرم ألف النفس مع الحسيات أتم من ألفها مع العقليات، فإذا ذكرت المعنى العقلي الجلي ثم عقبته بالتمثيل الحسي فكأنك قد نقلت النفس من المعنى الغريب إلى القريب . وأوضح أيضاً أن المعنى، وإن كان معلوماً يقيناً، إلا أن التمثيل بالمحسوس يفيده زيادة قوة كما أخبر الله تعالى عن إبراهيم صلى الله عليه وسلم في قوله ﴿ بلى ولكن ليطمئن قلبي ﴾ [3].

وأشار إلى أغراض التشبيه العائدة إلى المشبه كتقرير حال المشبه، فقد أوضح أن التشبيه يقرر المعاني في النفس ، ويمكنها في القلب ، لذا فقد أفاض في تفسير تشبيهات القرآن التي من قبيل تشبيه المعقول بالمحسوس. يقول : " إن المقصود من ضرب الأمثال أنّها تؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه ؛ وذلك لأنَّ الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي ، والغائب بالشاهد ، فيتأكد الوقوف على ماهيته ، ويصير الحس مطابقاً للعقل ، وذلك في نهاية الإيضاح ، ألا ترى أنَّ الترغيب إذا وقع في الإيمان مجرداً عن ضرب مثل له ، لم يتأكد وقوعه في القلب ، كما يتأكد وقوعه إذا مثل بالنور ، وإذا زهد في الكفر بمجرد الذكر ، لم يتأكد قبحه في العقول ، كما يتأكد إذا مثل بالظلمة ، وإذا أخبر بضعف أمر من الأمور ، وضرب مثله بنسيج العنكبوت ، كان ذلك أبلغ في تقرير صورته من الإخبار بضعفه مجرداً ؛ ولهذا أكثر الله تعالى في كتابه المبين ، وفي سائر كتبه ، أمثاله "[4] .

يظهر من كلامه هذا عدم تفريقه بين التشبيه والتمثيل ، فقد استخدمهما مترادفين في غير موضع من تفسيره ، وهما عنده بمعنى واحد . يقول في تفسيره قوله تعالى : ﴿ يخرجون

---

(1) تفسير الفخر الرازي ، م١ ، ٢ / ٨٧ .
(2) الكشاف للزمخشري ، ١ / ٨٧ .
(3) البقرة ، الآية ٢٦٠ .
(4) تفسير الفخر الرازي ، م١ ، ٢ / ٨١ .

من الأجداث كأنهم جراد منتشر ﴾ [1]، " مثّلهم بالجراد المنتشر في الكثرة والتموج" [2]، فعبر عن هذا التشبيه المفرد بقوله (مثلهم ...) ، ولكنه حين وازن بين هذا التشبيه والتشبيه في قوله تعالى : ﴿ يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ﴾ [3]قال : " قال الزجاج : الفراش هو الحيوان الذي يتهافت في النار ، وسمي فراشاً لتفرشه وانتشاره ،ثم إنه تعالى شبه الخلق وقت البعث ههنا بالفراش المبثوث " وفي آية أخرى بالجراد المنتشر . أما وجه التشبيه بالفراش ؛ لأن الفراش إذا ثار لم يتجه لجهة واحدة ، بل كل واحدة منها تذهب إلى غير جهة الأخرى ، فدل هذا على أنهم إذا بعثوا ، فزعوا ، واختلفوا في المقاصد على جهات مختلفة غير معلومة ، والمبثوث المفرق يقال : بثه إذا فرّقه ، وأما وجه التشبيه بالجراد فهو في الكثرة "[4] .

وعرض للتشبيه المقلوب أو المعكوس عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إنما البيع مِثْلُ الرِّبا ﴾ [5] يقول : " في الآية سؤال وهو أنه لِمَ لم يقل : إنما الرِّبا مثل البيع ؟ وذلك ؛ لأنَّ حل البيع متفق عليه ، فهم أرادوا أن يقيسوا عليه الربا ، ومن حق القياس أن يُشبه محل الخلاف بمحل الوفاق ، فكان نظم الآية أن يقال : إنما الربا مثل البيع ، فما الحكمة في أن قلب هذه القضية فقال : ﴿ إنما البيع مثلُ الرِّبا ﴾ والجواب : أنّه لم يكن مقصود القوم أن يتمسكوا بنظم القياس ، بل كان غرضهم أن الرّبا والبيع متماثلان من جميع الوجوه المطلوبة "[6] . فعبارة الرازي الأخيرة تدل على أن المُشبه والمُشبه به متماثلان في كلّ الوجوه المطلوبة ، وإن كان ذلك من وجهة نظر آكلي الرِّبا ، ومستحليه ، ووجه الشبه بينهما مفرد عقلي وهو الحل ، فقد ذهبوا إلى أن الربا في باب الحلال أدخل من البيع مبالغة منهم في تحليله .

وعقد في " نهاية الإيجاز " فصلاً في المثل وعرفه بأنه تشبيه سائر ، وفسر السائر بأنه يكثر استعماله على معنى أن الثاني بمنزلة الأول . وأوضح أنّ الأمثال لا تُغيَّر لأنَّ ذكرها على تقدير أن يقال في الواقعة المعينة أنها بمنزلة من قيل له هذا القول فالأمثال كلُّها حكايات لا تغير [7] .

وبيَّن مكانة المثل وأهمية وروده في القرآن الكريم في غير موضع من تفسيره، وأوضح أن أمثال القرآن جاءت لرسم صور بلاغية مؤثرة في النفوس ، ولأهداف بيانية عميقة الأثر ،

---

(1) القمر ، الآية ٧ .
(2) تفسير الفخر الرازي ، م١٥ ، ١ / ٣٥ .
(3) القارعة ، الآية ٤ .
(4) تفسير الفخر الرازي ، م١٦ ، ٢ / ٧٢ – ٧٣ .
(5) البقرة ، الآية ٢٧٥ .
(6) تفسير الفخر الرازي ، م٤ ، ١ / ٩٩ – ١٠٠ .
(7) نهاية الإيجاز ، فخر الدين الرازي ، ص١١٤ .

بعيدة الخطر ليصير الحس مطابقاً للعقل ، وقد نقلنا من قوله في موضع سابق ما يوضح فيه غرض ضرب المثل[1] ؛ الذي حدده بقوله : " المثل في أصل كلامهم المثل وهو النظير . ويقال مثل ، ومثل ومثيل كشبه وشبه ، وشبيه ، ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ، وشرطه أن يكون قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه "[2] .

وامتاز الرازي في تفسيره البياني لتشبيهات القرآن ، بتركيزه على تفاصيل الأمثال ، إذ كان يسعى إلى تقريب صورة المثل إلى ذهن القارئ ، فيعرض لغير وجه وتأويل وهو يوضح الصورة التشبيهية في المثل ، ففي قوله تعالى : ﴿ مثل ما ينفقون في هذه الحياة كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته ، وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون ﴾ [3]، يقول : " المثل الشبه الذي يصير كالعلم لكثرة استعماله فيما يشبه به ، وحاصل الكلام : أن كفرهم يبطل ثواب نفقتهم ، كما أن الريح الباردة تهلك الزرع . فإن قيل على هذا التقدير : مثل انفاقهم هو الحرث الذي هلك ، فكيف شبه الانفاق بالريح الباردة المهلكة ؟ قلنا : المثل قسمان : منه ما حصلت فيه المشابهة بين ما هو المقصود من الجملتين، وإن لم تحصل المشابهة بين أجزاء الجملتين ، وهذا هو المسمى بالتشبيه المركب ، ومنه ما حصلت المشابهة فيه بين المقصود من الجملتين ، وبين أجزاء كل واحدة منهما ، فإذا جعلنا هذا المثل من القسم الأول زال السؤال ، وإن جعلناه من القسم الثاني ، ففيه وجوه :

- الأول : أن يكون التقدير : مثل الكفر في إهلاك ما ينفقون ، كمثل الريح المهلكة للحرث .
- الثاني : مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح ، وهو الحرث .
- الثالث : لعل الإشارة في قوله : ﴿ مثل ما ينفقون ﴾ إلى ما انفقوا في إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمع العساكر عليه ، وكان هذا الانفاق مهلكاً بجميع ما أتوا به من أعمال الخير والبر ، وحينئذٍ يستقيم التشبيه من غير حاجة إلى إضمار وتقديم وتأخير ، والتقدير : مثل ما ينفقون في كونه مبطلاً لما أتوا به قبل ذلك من أعمال البر كمثل ريح فيه صر في كونها مبطلة للحرث "[4] .

وسلك الرازي نهجاً توسع فيه في تفصيل الصورة التشبيهية في كل مثل قرآني ، بغية الوصول إلى كشف أسراره البلاغية وبيان إعجازه للمتلقي ، ففي تفسيره للتشبيه القرآني في

---

(1) ينظر هذه الدراسة ، ص١٩٢ .
(2) تفسير الفخر الرازي ، م١ ، ٢ / ٨١ .
(3) آل عمران ، الآية ١١٧ .
(4) تفسير الفخر الرازي ، م٤ ، ٢ / ٢١٢ – ٢١٣ .

قوله تعالى : ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، ويضرب الله الأمثالَ للناس لعلهم يتذكرون ﴾ [1]، يقول : " اعلم أنه تعالى ذكر شجرة موصوفة بصفات أربعة ثم شبه الكلمة الطيبة بها، ***الصفة الأولى*** لتلك الشجرة كونها طيبة ، ذلك يحتمل أموراً : أحدهما : كونها طيبة المنظر والصورة والشكل . وثانيهما كونها طيبة الرائحة . وثالثهما كونها طيبة الثمرة ، يعني أن الفواكه المتولدة فيها تكون لذيذة مستطابة . ورابعها : كونها طيبة بحسب المنفعة ، يعني أنها كما يستلذ بأكلها ، فكذلك يعظم الانتفاع بها . ويجب حمل قوله : ﴿ شجرة طيبة ﴾ على مجموع هذه الوجوه ، لأن اجتماعها يحصل كمال الطيب .

الصفة الثانية : قوله (أصلها ثابت) : أي راسخ ، باق ، آمن من الانقلاع والانقطاع والزوال والفناء ، وذلك لأنَّ الشيء الطيب إذا كان في معرض الانقراض والانقضاء ، فهو وإن كان يحصل الفرح بسبب وجدانه إلا أنه يعظم الحزن بسبب الخوف من زواله وانقضائه ، أما إذا علم من حاله إنه باق دائم لا يزول ، ولا ينقضي فإنه يعظم الفرح بوجدانه ، ويكمل السرور بسبب الفوز به .

الصفة الثالثة : قوله ﴿ وفرعها في السماء ﴾ وهذا الوصف يدل على كمال حال تلك الشجرة من وجهين :

الأول : إنَّ ارتفاع الأغصان وقوتها في التصاعد يدل على ثبات الأصل ورسوخ العروق .

الثاني : أنها متى كانت متصاعدة مرتفعة كانت بعيدة عن عفونات الأرض ، وقاذورات الأبنية، وكانت ثمراتها نقية طاهرة طيبة عن جميع الشوائب .

الصفة الرابعة : قوله تعالى : ﴿ تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ﴾ . والمراد : أن الشجرة المذكورة ، إذا كانت موصوفة بهذه الصفة وهي أن ثمراتها لا بد أن تكون حاضرة دائمة في كل الأوقات ، ولا تكون مثل الأشجار التي يكون ثمارها حاضراً في بعض الأوقات دون بعض "[2] .

وبيّن فائدة ضرب الأمثال في تفسيره للفاصلة القرآنية في التشبيه السابق، فقال: " إنَّ في ضرب الأمثال زيادة إفهام وتذكير وتصوير للمعاني ، وذلك لأنّ المعاني العقلية المحضة لا يقبلها الحس والخيال والوهم ، فإذا ذكر ما يساويها من المحسوسات ترك الحس والخيال

---

[1] إبراهيم ، ٢٤ – ٢٥ .

[2] تفسير الفخر الرازي ، م١٠ ، ١ / ١٢٤ .

والوهم تلك المنازعة ، وانطبق المعقول على المحسوس وحصل به الفهم التام والوصول إلى المطلوب " [1].

هكذا حظيت تشبيهات القرآن بقسط من اهتمام فخر الدين الرازي على الرغم من أنه لم يحفل بالمباحث البلاغية كثيراً ، وكان يمر بها سريعاً لأنّ اهتمامه الأعم والأشمل كان منصباً نحو التفسير خاصة في تفسيره المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب .

---

[1] تفسير الفخر الرازي ، م١٠ ، ١ / ١٢٥ .

(١٤) أبو يعقوب السَّكاكي في " مفتاح العلوم ":

لقيت البلاغة عند السكاكي (ت ٦٢٦هـ) وضعها الأخير من التجديد والتقسيم والتبويب ، فقد قسم في كتابه (مفتاح العلوم) مباحث علم البيان ثلاثة أصول ،هي : التشبيه والمجاز والكناية . وتكلم في الأصل الأول على حد التشبيه وطرفيه ووجه الشبه والغرض من التشبيه وأحواله من حيث القرب والبعد،والقبول والرد . وتحدث عن الطرفين من حيث المحسوس والمعقول ، وقسم وجه الشبه إلى حسي أو عقلي ، وإلى مفرد أو متعدد أو مركب .

وقد امتاز بحث السكاكي للتشبيه بالتقسيم والتفريع والترتيب المنطقي ، واستخدامه لمصطلحات الفلاسفة والمتكلمين الذهنية الجافة .لذا خلت دراسته من الحس الفني والقيم الجمالية . إذ كان المثال في النهاية مجرد شاهد على القاعدة ومثال لها ،وهو في الغالب من صنع السكاكي ،وإن كان هنا بالذات قد خالف عادته ، فاستشهد بعدد من تشبيهات القرآن الكريم وبعض الأبيات الشعرية أو الأقوال النثرية المختارة ، لكن دون تحليل فني أو محاولة لاستكناه أسرار النص الفنية .

ذهب السكاكي إلى أن التمثيل ما كان وجه الشبه فيه عقلياً غير حقيقي ، ومنتزعاً من أمرين أومن عدة أمور ،وما عدا ذلك يكون تشبيها صريحاً . بذا يكون التمثيل عنده أخص من التمثيل عند عبد القاهر ، لأن عبد القاهر يرى أنَّه ما كان وجه الشبه فيه عقلياً غير حقيقي وكان مفرداً، والسكاكي لا يرى مثل هذا تمثيلاً ، بل يخصه بالمركبات العقلية يقول : " واعلم أن التشبيه متى كان وجهه وصفاً غير حقيقي ،وكان منتزعاً من عدة أمور ، خُصَّ باسم التمثيل "[١] .

لعلَّهُ نظر إلى عناية عبد القاهر بالمركبات العقلية ، واهتمامه بها ، وتصريحه بأنها هي الأولى أن تسمى تمثيلاً ،وذلك حيث يقول : " وعلى الجملة فينبغي أن تعلم أن المثل الحقيقي والتشبيه الذي هو الأولى بأن يسمى تمثيلاً لبعده عن التشبيه الظاهر الصريح ما تجده لا يحصل لك إلاَّ من جملة من الكلام أو جملتين أو أكثر ، حتى إن التشبيه كلما كان أوغل في كونه عقلياً محضاً كانت الحاجة إلى الجملة أكثر .. "[٢] .

من التشبيهات المركبة التي عرض لها السكاكي التمثيل في قوله تعالى ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في

---

[١] مفتاح العلوم ، ص١٤٨ . (المطبعة الميمنية بمصر) .
[٢] أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، ص١٠٨ .

ظلمات لا يبصـــرون ﴾[1] ؛ فأوضح أنّ وجه تشبيه المنافقين بالذي شُبِّهوا به في الآية ،هـــو رفع الطمع إلى تسني مطلوب بسبب مباشرة أسبابه القريبة ، مع تعقب الحرمـــان والخيبـــة ، لانقلاب الأسباب ، وأنه أمر توهمي كما ترى منتزع من أمور جمةٍ[2] .

ومن أمثلته على التشبيه الذي خُصَّ باسم التمثيل لأن وجه الشبه فيه غير حقيقي ، ومنتزع من عدة أمور، قوله عز وجل : ﴿ أو كصيب من السماء فيه ظلمـــات ورعـــد وبـــرق يجعلـــون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت ﴾ [3]، وتابع الزمخشري فرأى أن أصل الـــنظم القرآني : أو كمثل ذوي صيب[4] ، فحذف ذوي لدلالة يجعلون أصابعهم فـــي آذانهـــم عليـــه وحذف مثل لما دل عليه عطفه على قوله كمثل الذي استوقد ناراً إذ لا يخفى أنّ التشبيه لـــيس بين مثل المستوقدين وهو صفتهم العجيبة الشأن و ذوات ذوي الصيب ،بل التشبيه بين صـــفة أولئك و صفة هؤلاء. ونظيره قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كمـــا قـــال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله ﴾[5]؛ فأوقع التشبيه بـــين كـــون الحـــواريين أنصار اللهِ و قول عيسى للحواريين من أنصاري إلى الله وإنما المراد كونوا أنصـــار اللهِ مثـــل كون الحواريين أنصاره وقت قول عيسى من أنصاري[6] .

ورأى أنّ قولـــه تعالى : ﴿ أو كصيب من السماء ... ﴾ تمثيل ، ووجه التشبيه بين المشبه بهم والمنافقين هو أنهم في المقام المطمع في حصول المطالب ونجح المآرب لا يحظون إلاّ بضـــد المطموع فيه من مجرد مقاساة الأهوال[7] .

كذلك جاء بتمثيل قرآني آخر كمثال على التشبيه المركب،هو قوله تعالى : ﴿ مثل الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً ﴾ [8]؛ وأوضح وجـــه الشـــبه بـــين طرفيـــه بقولـــه :" وجه التشبيه بين أحبار اليهود الذين كلفوا العمل بما في التوراة ثم لم يعملـــوا بـــذلك وبين الحمار الحامل للأسفار هو حرمان الانتفاع بما هو أبلغ شيء بالانتفـــاع بـــه مـــع الكـــد والتعب في استصحابه وليس بمشتبه كونه عائداً إلى التوهم ومركباً من عدة معان "[9] .

---

(1) البقرة ، الآية ١٧ .
(2) مفتاح العلوم ، ص١٤٨ .
(3) البقرة ، الآية ١٩ .
(4) الكشاف للزمخشري، ١ / ٨٧ .
(5) الصف ، الآية ١٤ .
(6) مفتاح العلوم ، ص١٤٨ .
(7) المصدر السابق ، ص١٤٩ .
(8) الجمعة ، الآية ٥ .
(9) مفتاح العلوم ، ص١٤٩ .

ومثّل للتشبيه المركب العقلي بقوله تعالى : ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس ﴾ [1]، ورأى أنه تشبيه مقبول لأن الشبه فيه صحيح ،وهو بعيد غريب لأنه مركب عقلي من أمور كثيرة[2] .

وذهب السكاكي مذهب الزمخشري في أن الخيط الأبيض والخيط الأسود في قوله تعالى :﴿ حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾ يعدان من باب التشبيه البليغ حيث بينا بقوله من الفجر، ولولا ذلك لكانا من باب الاستعارة[3]. قال الزمخشري : " لأن من شرط المستعار أن يدل عليه الحال أو الكلام، ولو لم يذكر ﴿ من الفجر ﴾ لم يُعلم أن الخيطين مستعاران، فزيد ﴿ من الفجر ﴾ فكان تشبيها بليغا وخرج من أن يكون استعارة "[4] ، وقد أوضح الرسول ،صلى الله عليه وسلم، لعدي بن حاتم الذي عمد إلى عقالين أبيض وأسود ، فجعلهما تحت وسادته أن المقصود بياض النهار وسواد الليل ، وليس تبين العقال الأبيض من الأسود [5].

وذهب السكاكي إلى أن التشبيه التمثيلي متى فشا استعماله على سبيل الاستعارة لا غير سمي مثلا[6] .

هكذا استمد السكاكي مادته العلمية من كلام عبد القاهر، والزمخشري، واستشهد بشواهدهما ، لكنَّه عجز عن المحافظة على الروح الأدبية لبلاغتهما .كما أنه استمد بعض الأصول من منهج فخر الدين الرازي في نهاية الإيجاز ، فكان " مفتاح العلوم " تلخيص ما لخصه الرازي من بحوث عبد القاهر. ويمكن أن نقول إن دراسة السكاكي التقعيدية للتشبيه التي استفادت من الدراسات السابقة لها تُعَدُّ آخر محطة تنظيرية للتشبيه لم يتجاوزها البلاغيون بعده إلا َفي القليل من القضايا الجزئية التي لا تخرج عن الإطار العام للقواعد والقوانين البلاغية التي حددها هو في " مفتاح العلوم " .

---

[1] يونس ، الآية ٢٤ .
[2] مفتاح العلوم ، ص١٥٠ .
[3] المصدر نفسه ، ص١٥١ .
[4] الكشاف ، ١ / ٢٢٩ .
[5] المصدر نفسه ، ١ / ٢٢٩ – ٢٣٠ .
[6] مفتاح العلوم ، ص١٤٩ .

(١٥) ضياء الدين بن الأثير في" المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر":

افرد ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ) باباً واسعاً للتشبيه ،لكنه لم يزد على سابقيه تقسيماً وتفريعاً، ثم ذكر أمثلة لذلك من تشبيهات القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف .

عرَّف التشبيه قائلاً : " وحده أن يثبت للمشبه حكم من أحكام المشبه به ، ويقال : هو الدلالة على اشتراك شيئين في معنى من المعاني ،وأنَّ أحدهما يسد مسد الآخر ، وينوب منابه سواء كان ذلك حقيقة أو مجازا... وأعلم أن التشبيه يكون بأداته كالكاف ،وكأن ، وما جرى هذا المجرى ، ويكون بغير أداته ، وهو أن يجعل الكلام خلواً منها صالحاً لتقديرها فيه "[١] . وممَّا يحمد له في هذا التعريف أنه أثبت أن تشبيه شيء بشيء إما أن يكون على الحقيقة ، أو على المجاز ، فما كان على الحقيقة فهو كتشبيه شيء أبيض بآخر أبيض مثله ، أو تشبيه شيء أسود بآخر مثله ، لذا فإنه يقول في مثل هذا التشبيه : " وليس هذا من غرضنا "[٢].

نعى على البلاغيين السابقين الذين فرّقوا بين التشبيه والتمثيل ،وعلى رأسهم عبد القاهر ، فقال : " وجدت علماء البيان قد فرّقوا بين التشبيه والتمثيل ... وهما شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع يقال : شبهت هذا الشيء بهذا كما يقال :مثلته به ، ولا أعلم كيف خفي ذلك على أولئك العلماء مع ظهوره ووضوحه "[٣].

وعدّ التشبيه أحد أقسام المجاز، وهي التوسع في الكلام، والتشبيه والاستعارة[٤] . وأكد أن التشبيه لا يعمد إليه إلاّ لضرب من المبالغة ، لأنه يأتي تارة في معرض المدح ،وتارة في معرض الذم ،وتارة في غير معرض مدح ولا ذم ، وإنما يأتي قصداً للإبانة والإيضاح ، ولا يكون تشبيه أصغر بأكبر[٥] . بذلك يكون قد وضع وناقش مقولة: " إن من شرط بلاغة التشبيه أن يشبه الشيء بما هو أكبر منه وأعظم " ، وأوضح أن الإطلاق في هذه العبارة غير سديد وذلك عن طريق الموازنة بين تشبيهات البشر وتشبيهات القرآن الكريم. يقول : " ومن هاهنا غلط بعض الكتاب من أهل مصر في ذكر حصن من حصون الجبال مشبهاً له . فقال : " هامة عليها من الغمامة عمامة ، وأنملة خضبها الأصيل ، فكان الهلال منها قلامه " . هذا الكاتب حفظ شيئاً ، وغابت عنه أشياء !! فإنه أخطأ في قوله " أنملة " وأي مقدار للأنملة

---

(١) الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور ، ص ٩٠ – ٩١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص٩٠ .
(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ١ / ٣٧٣ . (تحقيق د.أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة ، دار نهضة مصر ، ط٢ ، د. ت) .
(٤) المصدر نفسه ، ١ / ٣٩٩ .
(٥) المصدر نفسه ، ٢ / ١٢٦ .

بالنسبة إلى تشبيه حصن على رأس جبل ؟ وأصاب في المناسبة بين ذكر الأنملة والقلامة ، وتشبيهها بالهلال . فإن قيل : إنَّ هذا الكاتب تأسى فيما ذكره بكلام الله تعالى حيث قال : ﴿ الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ﴾[1]؛ فمثل نوره بطاقة فيها دُبالة .

وقال الله تعالى : ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ [2]، فمثل الهلال بأصل عذق النخلة . فالجواب عن ذلك أني أقول : أما تمثيل نور الله تعالى بمشكاة فيها مصباح فإن هذا مثال ضربه للنبي صلى الله عليه وسلم ، ويدل عليه أنه قال : " يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية " .

وإذا نظرت إلى هذا الموضع وجدته تشبيهاً لطيفاً عجيباً ، وذاك أن قلب النبي صلى الله عليه وسلم ، وما القي فيه من النور ، وما هو عليه من الصفة الشفافة كالزجاجة التي كأنها كوكب بصفائها وإضاءتها .

وأما الشجرة المباركة التي لا شرقية ولا غربية فإنها عبارة عن ذات النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه من أرض الحجاز التي لا تميل إلى الشرق ، ولا إلى الغرب . وأما زيت هذه الزجاجة فإنه مضيء من غير أن تمسه نار ، والمراد بذلك أن فِطرته فطرة صافية من الأكدار ، منيرة من قبل مصافحة الأنوار . فهذا هو المراد بالتشبيه الذي ورد في الآية .

وأما الآية الأخرى فإنه شبه الهلال فيها بالعرجون القديم ، وذلك في هيئة تحوله واستدارته ، لا في مقداره ، فإن مقدار الهلال عظيم ،ولا نسبة بالعرجون إليه ، لكنه في مرأى النظر كالعرجون هيئة لا مقداراً .

وأما هذا الكاتب فإن تشبيهه ليس على هذا النسق ، لأنه شبه فيه صورة الحِصن بأنملة في المقدار ، لا في الهيئة والشكل .وهذا غير حسن ولا مناسب ،وإنما ألقاه فيه أنه قصد الهلال والقلامة مع ذكر الأنملة فأخطأ من جهةٍ ، وأصاب من جهةٍ ، لكن خطؤه غطى على صوابه "[3] .

عرض لتشبيهين قرآنيين مفصلاً وموضحاً لطرفي التشبيه ووجه الشبه ، مبرزاً الحسن والدقة والمناسبة ،ومواطن اللطف والعجب التي تفوقا بها على تشبيهات بعض الكتاب .

وعرض للتشبيه المظهر الأداة في قوله تعالى : ﴿ وله الجوار المنشآت في البحر

---

(1) النور ، الآية ٣٥ .
(2) يس ، الآية ٣٩ .
(3) المثل السائر ، ٢ / ص١٢٥ – ١٢٦

كالأعلام ﴾ [1] ويرى أنه وارد على طريق البلاغة ، لأن شيئاً حسناً شبه بشيء أحسن منه . يقول : " وهذا تشبيه كبير بما هو أكبر منه ؛ لأنَّ خلق السُّفن البحرية كبيرٌ ، وخلق الجبال أكبر منه " [2]. فابن الأثير يرى أن من تمام بلاغة التشبيه إن شُبِّهَ قبيح بقبيح أن يكون المشبه به أقبح . وإنْ قصدَ البيان والإيضاح فينبغي أن يكون المشبه به أبين وأوضح[3] ، لذلك نراه حين يتكلم على فائدة التشبيه يقول : " وأما فائدة التشبيه من الكلام فهي أنك إذا مثلت الشيء بالشيء فإنما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه ، وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه أو التنفير منه "[4] . فهو يرى أن جمال التشبيه ينبع مما يثيره من خيال وما ينجم عن ذلك من انفعالات رغبة أو رهبة " .

ووقف عند أقسام التشبيه ، فوجد أن تشبيه الشيئين أحدهما بالآخر لا يخلو من أربعة أقسام : تشبيه معنى بمعنى ، وتشبيه صورة بصورة ، وتشبيه معنى بصورة ، وتشبيه صورة بمعنى . وساق للقسمين الثاني والثالث تشبيهين قرآنيين ، فمثل لتشبيه صورة بصورة قوله تعالى : ﴿ وعندهم قاصرات الطرفِ عينٌ كأنهُنَّ بيضٌ مكنون ﴾ [5]، ومثل لتشبيه معنى بصورة قوله تعالى : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسرابٍ بقيعة ﴾ [6]، وقال إنَّ هذا القسم أبلغ الأقسام الأربعة لتمثيله المعاني الموهومة بالصور المشاهدة [7]، إذ مثل لما يدرك بالعقل وهو الأعمال بما يدرك بالحس وهو السراب . فألحَّ ابن الأثير على الجانب البصري في الصورة التشبيهية ، وأطلق مصطلح " صورة " على كل مرئي ومشاهد من التشبيهات .

وقسم التشبيه بعد ذلك أقساماً ، كما فعل البلاغيون ، سواء من حيث الطرفين – أي المشبه والمشبه به – أم من حيث الأداة ، أم من حيث وجه الشبه ، وتكلم على التشبيه المقلوب، ووسمه بأنه المسمى بغلبة الفروع على الأصول ، وسماه أيضاً بتشبيه الطردِ والعكس[8] .

ثم قسم التشبيه عامة أنواعاً أربعة : تشبيه مفرد بمفرد ، ومركب بمركب ، ومفرد بمركب ، ومركب بمفرد . ومثل لتشبيه المركب بالمركب الذي جاء مظهر الأداة بقوله تعالى : ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى

---

(1) الرحمن ، الآية ٢٤ .
(2) المثل السائر ، ٢ / ١٢٧ .
(3) المصدر نفسه ، ٢ / ١٢٧ .
(4) المصدر نفسه ، ٢ / ١٢٣ .
(5) الصافات ، الآيتان ٤٨ – ٤٩ .
(6) النور ، الآية ٣٩ .
(7) المثل السائر ، ، ٢ / ١٢٨ .
(8) ينظر المثل السائر ، ١ / ٤٢١ والجامع الكبير ص٩٧ .

إذا أخذت الأرض زُخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس ﴾ [1]، ورأى أن هذا النمط من تشبيه صورة بصورة من أبدع ما يجيء في التشبيه المركب ، وعلق عليه قائلاً " فشبهت حال الدنيا في سرعة زوالها وانقراض نعيمها بعد الإقبال بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه حُطاماً بعد ما التف وتكاثف وزين الأرض "[2] . وجاء بتشبيه قرآني آخر مثالاً على تشبيه صورة بصورة هو قوله تعالى : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلماتٍ لا يبصرون ﴾ [3]، وعلق عليه قائلاً : " تقديره إنَّ مثل هؤلاء المنافقين كمثل رجل أوقد ناراً في ليلةٍ مظلمةٍ بمفازةٍ ، فاستضاء بها ما حوله ، فاتقى ما يخاف وأمن ، فبينا هو كذلك إذ طفئت ناره فبقي مظلماً خائفاً ، وكذلك المنافق إذا أظهر كلمة الإيمان استتار بها ، واعتز بعزها ، وأمن على نفسه وماله وولده ، فإذا مات عاد إلى الخوف ، وبقي في العذاب والنقمة "[4] .

فقد أوضح صورة المشبه به ولم يقف على إيضاح صورة المشبه وهم المنافقون ، لوضوحها في سياق النص القرآني ، فهم كفار طُبع على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ، يخادعون الله والذين آمنوا ، فإذا لقوا المؤمنين أظهروا الإيمان ، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا : إنَّا معكم إنما نحن مستهزئون ، فأولئك هم الذين باعوا هدى الله ليشتروا به الضلالة والطغيان .

ومثل لتشبيه المفرد بالمركب بقوله تعالى : ﴿ الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ... ﴾ [5]، وقد أوضحه عندما عرض لبلاغة التشبيه . ومثل كذلك لتشبيه المفرد بالمركب بقوله تعالى : ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ﴾ [6].

---

[1] يونس ، الآية ٢٤ .
[2] المثل السائر ، ٢ / ١٣١ .
[3] البقرة ، الآية ١٧ .
[4] المثل السائر ، ص ١٣١/٢ .
[5] النور ، الآية ٣٥ .
[6] إبراهيم ، الآية ١٨ .

وإجمالاً ،فإننا لا نجد جديداً في دراسة ابن الأثير عدا تقسيمه التشبيه إلى مضمر ومظهر ، وتخصيصه دراسة مستفيضة للمضمر جعلها في خمسة أقسام على الطريقة النحوية كالآتي :

١. ما جاء منه على صورة مبتدأ وخبر مفردين مثل زيد أسد يسهل تقدير أداته .
٢. ما جاء على صورة مبتدأ وخبره مركب من مضاف ومضاف إليه ، كقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " الكماة جدري الأرض " ويكون تقدير أداته أصعب من الأول قليلاً .
٣. والثالث يقع موقع المبتدأ والخبر جملتين كقوله صلى الله عليه وسلم : " وهل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم " كأنه قال : كلام الألسنة كحصائد المناجل ، وهذا القسم لا يكون المشبه به مذكوراً فيه ، بل تذكر صفته ، ألا ترى أن المنجل لم يذكر ههنا ، وإنما ذكرت صفته وهي الحصد .
٤. والرابع يرد على صورة الفعل والفاعل، كقوله تعالى : ﴿ والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم ... ﴾ [١]؛ فتقدير أداة التشبيه في ذلك أن يقال : هم في إيمانهم كالمتبوء داراً، أي أنهم قد إتخذوا الإيمان مسكناً يسكنونه ، يصف بذلك تمكنهم منه .
٥. ما يرد على صورة المثل المضروب ، كقول الفرزدق يهجو جريراً :

ما ضرَّ تغلب وائل أهجوتها ... أم بلت حيث تناطح البحران

شبه هجاء جرير تغلب وائل ببوله في مجمع البحرين ، في عدم التأثير ، فكما أن البول في مجمع البحرين لا يؤثر شيئاً ، فكذلك هجاؤك هؤلاء القوم لا يضر شيئاً[٢]. ومما لا يخفى على أهل العلم أن القسم الثالث استعارة مكنية ، وأن المراد بالذين تبؤوا الدار والإيمان الأنصار الذين ظهر صدقهم فإنهم لزموا المدينة والإيمان وتمكنوا فيهما ، وقيل المعنى تبووا دار الهجرة ودار الإيمان فحذف المضاف من الثاني والمضاف إليه من الأول وعوض عنه اللام، أو تبووا الدار وأخلصوا الإيمان، وقيل سمى المدينة بالإيمان لأنها مظهره ومصيره[٣] . ويبدو تأثر ابن الأثير بدراسات الإعجاز القرآني في فهمه لتشبيهات القرآن الكريم ، وفي الوقت نفسه لا يخفى تأثره بعمود الشعر العربي[٤] ، فحين ينظر إلى صعوبة التشبيه ، إنما

---

(١) الحشر ، الآية ٩ .
(٢) المثل السائر ، ٢ / ١٢٣ – ١٢٤ .
(٣) مختصر تفسير ابن كثير ، ٣ / ٤٧٣ ، وتفسير البيضاوي ، ٥ / ٣٢٠ .
(٤) للوقوف على أصول عمود الشعر ينظر : قضايا في النقد والشعر، د.يوسف بكار، ص٩ وما بعدها (دار الأندلس – بيروت ، ط١ ، ١٩٨٤م) .

ينظر إليه بمقياس ذلك العمود ، وهو الإصابة في الوصف ، يقول عن التشبيه إنه " من بين أنواع علم البيان مستوعر المذهب ، وهو مقتل من مقاتل البلاغة ، وسبب ذلك أن حمل الشيء على الشيء بالمماثلة إما صورة وإما معنى يعزُّ صوابه وتعسر الإجادة فيه " [1]، ويترجم هذا الموقف النظري ، ويحاول تأكيده تطبيقاً حين عرض للتشبيه القرآني في قوله تعالى : ﴿ نساؤكم حرث لكم ﴾ [2]، فقال " يكاد ينقله تناسبه عن درجة المجاز إلى الحقيقة "[3] مركزاً على الإصابة في الوصف ، متناسياً ما للتشبيه من دلالات جمالية وإيحاءات شعرية .

وفي النهاية يخلص ابن الأثير إلى نتيجة نراها في قوله : " إن التشبيه المضمر أبلغ من التشبيه المظهر وأوجز ، أما كونه أبلغ فلجعل المشبه مشبهاً به من غير واسطة أداة ، فيكون هو إياه ... وأما كونه أوجز فلحذف أداة التشبيه منه " [4]. هكذا غلبت الصبغة الأدبية على أسلوب ابن الأثير لأنه أديب ناقد ، وقد افتقر الأصالة ، وإن ادعاها ، في معظم ما جاء به ، وكان يخلط أحياناً ، وكل ما يحسب له بعض التحليلات لتشبيهات القرآن الكريم وموازنتها بغيرها .

---

[1] المثل السائر ، ١ / ٣٩٤ .
[2] البقرة ، الآية ٢٢٣ .
[3] المثل السائر ، ٢ / ١٢٩ .
[4] المصدر نفسه ، ٢ / ١٢١ .

(١٦) الزملكاني في " البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن " :

كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني (ت ٦٥١هـ) مصنف " البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن " ليس من مدرسة السكاكي كما ذهب أحد الباحثين[١] ، لأنه سلك نهجاً مختلفاً في التأليف ، وإن تشابه معه في الاستقاء من معين كتابي عبد القاهر الجرجاني. عدّ التمثيل من المجاز[٢] . ورأى أن فائدته وفخامته إخراج الخفي إلى الجلي وجعل المتعقل في عالم المشاهدة[٣] . وذهب إلى أن اللفظ المستعمل مجرداً عن المعنى نحو الكاف في قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ [٤]، لا يندرج في حدّ المجاز ؛ وهو ما استعمل فيما لا يفهم منه عند الإطلاق لعلاقة مع قيام القرينة[٥]. وقال بصحة الإفصاح بكلمة التشبيه (الأداة) في قسمي الاستعارة والتمثيل وإن تقاصر المعنى عما كان عليه قبلها[٦] . وتكلم في التشبيه والتمثيل في القسم الثاني من كتابه .

عدّ قوله تعالى : ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرمادٍ ﴾ [٧]، من وجوه التشبيه بالحسي[٨] ، واستشهد بقوله تعالى : ﴿ مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ﴾ [٩]على أنه لا يشترط في المشبه به أن يكون أقوى في الذهن من المشبه[١٠] . وذهب إلى أن قوله تعالى : ﴿ طلعها كأنه رؤوس الشياطين ﴾ [١١]يقرب من تشبيه الموجود بما لا وجود له بالاعتبار الذهني[١٢] ، وعدّه من التخييل[١٣] ، وممّا يتمثله القلب من الصور والأشكال غير المطابقة لما يشاهده في الخارج أو التي ليس لها مثال في الخارج[١٤] .

---

(١) ضياءالدين بن الأثير وجهوده في النقد ، د. محمد زغلول سلام ، ص٣٢٠ (ط القاهرة ، ١٩٥٨م) .
(٢) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ، ص١٠٥ ، ١٢١ (تحقيق د. خديجة الحديثي و د. أحمد مطلوب ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط١ ، ١٩٧٤م) .
(٣) المصدر نفسه ، ص١٢١ .
(٤) الشورى ، الآية ١١ .
(٥) البرهان الكاشف ، ص٩٩ – ١٠٠ .
(٦) المصدر السابق ، ص١٢٥ .
(٧) إبراهيم ، الآية ١٨ .
(٨) البرهان الكاشف ، ص١٢٦ .
(٩) النور ، الآية ٣٥ .
(١٠) البرهان الكاشف ، ص١٢٦ .
(١١) الصافات ، الآية ٦٥ .
(١٢) البرهان الكاشف ، ص١٢٦ – ١٢٧ .
(١٣) المصدر نفسه ، ص١١١ .
(١٤) المصدر نفسه ، ص٨٥ .

وعدّ قوله تعالى : ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ﴾[1] من التشبيه الحاصل في كيفية جسمانية غير محسوسة وهي قساوة القلب[2] . وحمل " أو " في الآية على أنَّ من شاهد حالهم وقلة تأثير الزواجر فيهم تردّد في تشبيه قلوبهم بالحجارة أو بما هو أشد صلابة من الحجارة كالحديد . وقيل إنَّ قلوبهم انقسمت في التشبيه هذين الجنسين الجامدين[3] .

ومثّل بقوله تعالى : ﴿ مثّل الذين حُمّلوا التوراة ثمَّ لم يحملوها كمثّل الحمار يحمل أسفاراً ﴾[4]. وكذا قوله تعالى سبحانه : ﴿ مثلهم كمثّل الذي استوقد ناراً فلمّا أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ۞ ... أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ﴾[5]على التشبيه المركب الذي يقع في كيفية مغايرة لكيفية المفردات[6] . وأوضح أنَّ " أو " لم تستعمل على الأصل في تساوي أمرين فصاعداً في الشك ، بل استعيرت للترديد الخالي عن الشك . فالله تعالى ذكر مثلين مضروبين للمنافقين في حالتين مختلفتين ؛ إذ حالهم مشبهه بحالي هاتين القصتين فبأيهما مثلت فأنت مصيب وكذلك إن مثلت بهما جميعا[7].

ولأن المرعي في التشبيه المركب الكيفية من الهيئة الاجتماعية (المجتمعة) ، لذلك قد يلي حرف التشبيه مفرد لا يتأتى التشبيه به كقوله تعالى : ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء ﴾ [8]في تشبيه قصر الدنيا وسرعة زوالها بدورة حياة النبات[9] .

نبّه إلى أنّه إذا اتضح تباين الشيئين وشبّه أحدهما ، جاز إذا نفيت الشبه أن يدخل كاف التشبيه على المشبه به وهو أقيس لمطابقته الإثبات ، وعلى المشبه. ومنه قوله تعالى : ﴿ وليس الذكر كالأنثى ﴾ [10]ونحوه : " ليس الأسد كزيدٍ " . يقول : " ولو قيل : وليس الأنثى كالذكر ، لصحّ ولكن يفوت التسجيع، وهو مراعاة قوله تعالى : ﴿ قالت : ربِّ إني وضعتها أنثى ﴾ [11]. وأما قوله تعالى : ﴿ ذلك بأنهم قالوا إنَّما البيعُ مِثلُ الربّا ﴾[12] فجرأة منهم إذ جعلوا الربا أصلاً ملحقاً به البيع في الجواز وأنه الخليق بالحِل . ويجوز أن يكون المراد إلزام الإسلام بتحريم

---

(1) البقرة ، الآية ٧٤ .
(2) البرهان الكاشف ، ص١٢٨ .
(3) المصدر نفسه ، ص٢٧٠ .
(4) الجمعة ، الآية ٥ .
(5) البقرة ، الآيتان ١٧ ، ١٩ .
(6) البرهان الكاشف ، ص١٢٩ .
(7) المصدر نفسه ، ص٢٦٩ – ٢٧٠ .
(8) يونس ، الآية ٢٤ .
(9) البرهان الكاشف ، ص١٣١ .
(10) آل عمران ، الآية ٣٦ .
(11) آل عمران ، الآية ٣٦ .
(12) البقرة ، الآية ٢٧٥ .

البيع قياساً على الربا لاشتماله على الفضل طرداً لأصلهم وهو في المعنى نقض على علة التحريم . ويؤيده قوله تعالى : ﴿ وأحلَّ اللهُ البيع وحرَّمَ الربّا ﴾[1] إذ فيه إشارة إلى أن الواجب اتباع أحكام الله واقتفاؤها من غير تعرض لاجرائها على قانون واحد فإنّ الأسرار الإلهية كثيراً ما تخفى وهو أعلم بمصالح عباده فليسلم إليه عنان الانقياد "[2] . فهو يوضح أنَّ الله خالق الإنسان يعلم ما يصلحه ، وأن أحكام الشريعة أدوية لأمراض القلوب كما أنَّ العقاقير التي يصفها الطبيب للمريض أدوية لأمراض البدن ، ولو جاز للمريض أن يمتنع من شربها إلى أن يطلع على أسرارها ثم يقيم البرهان على نجاعتها لاستحكم عليه المرض ومات قبل معرفته بأمزجة العقاقير .

ونبه كذلك إلى أنه لا يوصف قاصد الإفراط ، أو النزول في التشبيه ، بالكذب إذا كان غرضه معلوماً وكان متجوزاً في مقاله غير قاصد إلى البت به والقطع بمقتضاه كما لم يقض على من قال " زيد أسد " بالكذب . ومثّل على الإفراط من تشبيهات القرآن بقوله تعالى : ﴿ وما أمرُ الساعةِ إلاّ كلمح البصر أو هو أقرب ﴾[3] وما ذاك إلاّ تفخيم وتهويل وإزعاج . وقد يكون ذلك في التحقير نحو قوله تعالى : ﴿ صمٌّ بكمٌ عمي فهم لا يرجعون ﴾[4] ومثّل على النزول بقوله تعالى : ﴿ مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زُجاجةٍ ﴾[5]، وكذا قوله تعالى : ﴿ فشاربون شرب الهيم ﴾[6]، يقول : " وهي الإبل العطاش ، وملء البطن يدل على أنّهم لا يجدون منه ذلك الألم وإلا لما أمعنوا ، وشرب الهيم يؤذن بأنهم لا يبلغ بهم الأذى العظيم وإلاّ لما ألحوا "[7]. تعليقه هذا يجانب الجادة لأنّهم يعذبون بأكل شجر الزقوم حتى يملؤوا منها بطونهم فيغلبهم العطش الشديد فيشربون عليه من الحميم فلا يرويهم أبداً ، بل يضطرون إلى شرب المزيد منه فيقطع أمعاءهم لتناهي حرارته . كما أنّ الإبل العطاش الهيم لا يبرّد الماء حرقة أجوافها ولا يميتها ، وهذه الضيافة للضالين المكذبين يوم الجزاء تكرمة لهم بعدما استقروا في الجحيم ، يأكلونها قسراً وطوعاً ويجدون منها أشدَّ الألم ، ويبلغ الأذى بهم منتهاه، لكنّ حالهم حال المريض يقاسي لهب الجوف ، وحرارة الظمأ فيشرب مرّ الدواء ويتجرعه على غصص متأملاً أن يُخفّف من آلامه . وهذا من التشبيهات التي تحمل أقسى

---

(1) البقرة ، الآية ٢٧٥ .
(2) البرهان الكاشف ، ص١٣٢ .
(3) النحل ، الآية ٧٧ .
(4) البقرة ، الآية ١٨ .
(5) النور ، الآية ٣٥ .
(6) الواقعة ، الآية ٥٥ .
(7) البرهان الكاشف ، ص٣١١ .

التهكم في وعيدهم بنزل سرمدي يبشرون به . كما عدّ قوله تعالى : ﴿ وهي تجري بهم في موج كالجبال ﴾ [1]من باب النزول في الوصف فإن موجها أعظم من ذلك ، وكذلك عدّ قوله تعالى : ﴿ ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام ﴾ [2] من باب الإفراط [3].

وأوضح التشبيه في قوله تعالى : ﴿ حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾[4] ليثبت أن الألفاظ تبع للمعاني يقول: " فـ " الفجر" كما تراه منتظماً مع " الخيط الأسود " في الظاهر وليس للفجر سواد ، والتقدير : حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الفجر من الخيط الأسود من الليل، أي: حتى يتبين لكم بياض الصبح في بقية سواد الليل "[5] .

وعرض للجزء الثاني من التشبيه التمثيلي في قوله تعالى : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب ... أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾[6] فقال : " فهي ظلمة البحر وظلمة الموج فوقه، وظلمة السحاب فوق الموج إذا اخرج هذا الواقع يده من الموج مدنياً لها من بصره لم يقارب رؤية يده لأن السحاب يستر عنه النيرات ولو كان يراها لفات المقصود من الكناية عن تكثير الحجب عن سلوك الحق، وقضى الكوفيون بزيادة (كاد)"[7] .

هكذا ذكر الزملكاني بعض الملاحظات المهمة في تشبيهات القرآن التي سماها بأسماء مثل " تنبيه " و " دقيقة " وغيرها ممَّا نجد له أثراً في كتاب الطراز للعلوي اليمني . واتسم كتابه بالمنهج العلمي الذي يعتمد على الحجة في عرض الآراء وتفنيدها أو تصويبها ، وبذلك نجد روح عبد القاهر في التحليل والتأليف، ونستطيع أن نزعم أن هذه الآراء في التشبيهات القرآنية وإنّ لم تكن من تأصيله ، لكن التزامه بها يجعلنا ننسبها إليه ، وبذلك يتراءى لنا النضج وسعة الأفق في هذه التنبيهات والملاحظات الدقيقة .

---

(1) هود ، الآية ٤٢ .
(2) الشورى ، الآية ٣٢ .
(3) البرهان الكاشف ، ص٣١١ .
(4) البقرة ، الآية ١٨٧ .
(5) البرهان الكاشف ، ص٣٠٢ .
(6) النور ، الآيتان ٣٩ – ٤٠ .
(7) البرهان الكاشف ، ص١٥٤ .

(١٧) ابن أبي الأصبع المصري في " تحرير التحبير " و" بديع القرآن":

عاش ابن أبي الإصبع العدواني (ت٦٥٤هـ) في حقبة نضجت فيها الدراسات البلاغية القرآنية فاستفاد من ذلك في دراسته التطبيقية على آيات القرآن الكريم ، لذلك حفل باب التشبيه في كتابيه كليهما بالتشبيهات القرآنية التي شكلت جُلَّ أمثلته .

تأثر ابن أبي الإصبع في حديثه عن التشبيه وأمثلته بالرماني ، وقد صرَّحَ بذلك وهو ينقل تعريف الرماني للتشبيه ويقسمه قسمين كما جاء عند الرماني .

أورد تعريف الرماني للتشبيه بقوله " التشبيه عبارة عن العقد على أن أحد الشيئين يَسُدُّ مَسَدَّ الآخر في حال أو عقد هكذا حدَّ الرماني "[١] . ووصفه بالعموم ، إذ يدخل تحته التشبيه على الحقيقة ، والتشبيه المجازي (التشبيه البليغ الصناعي) ، وعرَّف تشبيه الحقيقة بأنه تشبيه شيئين متفقين بأنفسهما[٢] ، وعرَّف التشبيه المختلف وهو تشبيه مجاز للمبالغة قائلاً :" حدُّ التشبيه البليغ الصناعي: إخراج الأغمض إلى الأظهر بالتشبيه مع حسن التأليف "[٣].

وحاول أن يجمع وجوه حسن البيان في التشبيه ، والغاية التي يأتي لأجلها ، كما ذكرها الرماني بشكل يكاد يكون حرفيا، مضيفاً إليها وجهاً خامساً،هو إخراج الكلام بالتشبيه مخرج الإنكار كقوله تعالى : ﴿ أجعلتم سقاية الحاجِّ وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ﴾ [٤]، وهذا إنكار على من جعل حرمة الجهاد كحرمة من آمن بالله ، وفي ذلك أوفى دلالة على تعظيم حال المؤمن بالإيمان وأنه لا يساوى به مخلوق ليس على صفته بالقياس. ومن هذا قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – : " لحُرمةُ رجل مؤمن عند الله أعظم مما طلعت عليه الشمس "[٥] .

لقد أخطأ ابن أبي الإصبع في إجراء التشبيه الإنكاري ، فالآية تنكر على من سوّوا بين أهل سِقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام من المشركين ومن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله [٦]،وليس بين من جعل الجهاد كالإيمان كما ذهب.

وقسم التشبيه الصناعي ضربين :

---

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، تحقيق دحفني محمد شرف ، ص١٥٩ (لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ) .
(٢) المصدر نفسه ، ص١٥٩ .
(٣) بديع القرآن، ص٥٨ (تحقيق د. حفني محمد شرف، دار نهضة مصر، ط٢ ، ١٩٧٢م).
(٤) التوبة ، الآية ١٩ .
(٥) بديع القرآن ، ص ٥٨ – ٥٩ . وتحرير التحبير ، ص١٥٩ – ١٦١ .
(٦) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي، ٤ / ٨ ، والتحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور،١٠ / ١٤٢ – ١٤٦ .

١. ضرب بأداة ، ومثل له بقوله تعالى : ﴿ مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دُرِّيٌّ ﴾ [١].وأدوات التشبيه عنده خمس : الكاف ، وكأنَّ ، وشبه ، ومثل ، والمصدر بتقدير الأداة ، وفائدة حذف الأداة قربُ المشبه من المشبه به [٢].

٢. ضرب جاء بغير أداة ، ومثل له بتشبيه حركة الجبال بحركة السحاب في قوله تعالى : ﴿ وهي تمر مرَّ السحاب ﴾ [٣]،فالجبال التي نراها فنحسبها ثابتة في مكانها لها في الحقيقة حركة مشابهة لحركة السحب في سرعتها ، لكننا لا نراها لأنَّ الأجرام الكبار إذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تبين حركتها [٤].

وجاء بتشبيه قرآني بغير أداة لا بد من تقدير الأداة فيه، هو قوله تعالى : ﴿ وأزواجه أمهاتهم ﴾ [٥], أي أزواج النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين كأمهاتهم في التحريم والاحترام والتوقير والإعظام .

وذهب إلى أن كل ضرب من هذين الضربين – التشبيه بأداة والتشبيه بغير أداة – ينقسم تسعة أقسام : وهذه الأقسام على ضربين : ضرب متحد ، وضرب متعدد ، فالمتحد ينقسم وفق أعداد أدوات التشبيه الخمس : من تشبيه شيء بشيء إلى تشبيه شيء واحد بخمسة أشياء . والمتعدد إلى أربعة أقسام : من تشبيه شيئين بشيئين ، إلى تشبيه خمسة أشياء بخمسة أشياء[٦].
وأكد أنه لم يأت في القرآن الكريم من هذه الأقسام التسعة سوى القسم الأول منها ، وهو تشبيه شيء واحدٍ بشيءٍ واحدٍ مصرح به ، والقسم الثاني وهو تشبيه شيء واحد بشيئين غير مصرح بهما ، ورأى أنه استغنى عن ذكر سائر الأقسام بالقرائن توخياً للإيجاز الذي بني عليه نظم القرآن[٧].

ومثل لتشبيه شيء واحد بشيء واحد، بقوله تعالى : ﴿ فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث ﴾ [٨]،وهو تمثيل شبه الله سبحانه وتعالى فيه أحد علماء بني إسرائيل ، أو أمية بن أبي الصلت ، الذي كان قد قرأ الكتب وعلم أن الله تعالى مرسل رسولاً في ذلك الزمان ، ورجا أن يكون هو فلمّا بُعث محمد ،عليه السلام، حسده وكفر به ، أو بلعم بن باعوراء من الكنعانيين

---

[١] النور ، الآية ٣٥ .
[٢] بديع القرآن ، ص٥٩ – ٦٠ .
[٣] النمل ، الآية ٨٨ .
[٤] تفسير البيضاوي ، ٤ / ٢٨٠ .
[٥] الأحزاب ، الآية ٦ .
[٦] بديع القرآن ، ص٦٠ .
[٧] بديع القرآن ، ص٦٠ .
[٨] الأعراف ، الآية ١٧٦ .

أوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها ؛ بأن كفر بها وأعرض عنها فكان من الضّـآلين ولـو لازم آيات الله لرفعه إلى منازل الأبرار من العلماء ولكنه آثر الدنيا واسترضاء قومه وأعرض عن آيات الله ، فشبهه الله في الخسة بالكلب في أخس أحواله وهو إن تحمـل عليـه يلهـث أو تتركه يلهث ، أي يلهث دائماً ، وهذا التمثيل واقع موقع لازم التركيب الذي هو نفـي الرفـع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان [1].

كذلك مثل لتشبيه شيء واحد بشيء واحد بقوله ،عز وجل، في تشبيه حـال المنـافقين بحـال المستوقد ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فـي ظلمات لا يبصرون ﴾ [2]وعلق عليه بقوله: " وهذا من أصدق تشبيه وأحسنه وأقربه " [3].

ومثل لتشبيه شيء واحد بشيئين غير مصرح بهما بقوله تعالى : ﴿ مثل ما ينفقون فـي هـذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صِرٌّ أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته ﴾ [4]يقـول: فمثـل سبحانه ما ينفق هؤلاء وهو شيء واحد بالريح الباردة ، وإهلاكها ما أصابت من حـرثِ مـن ظلم نفسه، فيتخيل من هذا الكلام حصول تشبيه شيء واحد بشيئين من تشبيه الانفـاق بـالريح وما أهلكته ؛ وعكس هذا التشبيه قوله تعالى : ﴿ مثل الذين حُمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثـل الحمار يحمل أسفاراً ﴾ [5]، لأن الذين حملوا التوراة جمع، والحمار مفرد ، وهو عكس ما قبله من تشبيه مفرد بجمع ، لأن الاثنين جمع على الحقيقة، إلا أنَّ لفظ الحمار لو عري عن وصفه بحمل الأسفار، لجاز تشبيه هؤلاء القوم به. إذ لم يعرفوا التوراة حقَّ معرفتها، ولم يعملوا بمـا فيها، والعادة جارية بتشبيه كل بعيد الفهم ، بليد القلب لا يهتدي إلى تأويل صحيح ، ولا يفطـن للمعنى المراد منه بالحمار، فلو شبه هؤلاء بالحمار لصح ، لكن في ذكر الحمـار والأسـفار معان. تزيد الكلام بياناً وحسناً ، وهي المزاوجة في اللفظ والمقابلة في النظم ، والملاءمة فـي المعنى حيث قال سبحانه : ﴿ حُمّلوا التوراة ﴾ والتوراة خمسة أسفار، فاقتضت البلاغة تكميـل معنى التشبيه بذكر الحمل لتحصل المزاوجة بين قوله ﴿ كمثل الحمار يحمل ﴾ والملاءمة بـين ذكر التوراة التي هي عدة أسفار وذكر الأسفار في قـوله : ﴿ يحمل أسفاراً ﴾ فحصل في

---

[1] تفسير البيضاوي ، ٣ / ٧٢ – ٧٤ .
[2] البقرة ، الآية ١٧ .
[3] بديع القرآن ، ص٦١ .
[4] آل عمران ، الآية ١١٧ .
[5] الجمعة ، الآية ٥ .

الكلام بالمزاوجة ، والملاءمة كمال التشبيه وبيان المعنى "[1] .

أوضح ابن أبي الإصبع المزاوجة في التشبيه القرآني ، إذ زاوج سبحانه وتعالى بين اليهود والحمار بترتيب الحمل على كليهما في قوله تعالى ﴿ حُمّلوا التوراة ثم لم يحملوها ﴾ وقوله ﴿ كمثل الحمار يحمل أسفارا ﴾ ، وكذلك أوضح المناسبة التي حصلت بين التوراة والأسفار في المعنى ، فقام التشبيه القرآني على تجانس البلاغة وحسن البيان ، بالمشاكلة والمجانسة والمزاوجة[2] .

ومثل لتشبيه شيء واحد بشيئين بقوله تعالى في تشبيه حال المنافقين أيضا ﴿ أو كصيبٍ من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ﴾ و ﴿ يكاد البرق يخطف أبصارهم كلّما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ﴾ [3]، وعلق عليه قائلا : " فأفادت تشبيه المنافقين وهو تشبيه واحد بالصيب وما فيه من الرعد والبرق والظلمات ليكمل معنى التشبيه المراد الذي هو الإخبار عنهم بحالهم في الإسلام وترددهم فيه ، فإذا مالوا إليه بالظاهر بما يظهرون منه أشبهت حالهم حال من يضيء له البرق (فيمشي فيه) فإذا أغمض (إيماضه) وقعوا في تلك الظلمات التي في الصيب فلا يهتدون سبيلا " [4].

وتكلم ابن أبي الإصبع على التشبيه تكون أدواته أفعال الشك واليقين ، ومثل لهذا النوع بقوله تعالى : ﴿ وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ﴾[5] وعلق عليه بقوله : " ... فإن حاصله تشبيه أهل الكهف في حال نومهم بالأيقاظ ، لمشاركتهم الأيقاظ في بعض صفاتهم ، لأنه قيل : إنهم كانوا مفتحي العيون في حال نومهم "[6] .

وعرض لنوع من التشبيه سماه تشبيه التوليد والتمثيل ، مثل له بقول الكميت :

أحلامكم لسقام الجهل شافيةٌ كما دِماؤكم يشفى بها الكلبُ

ورأى أنّ هذا النوع لم يأت مثله في تشبيهات القرآن الكريم ، لكونه لا يأتي إلاّ مصنوعاً مقصوداً ، فقد زوج الكميت التشبيه بالاستعارة ، فتولد بينهما مدح ممدوحيه بالشرف ، حيث مدحهم بالحلم ، وأخرج كلا من صدر بيته وعجزه مخرج المثل ، فلاحم بين تمثل العجز

---

(1) بديع القرآن ، ص٦١ – ٦٢ .
(2) معجم البلاغة العربية ، د. بدوي طبانة ، ص١٤٠ ، ٢٧٠ (دار ابن حزم – بيروت ، ط٤ ، ١٩٩٧م).
(3) البقرة ، الآيتان ١٩ ، ٢٠ .
(4) بديع القرآن ، ص٦٢ .
(5) الكهف ، الآية ١٨ .
(6) بديع القرآن ، ص٦٣ ، وينظر تحرير التحبير ، ص١٦٤ .

والطباق الذي في الصدر بما قدم على التمثيل من أداة التشبيه[1] . فأحلامهم كدمائهم تشفى ، إذ أحلامهم تشفى الجهل كما يشفى الأطباء المرضى ، ودماؤهم كالأمصال تشفى بها الأدواء ، لأنهم يبذلونها في ردع المعتدين الذين يعتدون على الآخرين وكأنما أصيبوا بداء الكلب والسعار.

هكذا فقد جاء كلام ابن أبي الإصبع في جُلهِ تكراراً لِما عند الرماني والعسكري والسابقين في تشبيهات القرآن وأمثلتها ، مع بعض الفضل في الجمع والانتقاء والتهذيب والإضافة ، ولم يسجل أي زيادة سوى إضافة الوجه الخامس للتشبيه وهو إخراج الكلام بالتشبيه مخرج الإنكار ، وليست بزيادة نوعية متأتية عن تأثير البيان القرآني[2] .

---

(1) بديع القرآن ، ص٦٣ ، وينظر تحرير التحبير ، ص١٦٥ .

(2) ينظر : البيان العربي، د. بدوي طبانة، ص٦٥ وما بعدها ، وإعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي ، علي مهدي زيتون ، ص٣٤٦ .

(١٨) الطوفي البغدادي* في " الإكسير في علم التفسير " :

جاء الطوفي (٦٥٧-٧١٦هـ) في عصر رتبت فيه الموضوعات البلاغية ، واستقرت أصولها ، لذا نجد كلامه في تشبيهات القرآن التي وردت في كتابه خلاصة ما قاله البلاغيون السابقون قبله مع بعض النظرات الثاقبة .

أفرد الطوفي فصلاً للتشبيه ، تناول فيه تعريفه ، وأركانه ، والصفة التي بها التشبيه ، وفائدة التشبيه وغرضه ، وأقسامه باعتبارات مختلفة .

عرف الطوفي التشبيه بقوله : " هو إلحاق أدنى الشيئين بأعلاهما في صفة اشتركا في أصلها ،واختلفا في كيفيتها قوة وضعفا"[١] . وذهب إلى أن قولنا " زيد أسد "من قبيل التشبيه ، وأما التشبيه بمثل نحو " زيد مثل الأسد "فهو مبالغة فيه مجازاً ، إذ المماثلة هي الاتفاق في الذات والصفات ، والمشابهة اتفاق في بعض الكيفيات[٢] .

وقسم الصفة التي بها النسبة قسمين :

١.إضافية ،كقولك " ألفاظ كالماء " أي في السلاسة ، و " أخلاق كالنسيم " أي في الرقة والسهولة .

٢. حقيقية، وهي نوعان :

أ. نفسانية : كالجود والحلم في قولهم :هو كحاتم جوداً ، وكقيس حلماً ، يقصد الأحنف ابن قيس .

ب. جسمانية وتقسم :

١- محسوسة بإحدى الحواس الخمسة كتشبيه الصوت المنكر بصوت الحمار وفيه إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ [٣] وفي تمثيل الصوت المرتفع بنهاق الحمار الموحش ثم إخراجه مخرج الاستعارة مبالغة شديدة[٤] .

---

* هو الفقيه العالم الطوفي سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري البغدادي.

(١) الإكسير في علم التفسير ، الطوفي البغدادي ، ص ١٣٢ (المطبعة النموذجية – القاهرة) .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٣٢ .

(٣) لقمان ، الآية ١٩ .

(٤) تفسير البيضاوي ، ٤ / ٣٤٩ .

٢- غير محسوسة كالبلادة في قولهم هو كالحمار بلادة .وفي ذلك إشارة لتشبيه القرآن اليهود بالحمار، إذ خص الحمار من بين سائر الحيوانات لتشبيه اليهود به، لأنه من أشهرها بالبلادة والجهالة ، حتى قالت العرب (أجهل من حمار) [١].

ذكر الطوفي فائدتين للتشبيه : أحدهما الإيجاز والأخرى المبالغة ، فقولنا " زيد أسد " أو " كالأسد " أوجز من قولنا :زيد شجاع ، شديد الشجاعة ، وأكثر إفادة في قوة صفة الشجاعة ، إذ مراتب الصفات تتفاوت ، وحملها على موصوفاتها بدون التشبيه لا تفيد ما تفيد معه .

ثم تكلم على غرض التشبيه ، ورأى أن إلحاق الناقص بالكامل هو الأصل ، وعرض لتشبيه الحور العين بالبيض المكنون في قوله تعالى : ﴿ كأنهن بيض مكنون ﴾ [٢] ونبّه من ظن أنه سبحانه وتعالى يشبه الكامل بالناقص ؛ لأن الحور أشد بياضاً وحسناً من البيض فقد وهم ؛ إذ هذا تشبيه غير المعهود لنا بالمعهود ،والخفي عنا بالظاهر لنا ، فالبيض من حيث المعهود به ، والظهور لنا أكمل من الحور ؛إذ إدراكنا لهن بالوهم والتخيل ،وإدراكنا للبيض بالحس والمشاهدة ،وهو أقوى . ومن هذه الجهة وقع التشبيه القرآني ، لا من حيث التفاوت الحقيقي[٣] .

قسم الطوفي التشبيه باعتبار الطرفين :تشبيه محسوس بمحسوس ، ومعقول بمعقول ،ومعقول بمحسوس ومحسوس بمعقول .ونقل تقسيمات ابن الأثير للتشبيه : تشبيه معنى بمعنى ، أو معنى بصورة كقوله تعالى : ﴿ أعمالهم كسراب بقيعة ﴾ [٤] ، أو صورة بصورة نحو ﴿ وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام ﴾ [٥] يشبه صورة الفلك بصورة الجبل ، أو تشبيه صورة بمعنى ، كما لو شبه السراب بالعمل الباطل[٦] . وتابع ابن الأثير في أن كل من أقسام التشبيه الأربعة قد تكون تشبيه مفرد بمفرد ،ومركب بمركب ،ومفرد بمركب، ومركب بمفرد . ومثل لتشبيه المركب بالمركب بقوله تعالى : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً ﴾[٧] وعلق عليه بقوله "فشبه مركب حال المنافقين من اعتصامهم بكلمة الإيمان في الدنيا واستضرارهم بالنفاق في

---

(١) مجمع الأمثال ، الميداني ، ١ / ١٨٩ .
(٢) الصافات ، الآية ٤٩ .
(٣) الإكسير في علم التفسير ، الطوفي ، ص١٣٣ .
(٤) النور ، الآية ٩ .
(٥) الرحمن ، الآية ٢٤ .
(٦) الإكسير للطوفي ، ص١٣٥ – ١٣٦ .
(٧) البقرة ، الآية ١٧ .

الأخرى ، بمركب حال موقد النار في انتفاعه بها حال إيقاده واستضراره بذهاب نورها حين طفئت "[1] .

وقوله تعالى :﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء ... ﴾[2] الذي علق عليه الطوفي بقوله : " شبه مركب حال الدنيا في سرعة تقلبها وزوالها بعد غرور أهلها بزخرفها ، بمركب نبات الأرض في ذلك "[3] .

هكذا، فقد ألم الطوفي بالتشبيه عامة والتشبيه القرآني خاصة ، وأبان بعض أقسامه وقيمه التعبيرية مستفيداً من أسلافه ، مع بعض الآراء البلاغية واللمحات الفنية التي تسجل له في ميزان البلاغة القرآنية .

---

(1) الإكسير في علم التفسير ، ص١٣٧ .
(2) يونس ، الآية ٢٤ .
(3) الإكسير في علم التفسير ، ص١٣٧ .

نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح ﴾[1] .يقول :" ليس المراد تشبيه الدنيا بالماء ، بل بنضرة وبهجة حصلتا للنبات بسبب اختلاط الماء به ، ووجه الشبه مآلهما إلى الفناء . وليس كذلك قوله تعالى : ﴿ كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله ﴾[2]، لأنَّ المراد: كونوا ككون الحواريين لمَّا قال لهم عيسى: من أنصاري إلى الله ؟ "[3] .

ونبّه محمد الجرجاني على أن التشبيه المقلوب ، وإن كان من محاسن الكلام لما فيه من المبالغة ، لكنه لا يوجد في كلام الله تعالى ، لأن كلامه سبحانه وتعالى على وجه التحقيق، لا على المبالغة التي تشبه الكذب وردَّ على معاصره القزويني وجمعٍ من أرباب البلاغة الذين قالوا بوجود التشبيه المقلوب في القرآن ومثّلوا بقوله، عز وجل، ﴿ أفمن يخلقُ كمن لا يَخلقُ ﴾[4]؛ لأن مقتضى الظاهر عندهم العكس ، إذ الخطاب للذين عبدوا الأوثان وشبهوا من لا يخلق بمن يخلق[5] ، يقول محمد الجرجاني : " الجواب المنع من أن الكفار شبهوا ، بل عبدوا من لا يخلق مكان من يخلق ، وليس ذلك بتشبيه ، أما الباري تعالى فقد سلب التشبيه ، لأنه استفهم على وجه الإنكار الذي هو في قوة السلب ، وفرق بين التشبيه وسلبه ، فإن التشبيه مشروط بكون وجه الشبه أظهر في المشبه به من المشبه ، وسلبه لا يستلزم ذلك ، لأنه ليس فيه شبه ، حتى يكون أظهر أو أخفى ، وحينئذٍ لا فرق بين التقديم والتأخير في سلب التشبيه ، وإنما قدَّم من يخلق ، لشرفه فقط "[6] . ومنه قوله تعالى حكاية عن مستحلي الرِّبا ﴿ إنَّما البيع مثل الرِّبا ﴾[7] الذي مقتضى ظاهره أن يقال : إنما الرِّبا مثلُ البيع ، إذ الكلام في الرِّبا لا في البيع ، وردَّ على القزويني الذي أدرجه في التشبيه المقلوب ، للإيهام أن المشبه به أتم من المشبه في وجه الشبه[8]. يقول الجرجاني : " والجواب أنه ليس من كلامه تعالى ، وإنما هو كلام مستحلي الرِّبا، ولا ريب أنَّ الرِّبا أظهر عندهم في الحل من البيع ، فجعلوه مشبهاً به ، لحصول شرطه فيه دون البيع ، والحكاية يجب أن تطابق المحكي "[9] .وكذلك ردَّ على القزويني الذي عدَّ قوله تعالى: ﴿ أفرأيت من أتخذ إلهه هواه ﴾[10] من عكس التشبيه ، إذ أصله : أرأيت من أتخذ هواه إلهه. يقول الجرجاني : " والجواب: إنه ليس من التشبيه في

---

(1) الكهف ، الآية٤٥ . الهشيم : النبات اليابس الهش كالتبن وغيره . وتذروه :تفرقه .
(2) الصف ، الآية ١٤ . والحواريون : أصحاب عيسى عليه السلام .
(3) الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ، ص١٦٦ .
(4) النحل ، الآية ١٧ .
(5) الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، ص٢٠٩ .
(6) الإشارات والتنبيهات ، ص١٧٢ .
(7) البقرة ، الآية ٢٧٥ .
(8) ينظر : الإيضاح ، القزويني ، ص٢٠٨ – ٢٠٩ .
(9) الإشارات والتنبيهات ، ص١٧٢ .
(10) الفرقان ، الآية٤٣ .

شيء، لأن مُراده ، أفرأيت من جعل إلهه هواه ، ولم يرد تشبيه هـواه بإلهـه، ولا العكـس ، وذلك لأنهم لم يصرحوا بالتشبيه بينهما ، بل جعلوا الهوى مكان الإله في الإتباع ،وعلى تقدير التشبيه يكون حكاية ،ولم يكن من كلامه تعالى "[1] . والذي يميل إليه الخاطر أنّه تشبيه بليـغ معكوس أصله الهوى كالإله من أطاعه فهو عبدٌ له ، وعكس التشبيه لإبراز مبالغـة المشـرك في طاعة أهوائه ، وجاء تشبيه الباري عز وجل للأهواء والشـهوات بالإلـه المعبـود ، لأن العاصي يطيع هواه ويبني دينه الخاص به على شهواته ، لا يرعوي ولا يسمع كلمة الحق ولا يبصر طريق الهداية .

وإذا أنعمنا النظر في حجج محمد بن علي الجرجاني التي ردَّ فيها على القزويني فـي التشبيهات القرآنية المعكوسة ، يتبدى لنا أن الجرجاني قد أقرَّ بأن التشبيه المقلوب من محاسـن الكلام ، وما قال بعدم وجوده في كتاب اللهِ سبحانه وتعالى إلا لوروده على وجه من المبالغـة تشبه الكذب . والذي نميل إليه ما ذهب إليه أحد الباحثين من أن القرآن نزل بلغة العرب، فـلا غرو أن يأتي على أساليبهم وطرائقهم في التعبير والبلاغة والبيان ،التي منها عكس التشـبيه ، الذي أقر الجرجاني نفسه بأنه من محاسن كلام العرب ، أما الاحتجاج بمشابهته للكذب ، فيُرَدُّ فيه على الجرجاني بأن مع التشبيه المقلوب قرينة مانعة من إرادة الظاهر ، تخبرنا أن الكـلام مقلوب عن أصله ،وهذه القرينة تبعد الكلام عن الكذب ،وبالتالي فما يقال فـي المجـاز عنـد مجوزيه في القرآن يقال في التشبيه المقلوب أيضا[2] .

أما بالنسبة لما تأوّلهُ الجرجاني من شواهد القزويني على تشبيهات القرآن المقلوبة فإنَّ هذه التأويلات لا تمنع من تأويلات أخرى تجعل الآيات من التشبيه المقلوب، والله أعلم .

ومثّل الجرجاني لوجه الشبه المنتزع من أمرين بقوله تعالى:﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نـاراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلماتٍ لا يبصـرون﴾[3] موضـحا أن الله سبحانه شبه حال المنافقين بحال المستوقد .المذكور في أمر مأخوذ من أمرين، هما : الطمـع في مطلوب لمباشرة أسبابه ،وتعقبه الحرمان والخيبة[4] .

يمكننا القول إن محمد بن علي الجرجاني ،وإن حاول مخالفة القزوينـي وقـال بعـدم وجـود التشبيه المقلوب في القرآن ، إلا أنه تأثر به إلى حد بعيد ، وأخذ عنه كثيراً من آرائه وإن لـم

---

(1) الإشارات والتنبيهات ، ص١٧٢ .

(2) الوساطة بين البلاغيين ومحمد بن علي الجرجاني ، عبد الستار حسين زموط، ص١٥٦-١٥٩ (مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٤م) .

(3) البقرة ، الآية ١٧ .

(4) الإشارات والتنبيهات ، ص١٧٣ .

يصرح باسمه نصاً ، وكان يستخدم عبارات " قال المعاصر " و" توهم المعاصر " و " زاد المعاصر " وأشباهها[1] في النقل عنه أو مخالفته والردّ عليه ، مما يستشف منه عدم وجود الودّ بينهما على الرغم من أنهما كانا في عصر واحد ، وهذا يقودنا إلى أن " الإيضاح " سابق " للإشارات "وإن كانت وفاة مصنِّفهِ بعد وفاة صاحب الإشارات ،يؤكد ذلك ما أشار إليه محمد الجرجاني نفسه ، وهو يعرض لآراء القزويني في الإيضاح ، يناقشها ليثبت وهم القزويني في توجيه أو تأويل بعض أمثلة السكاكي ؛ الذي كان الجرجاني يشير إليه باسمه صراحة بقوله " قال السكاكي " .

---

[1] ينظر : الإشارات والتنبيهات ، ص١٥٠، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٧١ ، ١٨٠ .

(٢٠) الخطيب القزويني في " الإيضاح في عُلوم البلاغةِ " :

ألفَّ جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني المعروف بخطيب دمشق (ت٧٣٩هـ) كتابين في البلاغة العربية أحدهما : تلخيص مفتاح العلوم للسكاكي ، والآخر الإيضاح لتلخيص المفتاح . وكان الأول تلخيصاً للقسم الثالث من أقسام المفتاح ، الذي تكلم فيه السكاكي على علوم المعاني، والبيان، والمحسنات اللفظية والمعنوية، والشعر ، ولم يعرض للنحو أو الصرف اللذين خصص السكاكي القسمين الأول والثاني من مفتاحه لهما . وقد امتاز التلخيص بالترتيب والتقسيم والتهذيب ، وأضاف إليه فوائد عثر عليها في كتب البلاغيين والنقاد، وزاد من عنده زوائد لم يصرحوا بها أو يشيروا إليها كما يقول القزويني[١].

وكان المؤلف الثاني هو " الإيضاح في علوم البلاغة " الذي يقول فيه القزويني : " ... فهذا كتاب في علم البلاغة وتوابعها ، ترجمته " بالإيضاح " ، وجعلته على ترتيب مختصري الذي سميته " تلخيص المفتاح " ،وبسطت فيه القول ليكون كالشرح له . فأوضحت مواضعه المشكلة ، وفصلت معانيه المجملة ، وعمدت إلى ما خلا عنه المختصر مما تضمنه (مفتاح العلوم) وإلى ما خلا عنه المفتاح من كلام الشيخ الإمام عبد القاهر الجرجاني رحمه الله في كتابيه " دلائل الإعجاز " و " أسرار البلاغة " ، وإلى ما تيسر النظر فيه من كلام غيرهما ، فاستخرجت زبدة ذلك كله ،وهذبتها ورتبتها ، حتى استقر كل شيء منها في محله . وأضفت إلى ذلك ما أدى إليه فكري ، ولم أجده لغيري "[٢] .

عَرَّف التشبيه بقوله: " هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى "[٣]. وأدخل فيه ما يسمى تشبيهاً بلا خلاف ، وهو ما ذكرت فيه أداة التشبيه ، كقولنا زيد كالأسد ، أو كالأسد ، بحذف زيد لقيام قرينة ، وما يسمى تشبيهاً على المختار ،وهو ما حذفت فيه أداة التشبيه ، وكان المشبه به خبراً للمشبه أو في حكم الخبر كقولنا زيدٌ أسدٌ ،وكقوله تعالى : ﴿ صمٌ بكمٌ عميٌ ﴾ [٤] أي المنافقون صمٌ بكم عمي[٥].

وتأثر القزويني بالسكاكي في تقسيمات التشبيه ، فقسمه بحسب طرفيه إلى حسيين أو عقليين أو مختلفين ، وأراد بالحسي المدرك هو أو مادته بإحدى الحواس الخمس الظاهرة ، فدخل فيه

---

(١) ينظر : التلخيص في علوم البلاغة ، القزويني ، ص٢٣.
(٢) الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني ، ص٢٥ .
(٣) المصدر نفسه ، ص١٨٩ .
(٤) البقرة ، الآية ١٨ .
(٥) الإيضاح ، القزويني ، ص١٨٩ ، وينظر الكشاف للزمخشري ، ١ / ٨٣ .

الخيالي ، والمراد بالعقلي ما عدا ذلك فدخل فيه الوهمي وهو ما ليس مدركا بشيء من الحواس الخمس الظاهرة ،مع أنه لو أدرك لم يدرك إلا بها[1] . واستشهد على التشبيه الوهمي بقوله تعالى : ﴿ طلعها كأنه رؤوس الشياطين ﴾ [2] .

وعرف وجه الشبه بأنه " المعنى الذي يشترك فيه الطرفان تحقيقاً أو تخييلا "[3]. وأراد بالتخييل الذي لا يمكن وجوده في المشبه به إلا على تأويل ، نحو تشبيه السنة والهدى والإيمان وكل ما هو علم بالنور ، وتشبيه الضلال والكفر بالظلمة وعليهما قوله تعالى: ﴿ يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾[4] وهما استعارتان تصريحيتان . ومثل لوجه الشبه العقلي بالهداية في تشبيه العلم بالنور ، وتحصيل ما بين الزيادة والنقصان في تشبيه العدل بالقسطاس فيما المشبه فيه معقول والمشبه به محسوس[5] .

ونلحظ أن بعض الأمثلة على التشبيه هي استعارات قرآنية باعتبار أن الاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه ، لذلك يقول القزويني معقباً على ما مضى : " قال الشيخ صاحب المفتاح وفي أكثر هذه الأمثلة في معنى وحدتها تسامح "[6] .

ومثل للتفصيل في وجه الشبه ببعض تشبيهات القرآن ، فجاء بمثال على المركب العقلي المنظر المطمع مع المخبر المؤيس الذي هو على عكس ما يقدر صاحبه في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابهُ ﴾ [7] وعلق عليه قائلاً : " شبه ما يعمله من لا يقرن الإيمان المعتبر بالأعمال التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم يخيب في العاقبة في أمله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة ، فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجد ما رجاه ، ويجد زبانية الله عنده فيأخذونه فيعتلونه إلى جهنم فيسقونه الحميم والغساق .فهو كما ترى منتزع من أمور مجموعة قرن بعضها إلى بعض .وذلك أنه روعي من الكافر فعل مخصوص ،وهو حسبان الأعمال نافعة له ، وأن تكون صورة مخصوصة وهي صورة الأعمال الصالحة التي وعد الله تعالى بالثواب عليها بشرط الإيمان به وبرسله

---

(1) الإيضاح ، ص١٩٣ .
(2) الصافات ، الآية ٦٥ .
(3) الإيضاح ، ص١٩٤.
(4) البقرة ، الآية ٢٥٧ .
(5) قال ابن كثير القسطاس هو الميزان ، وقال مجاهد وقتادة هو العدل ، ينظر : تفسير قوله تعالى : ﴿ وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴾ سورة الاسراء : الآية ٣٥ والشعراء : الآية ١٨٢) .
(6) الإيضاح ، ص ١٩٨ .
(7) النور ، الآية ٣٩ .

عليهم السلام ، وأنها لا تفيدهم في العاقبة شيئاً ، وأنهم يلقون فيها عكس ما أمّلوه وهو العذاب الأليم ،وكذا في جانب المشبه به[1] .

وجاء بمثال آخر على التفصيل في وجه الشبه المركب العقلي هو قوله تعالى : ﴿ مثل الذين حُملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً ﴾ [2]. وأكد أيضاً أنه أيضاً منتزع من أمور مجموعة قُرن بعضها إلى بعض ، إذ روعي من الحمار فعل مخصوص وهو الحمل، وأن يكون المحمول شيئاً مخصوصاً وهي الأسفار التي هي أوعية العلوم ، وأن الحمار جاهلٌ بما فيها وكذا في جانب المشبه[3] . ولا يخفى تأثره العميق بعبارة بعبد القاهر في تحليل وجه الشبه في هذا التشبيه القرآني [4].

وفي حديث عن أدوات التشبيه أكد أن الأصل فيها أن يليها المشبه به ، وأشار إلى أنه قد يليها مفرد لا يتأتى التشبيه به ، وذلك إذا كان المشبه به مركباً كقوله تعالى : ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح ﴾ [5] يقول :" ليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره ، بل المراد تشبيه حالها في نضارتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر وارفاً ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن " [6].

وأوضح أن قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله ﴾ [7] ليس من النوع السابق لأن المعنى كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم من أنصاري إلى الله[8] .

وأكد وهو يتحدث عن أغراض التشبيه التي تعود إلى المشبه كبيان إمكانية وجوده أو بيان حاله أو مقدار حاله في القوة والضعف والزيادة والنقصان أو تزيينه للترغيب فيه أو استطرافه ، أن من أغراضه أيضاً تقرير حال المشبه في نفس السامع ، كما في تشبيه من لا يحصل من سعيه على طائل بمن يرقم على الماء ، وجاء بتشبيه قرآني على هذا هو قوله عز وجل : ﴿

---

(1) الإيضاح ، ص٢٠٣ .
(2) الجمعة ، الآية ٥ .
(3) الإيضاح ، ص٢٠٣ .
(4) ينظر : أسرار البلاغة ، ص١٠١ .
(5) الكهف ، الآية ٤٥ .
(6) الإيضاح ، ص٢٠٥ .
(7) الصف ، الآية ١٤ .
(8) الإيضاح ، ص٢٠٥ .

وإذا نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة ﴾ [1] موضحاً أن التشبيه بيَّنَ ما لم تجر به العادة بما جرت به العادة إذ شبه سبحانه ارتفاع جبل الطور الذي قلعه ورفعه فوق بني إسرائيل بالظلة ، وهي صورة تشبيهية غريبة وطريفة معاً ، ولم تجر العادة أن يهدد سبحانه من لا يقبلون الحق بأن يقلع الجبل ويرفعه فوقهم كأنه ظلة ، حتى يتيقنوا أنه ساقط عليهم ، لأن الجبل لا يثبت في الجو ، ولو لم يقبلوا أحكام التوراة لوقع الجبل عليهم . واستنتج منه ومن غيره من الأمثلة التي ساقها على أغراض التشبيه أنَّ وجه الشبه في المشبه به أتمُّ وهو به أشهر "[2].

أمّا في حديثه عن غرض التشبيه الذي يعود إلى المشبه به ، فأوضح أنه غالباً ما يكون إيهام أن المشبه أتم من المشبه به في وجه الشبه ، كما في التشبيه المقلوب الذي أورد عليه أمثلة من تشبيهات القرآن الكريم ، منها قوله تعالى حكاية عن مُستَحِلّي الرِّبا : ﴿ إنما البيع مِثْلُ الرِّبا ﴾ [3]والذي علق عليه بقوله : " فإن مقتضى الظاهر أن يقال إنما الربا مثل البيع إذ الكلام في الربا لا في البيع ، فخالفوا لجعلهم الربا في الحل أقوى حالاً من البيع وأعرف به "[4] . وقد مرَّ آنفاً اعتراض محمد بن علي الجرجاني على القول بوجود التشبيه المقلوب في القرآن الكريم ، حيث ذهب الجرجاني إلى أن القلب يشبه الكذب فلا يقع في كتاب الله ،وقد تأول الآية السابقة تأويلاً أخرجها من التشبيه المقلوب ،وخالف رأي القزويني الذي أدرجها في التشبيه المقلوب ، يقول الجرجاني : "قلب التشبيه وإن كان من محاسن التشبيه لما قلناه ، لكن لا يوجد في كلامه تعالى ، لأن كلامه على وجه التحقيق لا على المبالغة التي تشبه الكذب ، وقد توهم المعاصر – يقصد القزويني – وجمعٌ من أرباب البلاغة وجوده فيهِ "[5] .

ومما عدّه من التشبيهات القرآنية المقلوبة قوله عز وجل :﴿ أفمن يَخلُقُ كمن لا يَخلُقُ ﴾ [6]، إذ أكّدَ أن مقتضى ظاهره العكس لأن الخطاب لمن عبدوا الأصنام ،وسموها آلهة تشبيها بالله سبحانه وتعالى ، يقول القزويني : " جعلوا غير الخالق مثل الخالق ، فخولف في خطابهم لأنهم بالغوا في عبادتها وغلوا حتى صارت عندهم أصلاً في العبادة والخالق سبحانه فرعاً ، فجاء الإنكار على وفق ذلك "[7] . وأورد القزويني قول السكاكي وهو أن المراد عنده بمن لا يخلق الحي العالم القادر من الخلق تعريضاً بإنكار تشبيه الأصنام بالله عزّ وجل وقوله تعالى :

---

(1) الأعراف ، الآية ١٧١ .
(2) الإيضاح ، ص٢٠٧ ، وينظر : هذه الدراسة ، ص١٢٥
(3) البقرة ، الآية ٢٧٥ .
(4) الإيضاح ، ص٢٠٩ .
(5) الإشارات والتنبيهات ، ص١٧١ .
(6) النحل ، الآية ١٧ .
(7) الإيضاح ، ص٢٠٩ .

﴿ أفلا تذكرون ﴾ [1] تنبيه وتوبيخ عليه[2] . وفي هذه الآية الكريمة أنكر سبحانه وتعالى بعد أن عدَّدَ في الآيات السابقة لها الدلائل على كمال قدرته وتناهي حكمته ، والتفرد بخلق ما أبدع، أن يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شيء من ذلك بل على إيجاد شيء ما ،وكان حق الكلام أفمن لا يخلق كمن يخلق ، لكنه عكس تنبيها على أنهم بالإشراك بالله سبحانه وتعالى جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيها بها ،وذهب الإمام البيضاوي إلى أن المراد بمن لا يخلق " كلُّ ما عُبدَ من دون الله سبحانه وتعالى مغلبا فيه أولو العلم منهم أو الأصنام ، واجروها مجرى أولي العلم لأنهم سموها آلهة ومن حق الإله أن يعلم، أو للمشاكلة بينه وبين من يخلق أو للمبالغة وكأنه قيل إن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولي العلم فكيف بما لا علم عنده " [3]. ولأن المشركين لما شبهوا الأصنام بالخالق عاملوها بما ينبغي أن يعامل به الخالق ، حتى لم يبق عندهم فرق بينها وبينه سبحانه وتعالى عمَّا يقول المشركون ، فقد قوي وجه الشبه حتى صار التشبيه تشابها ،ولأنه التشابه جاء باستخدام أسلوب الاستفهام الإنكاري ، فهو من التشابه الإنكاري والله أعلم .

قسّم التشبيه باعتبار وجهه ثلاث تقسيمات تمثيل وغير تمثيل ،ومجمل ومفصل ، وقريب وبعيد ، والتمثيل عنده –وجمهور البلاغيين من بعده – هو ما كان وجه الشبه فيه وصفاً منتزعاً من متعدد ؛ أمرين أو أمور ،ولم يقيده بما قيده به السكاكي من كونه غير حقيقي أي مركبا عقليا ؛ وهميا واعتباريا ،ومثل له بقوله تعالى : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ﴾ [4].وكما تأثر بالسكاكي في تعريف التمثيل وأمثلته كذا في عبارته يقول : " ... فإن تشبيه حال المنافقين بحال الموصوف بصلة الموصول في الآية ، في أمر حقيقي منتزع من متعدد ، وهو الطمع في حصول مطلوب لمباشرة أسبابه القريبة مع تعقب الحرمان والخيبة لانقلاب الأسباب " [5] ، إلا أننا نرى أنه رأى أن وجه الشبه حقيقي في حين عدّه السكاكي توهمي . والذي يظهر لنا أنه عقلي وليس بحقيقي . لأنه ليس بالتشبيه القريب المبتذل الذي يتوصل إليه بالنظرة العجلى ، وإنما لا بد من تدقيق النظر فيه وتمحيصه لاستخلاص وجه الشبه الذي لا يدرك بإحدى الحواس الخمس الظاهرة ، وإنما يتخيله المدقق ويتأول صفته بعد إعمال الفكر .

---

[1] النحل ، الآية ١٧ .
[2] الإيضاح ، ص٢٠٩ .
[3] تفسير البيضاوي ، ٣ / ٣٩١ .
[4] البقرة ، الآية ١٧ .
[5] الإيضاح ، ص٢١٦ .

وسار على سنن عبد القاهر في تفصيل التشبيه البعيد على القريب المبتذل لعدة أسباب منها أن وجه الشبه في القريب يكون مجملاً ، بينما يكون في البعيد مفصلاً ، وشتان بين النظرة الإجمالية الأولى ، تلقى جزافاً من غير روية وإعمال ذهن ،وبين النظرة الفاحصة المدققة المفصلة التي تحتاج إعمال العقل في كشف وجه الشبه ، خاصة عند بعد المناسبة بين المشبه والمشبه به ،كما في تشبيه مثل أحبار اليهود بمثل الحمار يحمل أسفاراً ، لكون وجه الشبه مركباً عقليا [1].

وذهب مذهب عبد القاهر في أن التشبيه يكون أبلغ وأبعد كلما كان مركباً من أمور أكثر، نحو قوله تعالى : ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لمتغن بالأمس ﴾ [2]، فقد علق على هذا التمثيل القرآني بقوله :" إنها عشر جمل إذا فُصلت ، وهي وإن دخل بعضها في بعض حتى صارت كلها كأنها جملة واحدة ، فإن ذلك لا يمنع من أن تشير إليها واحدة واحدة، ثم إن الشبه منتزع من مجموعها من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض حتى لو حذف منها جملة أخلَّ ذلك بالمغزى من التشبيه " [3] .وكأني به يكرر عبارة عبد القاهر في دعوته إلى تأمل هذا التمثيل القرآني ، الذي تضافرت غير جملة من الكلام في تشكيل صورة الحياة الدنيا ، ورسم لوحاتها العشر [4]؛ الأولى : لوحة الماء ينزل من السماء . والثانية : لوحة قطرات الماء وقد داخلت نبات الأرض في مقطع عرضي للجذر أو الساق مثلاً ، لتشكل نسغه الحي . والثالثة : لوحة استمتاع الناس وهم يأكلون خيرات نبات الأرض .والرابعة : لوحة استمتاع الأنعام بأكل أعشاب الأرض . والخامسة : لوحة الأرض في الربيع وقد بدأت تكتسي بحلة قشيبة من الخضرة والأزهار الجميلة كأنما هي غادة حسناء أخذت تتزين لإبراز مفاتن جمالها. والسادسة : لوحة الأرض وقد اكتست ببساط جميل فاتن جذاب،وكأنما هي عروس بالغة التزين والجمال .والسابعة : لوحة قطف غلال الأرض ،وجني محاصيلها ،بما توحيه من سعادة غامرة في نفوس الحصادين ،وثقة بمؤونة وافرة في قابل الأيام .والثامنة : لوحة كارثة

---

[1] ينظر : الإيضاح ، ص٢١٨ – ٢١٩ .
[2] يونس ، الآية ٢٤ .
[3] الإيضاح ، ص٢٢٠ .
[4] ينظر : أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، ص١٠٩ . وينظر : في التذوق الجمالي للآية الكريمة ، د. محمد أبو حمدة ، ص١٧ – ١٨ (مكتبة الأقصى ، عمان ، ١٩٩٣م) ، و من أساليب البيان في القرآن الكريم ، د. محمد أبو حمدة ، ص٩٢ – ٩٣ ، والبهيج في أساليب البيان في القرآن والحديث ، ص١٢٩ – ١٣١ (دار عمّار – عمّان ،ط١ ، ١٩٩٩م) .

طبيعية ، فيضان أو زلزال أو صاعقة محرقة تحل بالأرض وصفتها كما في اللوحة السابعة ليلاً .والتاسعة : لوحة الكارثة وقد دهمت الأرض ،وفجعت أهل الأرض في اللوحة السابعة نهاراً . والأخيرة : لوحة الأرض بعد حلول المصيبة ، فاحترقت غلالها ، وأسود جمالها ، وتهدم حسنها ، وأصاب أهلها ما أصابهم .

ويمضي القزويني في احتذاء سنن عبد القاهر حذو القذة بالقذةِ فيقول : " ومن تمام القول في هذه الآية ونحوها أن الجملة إذا وقعت في جانب المشبه به تكون على وجوه : أحدها: أن تلي نكرة فتكون صفة لها كما في هذه الآية ... والثاني أن تلي معرفة هي اسم موصول فتكون صلة له كقوله تعالى : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً ... ﴾ [1]،والثالث : أن تلي معرفة ليست باسم موصول فتقع استئنافاً كقوله عز وعلا : ﴿ مثلُ الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ﴾ [2] [3].

وقسم القزويني التشبيه باعتبار أداته إلى مؤكد أو مرسل ، والمؤكد عنده ما حذفت أداته ، ومثل له بقوله تعالى : ﴿ وهي تمر مر السحاب ﴾ [4] وقد أورد ابن أبي الإصبع من قبل هذا التشبيه القرآني كمثال على التشبيه المضمر الأداة،وذهب إلى أن فائدة حذف الأداة قرب المشبه من المشبه به [5]، ولكن دون أن يطلق عليه مصطلح " التشبيه المؤكد " الذي نرجح أن القزويني واضعه [6].

وجاء بمثال آخر على التشبيه المؤكد هو قوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾ [7]، وهذا التشبيه القرآني وسابقه حذف من كليهما كلمة التشبيه ووجهه ، وهي أقوى مراتب التشبيه في المبالغة، على حد عبارة القزويني [8]،ولذا أطلق عليه البلاغيون بعده مصطلح التشبيه البليغ .

وأخيراً يمكننا القول إن القزويني بحث التشبيه بحثاً مفصلاً ، وتأثر بأسلافه عبد القاهر والزمخشري والسكاكي في بحث تشبيهات القرآن لكنه أوجز في عرضها بأسلوب تقريري ،

---

[1] البقرة ، الآية ١٧ .
[2] العنكبوت ، الآية ٤١ .
[3] الإيضاح ، ص٢٢٠ ، وينظر أسرار البلاغة ، ص١١٤ .
[4] النمل ، الآية ٨٨ .
[5] بديع القرآن ، ابن أبي الإصبع المصري ، ص٥٩ – ٦٠ .
[6] الإيضاح ، ص٢٢٥ .
[7] الأحزاب ، الآية ٤٦ .
[8] الإيضاح ، ص٢٢٧ .

انصب على جمع قواعد التشبيه بإيجاز ، فكانت تقسيماته عقلية جافة ، لم تتعمق الأثر النفسي للتشبيه القرآني ، وما يبعثه من إيحاءات وصور جميلة [1].

[1] ينظر : القزويني وشروح التلخيص ، د. أحمد مطلوب ، ص٣٤٨ .

(٢١) الطيبي* في " التبيان في علم المعاني والبديع والبيان " :

تأثـــر الطيبـــي (ت٧٤٣هـــ) في معالجته لتشبيهات القرآن الكريم بآراء أسلافه من البلاغيين والنقاد والنحاة ، ولمعاصره السكاكي أثر جَليٌّ في بلاغته .

عـــرّف التشـــبيه بقوله : " هو وصف الشيء بمشاركته الآخر في معنى ، فهو مستدع خمسة أشياء : الطرفين ليحصل ، والوجه ليجمع ،والغرض ليـــصحَّ ، والأحوال ليحسُنَ "[١] . وتـــبدى تأثره بالقزويني في كلامه على وجهِ الشبه في قوله تعالى ﴿ هُنَّ لباسٌ لكم وأنتم لباسٌ لهُـــنَّ ﴾[٢]، فأورد احتمال أن يكون الوجه حسياً بحيث أن الرجل والمرأة في المعانقة كاللباس المشـــتمل ، وأن يكون عقلياً على معنى أن كُلاً منهما يصون صاحبه من الوقوع في الفضيحة كاللباس الساتر . وذهب إلى أن الوجه في الحسي يرجع إلى العقلي لأنه كلي منتزع من أمرين محسوسين . وفي التسمية تسامح [٣].

وجـــاء بقولـــــه تعـــالى : ﴿ مـــثلهم كمثل الذي استوقد ناراً ... ﴾ [٤]،كمثال على التشبيه التمثيلـــي الوهمـــي؛ الذي يكون وجه الشبه فيه منتزعاً من عدة أمور متوهمة[٥]. وعلّق عليه قـــائلاً: " ... فـــإن الوجه هو دفع الطمع إلى تيسير مطلوبهم بسبب مباشرة أسبابه القريبة مع تعقـــب الحـــرمان لانقـــلاب الأســـباب ،وهو أمرٌ توهمي ،والذي نحن بصدده كثيراً ما يلتبس بالحقيقـــي ، والفرق أنَّ الحقيقي معانٍ مستقلة والتمثيلي مستندة إلى قصة متوهمة ، أو شبهها ، ومـــن ثم لو اختلَّ من تلك الأمور شيءٌ اختل التشبيه "[٦]. واستشهد بما قالـــه الزمخشري في قولـــــه تعالى : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جـــنةٍ بـــربوة أصـــابها وابل ... ﴾ [٧]حين جعل وجه الشبه عقلياً ومثّل نفقة المؤمنين في زكائها عند الله كمثل بستان بمكان مرتفع ، أصابه مطر عظيم القطر ، فجاء ثمره حسناً زكياً .فجعل وجه الشـــبه منـــتزعاً مـــن عدة أمور متوهمة يقول الزمخشري : " مثّل حالهم عند الله بالجنة على الـــربوة ، ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطلّ " [٨]، وكما أنَّ كل واحد من المطرين يُضَعِّف

---

* العلامة شرف الدين حسين بن محمد الطيبي .

(١) التبيان في علم المعاني والبديع البيان ، ص١٨٠ (تحقيق د. هادي الهلالي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧م) .

(٢) البقرة ، الآية ١٨٧ .

(٣) التبيان ، ص١٨٨ .

(٤) البقرة ، الآية ١٧ .

(٥) التبيان ، ص١٩١ .

(٦) المصدرنفسه، ص١٩٢ .

(٧) البقرة ، الآية ٢٦٥ .

(٨) التبيان ص١٩٣ ، والكشاف للزمخشري ، ١ / ٣٠٨ – ٣٠٩ .

أكــلَ الجــنة ، فكذلــك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة بعد أن يطلب بها وجه الله زاكية عند الله ، زائدة في زلفاهم فاعتبر في الثاني معاني متعددة متوهمة ،وفي الأول الزكاء[1] .

وجــاء بقولـــه تعالى : ﴿ والقمر قدرناه منازلَ حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ [2]، كمثال علــى شــمول وجه الشبه الطرفين ، والنظر إلى شيء من أوصافهما ، واعتبار مجرد الصفة دون المقــدار يقول الطيبي : " شُبِّه في هيئة نحوله وتقوسه بالعرجون لا في المقدار ، لأنَّ في مقدار الهلال عِظماً في الحقيقة والعرجون في مرأى النظر أعظم منه "[3] .

وجــاء بقولــه تعالى : ﴿ إنَّ مثَل عيسى عند الله كمثَل آدم خلقه من تُرابٍ ﴾ [4]كمثال على ما سمّاه عبد الرحمن الميداني التشبيه القياسي ، إذ تضمن هذا المثَل حجة قياسية ، ردَّ الله سبحانه وتعالى فيها على النصارى الذين ادعوا أنّ عيسى عليه السلام هو الله ظهر على صورة إنسان ؛ لأنّ من معجزاته إحياء الموتى ، أو هو ابن الله ، لأنه ولد من أم بلا أبٍ أو هو ثالث ثلاثة ؛ أي هو أحد أقانيم ثلاثة هي في مجموعها الله[5] .

وأكّــدَ أنَّ وجــه الشبه في تشبيه عيسى بآدم – عليهما السلام – في كونهما وجدا من غير أب وهــذا القــدر لا يمنع من إيراد التشبيه فإن المماثلة مشاركة في بعض الأوصاف ، وقد يُسمى ملزوم الوجه وجهاً تسهيلاً على المتعاطي[6] .

وإذا كان لِكُلٍّ منهما خصوصيته في الخلق ،كون آدم – عليه السلام – خلق من تراب، وعيســى – علــيه الســلام – من الروح ، فلا شيء يمنع من تشبيه خلق عيسى بخلق آدم – علــيهما السلام – كونهما خلقا من غير أبٍ ، لأن المماثلة مشاركة في بعض الأوصاف ، وقد شبه به في أنه وجد وجوداً خارجاً عن العادة المستمرة ، وهما في ذلك نظيران ، ولأن الوجود مــن غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من الوجود بغير أب ، فشبه الغريب بالأغرب ؛ ليكون أقطع للخصم ، وأحسم لمادة شبهته[7] . ولذلك رجح الطيبي أن غرض هذا التشبيه القرآني هو زيادة التقرير، ومُسلم الحكم إذا قصدَ بيان إمكان الوجود ،ونادر الحضور إذا قصدَ غرابته [8].

---

(1) التبيان ، ص١٩٣ .
(2) يس ، الآية ٣٩ .
(3) التبيان ، ص١٩٥ .
(4) آل عمران ، الآية ٥٩ .
(5) أمثال القرآن ؛ وصور من أدبه الرفيع ، تأملات وتدبر : عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ص٢٦ (دار القلم – دمشق ، ط٢ ، ١٩٩٢م).
(6) التبيان ، ص١٩٥ .
(7) التبيان ، ص٢١٠ ، والكشاف ، ١ / ٣٦٠ – ٣٦١ ، وينظر صورة الإنسان في التشبيهات القرآنية – رسالة ماجستير ، أحمد الكاف ، ص١٠٢ – ١٠٣ .
(8) التبيان ، ص٢١٠ .

يبدو جلياً تأثر الطيبي بالزمخشري وغيره من البلاغيين الذين طالما أكدوا أن المماثلة مشاركة في بعض الصفات ، وفسروا وجه الشبه في الآية الكريمة وفقاً لذلك .

وأورد الطيبي قوله تعالى : ﴿ وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلّه ﴾ [1]كمثال على غرض التشبيه ؛وهو ما يقصده المتكلم في إيراد التشبيه ، فأكد أنَّ التشبيه القرآني في الآية الكريمة جاء لتقرير تحقيق المشبه ؛ إذ قرَّر ما لم تجربه العادة بما جرت به العادة [2].

وكذا حذا حذو أسلافه البلاغيين تلاميذ مدرسة السكاكي في غير موضع ، فأورد قوله تعالى : ﴿ إنما البيع مثل الربا ﴾ [3]،وقوله تعالى : ﴿ أفمن يخلقُ كمن لا يخلق ﴾ [4]أمثلته على تشبيه الطرد ، أو العكس ، الذي يكون غرض التشبيه فيه عائداً إلى المشبه به ، ومرجعه إلى كون المشبهِ أتم من التشبيه به في الوجه للمبالغة لأنَ المشبه به حقُه أن يكون أعرف بجهة التشبيه وأقوى ، فذكر الطيبي أنَّ الآية الأولى التي حكاها عَزَّ وعلا عن مستحلي الربا وردت في مكان " إنما الربا مثل البيع " ، فجعلوا الربا في الحِلِّ أقوى من البيع وأعرف . ومن التشبيه المُسمَّى بالطرد الآية الأخرى التي جاءت بدل : أفمن لا يخلق كمن يخلق ، زيادة للإنكار كقولهم في التوبيخ : السلطان كالسوقي ؟ لمن قال بتشبيهه به ، أو المراد بمن لا يخلقُ العقلاء تعريضاً على تشبيههم الأصنام بالله تعالى ،وتكون الفاصلة القرآنية ﴿ أفلا تذكّرون ﴾ تنبيهاً على مكان التعريض[5] .

وعرض للأحوال التي يحصل بها حُسن التشبيه ، وقبحه ،وقبوله وردُّه ،ومنها أن يكون التشبيه تفصيلياً ، لأنَّ المجمل أسبق إلى النفس ، والشيء بعد الطلبِ أعزُّ من المُسَاق بلا تعبٍ .ومثل للتفصيل قوله تعالى : ﴿ مثلُ الحياةَ الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نباتُ الأرض ... كأن لم تغنَ بالأمسِ ﴾ [6]وقال : " فإنها تسع جمل متداخلة شبهت حالها العجيبة الشأن في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها ،واغترار الناس بها بحال ماءٍ نزل من السماء ، وأنبت أنواع العُشبِ ، وزيَّن بزخرفها وجه الأرض كالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة حتى إذا طمع فيها أهلها ، وظنوا أنها مسلمة من الجوائح أتاها بأس الله فجأة فكانت كأن لم تغنَ بالأمسِ "[7] .

---

(1) الأعراف ، الآية ١٧١ .
(2) التبيان ، ص١٩٧ .
(3) البقرة ، الآية ٢٧٥ .
(4) النحل ، الآية ١٧ .
(5) التبيان ، ص٢٠٠ – ٢٠٢ .
(6) يونس ، الآية ٢٤ .
(7) التبيان ، ص٢٠٣ – ٢٠٤ .

ولا يخفى على الدارسين أثر الزمخشري على الطيبي في تفسيره لهذه الآية وغيرها من تشبيهات القرآن[1] ، كذلك يبدو تأثره بالمفسرين الآخرين كالفخر الرازي الذي ردَّ على الزمخشري ما ذهب إليه من أن المعري قصد في تشبيهه الشعري محاكاة التشبيه القرآني والزيادة عليه ، يقول الطيبي : " توهم الزمخشري أنَّ المعري زعم بقوله :

حمراء ساطعة الذوائب في الدُّجى ترمي بكُلِّ شرارة كطرافِ

إنه ظفر بتشبيهه على اللون ، والعظم ،وزاد على قوله تعالى : ﴿ ترمي بشرر كالقصر ﴾[2]، وليس بذلك لأنه لا يخفى على مثله أن الكلام بآخره لأن الله تعالى شبه الشرارة أولاً حين تتقضُ من النار بالقصر في العظم . وثانياً حين يأخذ في الارتفاع والانبساط فتتشق عن أعداد لا نهاية لها بالجمالات في التفرُّق ، واللون ، والعظم ، والثقل وخص الحيوان لِقصدِ الحركات، وكل ذلك مفقود في بيته "[3] .

وفي حديثه عن أدوات التشبيه ذهب إلى أن قوله تعالى : ﴿ حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسودِ ﴾[4] يُعَدُّ تشبيهاً لما عُقِّبَ بقوله ﴿ من الفجر ﴾[5] ولولاه لعُدَّ استعارةً ،والأصل في الكاف ونحوها أن يلي المشبه بهِ وقد تلي أشياء لا يتأتى التشبيه بها إلا على تقدير الحذف كقوله تعالى : ﴿ أو كصيبٍ من السماء ﴾ [6]أوقع تشبيه صفة المنافقين بين مثل المستوقدين ،وبين ذوات ذوي الصيب ، وإنما المرادُ بين صفة أولئك ، وبين صفة هؤلاء فيُقدّر مثلهم كمثل ذوي صيب ، ومثله في إيقاع التشبيه بين الشيئين قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله ﴾[7] أوقع تشبيه كون المؤمنين أنصار الله مثل كون الحواريين أنصاره ،وقت قول عيسى – عليه السلام – على أن (ما) مصدرية ، وفي نحو قوله تعالى : ﴿ مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق ﴾[8] يُقدَّر المضاف ، إما عند المشبه نحو :مَثَلُ داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق . أو عند المشبهِ به نحو : مثلُ الذين كفروا كبهائم الذي ينعقُ[9] .

---

(1) ينظر الكشاف للزمخشري ، ٢ / ٣٢٩ ،وهذه الدراسة ، تشبيهات القرآن في الكشاف للزمخشري ، ص٨.
(2) المرسلات ، الآية ٣٢.
(3) التبيان ، ص٢٠٦، وينظر تفسير الفخر الرازي، م١٥ ، ٢ / ٢٧٨ ،.
(4) البقرة ، الآية ١٨٧ .
(5) البقرة ، الآية ١٨٧ .
(6) البقرة ، الآية ١٩ .
(7) الصف ، الآية ١٤١ .
(8) البقرة ، الآية ١٧١ .
(9) التبيان ص٢١٣ .

وذهـب إلى أن لفظة (مَثَل) لا تستعمل إلا في حال ، أو صفة لها شأن وفيها غرابة . وقـد يظـنُّ في نحو قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾[1] أنَّ الكاف صلة ، وليست كذلك، وإنمـا المرادُ نفي المثل على طريقة الكناية أي ليس شبه ذاته المستجمعة لصفات الكمال شيءٌ . فاسـتُعمل (مثل) فيمن لا مِثْلَ له كما استعمل فيمن له مِثْلٌ وهذه خاصيَّه الكناية . ولك أن تزعم أنَّ كلمة التشبيه كُرِّرت للتأكيد[2] .

وفـي هذا الموضع وغيره يبدو تأثر الطيبي بالزمخشري وغيره من البلاغيين خاصة تلامـيذ مدرسة السكاكي أمثال الطوفي ومحمد بن علي الجرجاني وعلى رأسهم القزويني الذي يتبدى أثره فيه جلياً في غير موضع من تشبيهات القرآن منهجاً وتطبيقاً .

---

(1) الشورى ، الآية ١١.

(2) التبيان ، ص٢١٤ ، وينظر الكشاف للزمخشري ، ٤ / ٢٠٧ .

(٢٢) العلوي اليمني* في :

" كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز "

لعلَّ العلوي اليمني (ت ٧٤٩هـ) من أكثر البلاغيين استشهاداً بتشبيهات القرآن الكريم ، فقد زخر الطراز بتحليل كثير من تشبيهات القرآن الكريم وبيان أسرارها ، إذ ركّز في القسم الثالث (الذي سمّاه الفن الثالث في ذكر التكميلات اللاحقة) من مصنّفه على تطبيق علوم البلاغة ، ومنها التشبيه ، على القرآن الكريم ، لأنها علوم حقائق الإعجاز ، في حين اشتمل الفن الأول على مقدمات خمس في علم البيان ، وجاء الفن الثاني من علوم هذا الكتاب للتركيز على أسرار البلاغة النظرية وقواعد علومها النظرية ومنها قواعد التشبيه وحقائقه ، وقد قرر في مقدمته للفن الثالث أنه درس العلوم البلاغية والأسرار البيانية في القسمين الأول والثاني،وأن هدفه في القسم الأخير الكلام في أسرار القرآن،وإثبات إعجازه[١].

تأثر العلوي بأعلام البلاغيين كثيراً خاصة عبد القاهر، والزمخشري، والفخر الرازي، وابن الأثير ، حتى ذهب أحد الباحثين إلى القول : " نسخ العلوي كل ما تناوله ابن الأثير من مباحث التشبيه التي احتوى عليها " المثل السائر " ثم ضمنها كتاب " الطراز " ثم زاد عليها ما شاء الله زيادته من " نهاية الإيجاز " للإمام الرازي ، و " المصباح " لبدر الدين بن مالك ، وغيرهما "[٢] . وعدّ التشبيه من جملة المجاز سواء أكان مظهر الأداة أم مضمرها منتصراً لرأي ابن الأثير ، مع قناعته بعدم جدوى النقاش في ذلك ، إذ رأى أنّه لا ينبني على هذا الخلاف كبير فائدة[٣] .

أوضح أن المقصود الأعظم من تصنيفه للطراز بيان أنَّ القرآن قد نزل في أعلى طبقات الفصاحة ، وأن كلَّ كلام غيره ، وإن بلغ كلَّ غاية في البلاغة ، فإنه لا يدانيه ، ولا يماثله ، وأنَّ الثقلين من الجنّ والإنس لو اجتمعوا على أن يأتوا بمثله أو بسورة منه ، أو بآية لعجزوا مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ [٤] يقول : " قد حصل عجز الخلق عن الإتيان بمثله

---

* هو يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم ، الملقب بأمير المؤمنين وبالسيد الإمام .

(١) كتاب الطراز ، ٣ / ٢١٣ .

(٢) من مباحث البلاغة والنقد بين ابن الأثير والعلوي، نزيه فراج ، ص١٧٧ (مكتبة وهبه – القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٧م) .

(٣) كتاب الطراز ، ١ / ٢٦٠ – ٢٦١.

(٤) الإسراء ، الآية ٨٨ .

قطعـاً كما سنقرره بعد هذا بمشيئة الله تعالى ، سواء أكان العجزُ بالإضافة إلى ما تضمنه من علـوم المعاني ، أم كان العجز بالإضافة إلى ما تضمنه من علوم البيان ، وقد مرَّ الكلام على مـا تضمنه من علوم والذي نذكره ههنا هو ما تضمنه من علوم البيان ، فنذكر ما تضمنه من التشـبيه ، ثـم نردفه بما تضمّنه من الاستعارة ، ثمَّ نذكر على إثره ما تضمّنه من الكناية ، ثم نذكـر التمثيل ، ونختم الكلام فيه بالأسرار التي تضمنها من الحقائق والمجازات ، وقد أشرنا فـي أول الكتاب إلى حقائق هذه الأشياء في تقرير قواعدها ، والذي نشير إليه ههنا هو أنه قد فـاق فـي هـذه المعاني على غيره ، وأن شيئاً من الكلام المتقدم لا يدانيه ولا يقاربه فيها ، ليحصـل الـناظر من ذلك على كونه قد بلغ الغاية بحيث لا غاية فوقه ، وإنه فائت لكلام أهل البلاغة في جميع أحواله "[1] .

رسـم العلوي كلامه في تشبيهات القرآن في أربعة أطراف : آلاتها ، والغرض منها ، وكيفيتها ، وأحكامها .

ففـي بيان أدوات التشبيه في القرآن ذكر ثلاث أدوات هي الكاف ، وكأن ، ومثل ، فالكاف في نحـو قولـه تعالى: ﴿ فجعلهم كعصفٍ مأكول ﴾ [2] وأما (كأن) فكقولـه تعالى : ﴿ كأنهن بـيض مكنون ﴾[3] وأما (مثل) فكقوله تعالى: ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ﴾[4] وقولـه تعـالى : ﴿ إنمـا مـثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء ﴾[5]، وقوله تعالى : ﴿ مثل الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ﴾ [6].

وقد ذهب إلى أن التشبيه القرآني بالإضافة إلى آلته ، يرد على جهة الإنشاء ، كقولـه تعالى : ﴿ كأنهـن الـياقوت والمرجان ﴾[7] ، والغرض بكونه إنشاء ، أنه لا يحتمل صدقاً ولا كذباً ، وثانيهما أن يكون وارداً على جهة الإخبار ، كقوله تعالى : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ﴾[8] وقوله تعالى : ﴿ فمثله كمثل الكلب ﴾[9] إلى غير ذلك ممَّا يكون وارداً على طريقة الإخبار، وهما مستويان في الإفادة لمقصود التشبيه وإن اختلف نوعهما[10].

---

(1) الطراز ، ٣ / ٣٢٥ .
(2) الفيل ، الآية ٥ .
(3) الصافات ، الآية ٤٩ .
(4) البقرة ، الآية ١٧ .
(5) يونس ، الآية ٢٤ .
(6) الجمعة ، الآية ٥ .
(7) الرحمن ، الآية ٥٨ .
(8) البقرة ، الاية ١٧ .
(9) الأعراف ، الآية ١٧٦ .
(10) الطراز ، ٣ / ٣٢٧ .

وتحدث عن أغراض التشبيه فرأى أن منها بيان جنس المشبه ، إما في علو نفسه ، كتشبيه الإنسان بالملائكة لطهارة نفسه وعفة أثوابه ، وإما في نزول همته كتشبيه بعض الأشخاص بالسباع ، كما شبه الله المنافقين في ذهابهم عن الدين وضعف أفهامهم عن قبول الحق بقوله تعالى : ﴿ كأنهم حمر مستنفرة فرّت من قسورة ﴾[1]، " فمثلُ حالهم في نفارهم عن الحق وبعدهم عن قبوله ، كمثل حمير الوحش عند نفارها ودهشها وقلقها ، برؤية بعض الآساد ، فما تتمالك في الهرب ، ولا ترعوي عند رؤيته ، وتركب الصعب والذلول ، وهكذا حال اليهود ، فإنه تعالى مثلهم فيما حُمّلوا من أحكام التوراة ثم أعرضوا عنها وتركوها وراء ظهورهم ، بحمار يحمل كتباً كثيرة فوق ظهره ، لا يدري ما اشتملت عليه من أنواع الهداية ، فهكذا حالُ اليهود يتلون التوراة وهم أبعد الناس عن العمل بها ، وعن المواظبة على ما تضمنته من الأوامر والنواهي "[2] .

ومن أغراض التشبيه القرآني عنده بيان ضعف الإيمان ورقته وتلاشي أمره ، وعدم الثبات عليه ، وأنه يتلاشى من القلب بأدنى هزة ، وقد ضرب الله مثلاً لمن هذه حاله في ضعف إيمانه ، وأنه على غير قرار من أمره فيه ، وأنه على شرف الانقلاب إلى الكفر ، بغزل العنكبوت وبيتها ، يقول تعالى : ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾[3]، فإن غزل العنكبوت من أضعف الأشياء قواماً ، وارقها حالة ، يتغير بقوة الريح ، وهكذا حال من لا وثاقة له في الدين، فإنه سرعان ما ينكص على عقبيه ، وخالف العلوي هنا الزمخشري الذي يرى أن " الغرض ما اتخذوه متكلاً ومعتمداً في دينهم وتولوه من دون الله ، بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة ، وهو نسج العنكبوت "[4] ، فالصواب والله أعلم أن غرض التشبيه ليس بيان ضعف الإيمان – كما ذهب العلوي – وإنما بيان ضعف الأديان ، فإن أضعف الأديان إذا استقريتها ديناً ديناً عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون .يقول الزمخشري : " مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس إلى المؤمن الذي يعبد الله ، مثل عنكبوت تتخذ بيتاً ، بالإضافة إلى رجل يبني بيتاً بآجر وجص أو ينحته من صخر "[5] .

---

(1) المدثر ، الآيتان ٥٠ – ٥١ .
(2) الطراز ، ٣ / ٣٢٨ .
(3) العنكبوت ، الآية ٤١ . والطراز ، ٣ / ٣٢٩ .
(4) الكشاف ٣ / ٤٤٠ .
(5) المصدر نفسه ، ٣ / ٤٤٠ .عنكبوت مؤنثة و يجوز تذكيرها.

ومـــن أغراض التشبيه عند العلوي بيان التلاشي في البطلان ، كما في تشبيهه سبحانه وتعالى الانفـاق المشـــوب بالمن والأذى أو الرياء أو الكفر بقوله : ﴿ فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصـــابه وابـــل فتركه صلداً لا يقدرون على شيء ممَّا كسبوا ﴾[1]. يقول : " ضربه الله تعالى مثلاً لبطلان أعمال الكفرة وأنه لا فائدة فيما عملوه ولا جدوى له ، بالتراب الدقيق الواقع على حجر صلد أملس ، فيصيبه المطر ، فإنه أسرع شيء في الذهاب ، وأبطل ما يكون عند وقوع المـــاء علـــيه ، فهكذا حالُ الكفر ، فإنه إذا صادف الأعمال من غير قرار على الإيمان ، فإنه يـــبطلها ويذهبها لا محالة "[2] . فالمرائي والمانّ والمؤذي لا يقدرون على الانتفاع البتة بثواب شيء من إنفاقهم الذي هو كسبهم عند حاجتهم إليه[3] .

ومـــن أغـــراض التشبيه القرآني عنده تشبيه حال الكفار فيما هم فيه من الكفر ، والتمادي على الجحـــود ، والإصرار ، بمن أصابته النوازل الهائلة ، فهو على قلق وخوف وإشفاق على نفسه مع الغم والألم مما يُلاقـــى من هذه الكروب التي دهمته ، نحو قوله تعالى : ﴿ أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصـــابعهم في آذانهم من الصـــواعق حذر الموت ﴾[4] يقول : " فهكذا حال الكفار فيما وقعوا فيه من ظلم الكفر وحيرته ، لا يأمنون ممَّا يقع عليهم من الحوائج العظيمة والإيلامات المهلكة "[5] .

هكذا قرر العلوي ، أن التشبيهات القرآنية تقع لأغراض دقيقة ، ولها مقاصد عظيمة تهدف إلى تقريرها وتمكينها في نفس متلقيها . وأبرزَ ثمرة هذه التشبيهات وفائدتها فيما يأتي :

١. الـــبلاغة فـــيما قصد من التشبيه على جميع وجوهه من مدح ، أو ذم ، أو ترغيب أو ترهيـــب ، أو كبر ، أو صغر ، أو غير ذلك من الوجوه التي يقصد بها التشبيه . نحو قولـــــه تعـــالى : ﴿ ولـــــه الجواري المنشآت في البحر كالأعلام ﴾[6]، فشبه السفن الجاريـــة على ظهر البحر بالجبال ، وفي كبرها وفخامة أمرها على جهة المبالغة في ذلـــك[7] . ونحو هذا تشبيه نور الله تعالى بنور المصباح في المشكاة ، يقـــول العلوي: " ســـواء قلـــنا: إن المشـــبه هـــو نور الله تعالى كما هو الظاهر من الآية أو هو نور

---

(١) البقرة ، الآية ٢٦٤ .
(٢) الطراز ، ٣ / ٣٢٩ .
(٣) تفسير البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي ، ٢ / ٣١٠ ، وينظر الكشاف ، ١ / ٣٠٨ . وينظر : أسرار التنوع في تشبيهات القرآن ، ملك بخش ، ص١٠٥ – ١٠٩ .
(٤) البقرة ، الآية ١٩ .
(٥) الطراز ، ٣ / ٣٣٠ .
(٦) الرحمن ، الآية ٢٤ .
(٧) الطراز ، ١ / ٢٧٤ . وينظر نفسه ، ١ / ٣٠٤ .

الرســـول صـــلى الله عليه وسلم فالمقصود هو البلاغة في ذلك "[1] ويؤكّد أنه لا يكاد يخلو تشبيه من مقصود البلاغة على كل حال[2] .

٢. الإيجـــاز والاختصار ، ومثّل للاختصار العجيب والإيجاز البليغ بقوله تعالى : ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الـــرياح ﴾ [3]يقـــول : " فأنظـــر إلى ما اشتملت عليه هذه الآية من أنواع التشبيهات . أشـــياء بأشـــياء في معانٍ وأوصاف بحيث لو فضلت لاحتاجت إلى شرح كبير ، مع اختصاصها بجزالة اللفظ ، وبراعة النظم "[4] .

٣. البـــيان والإيضاح ، يقول : " وهذه أيضاً هي فائدة التشبيه الكبرى ؛ فإنه يخرج المبهم إلـــى الإيضـــاح والمتلبس إلى البيان ن ويكسوه حلة الظهور بعد خفائه ، والبروز بعد اســـتتاره. وهـــذا كقوله تعالى : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهـــب الله بنورهم ﴾ الآية ، وقوله تعالى : ﴿ أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعدٌ وبـــرقٌ كلمَّـــا أضاء لهم ﴾ الآية ، فهاتان الآيتان[5] واردتان مثالاً وتشبيهاً بحال أهل الـــنفاق، وإيضاحاً وبياناً لأمرهم فيما ظهر لهم من النور التام بالرسول صلى الله عليه وســـلم ، وإعراضهم عنه ، فشبه حالهم في ذلك بالمستوقد للنار ، وبالصيب الذي فيه الـــرعد والـــبرق ، كشـــفاً لحالهم في النفاق ، وإظهاراً لأمرهم فيه ، فنظام هذه الآية وحالها دالٌ على نهاية الإيضاح بالتشبيه وإظهار حالهم به "[6] .

وقســـم العلـــوي التشـــبيه باعتبار صورته وتأليفه إلى الطرد والعكس ، إذ ***المطرد*** في مجـــيء التشبيه أن يكون وروده على جهة المبالغة في الصفة ن التي لا يمكن حصولها إلا إذا كـــان المشبه به أدخل في المعنى الجامع بينهما ، إما بالكبر كتشبيه السفن بالجبال لأن الجبال أكـــبر مـــن السفن ، فلا يخفى زيادة المشبه به على المشبه في الصفة الجامعة بينهما . أما إذا ورد التشـــبيه على العكس والندور ، وبابه الواسع هو الاطراد ، لقِبَ ***بالمنعكس*** ، لأنه يجري علـــى خـــلاف العادة والمألوف في ورود التشبيه ، وقد يقال له غلبة الفروع على الأصول ، وكل هذه التسميات دالة على خروجه عن القياس المطرّد ، لأنّ مطرد العادة في البلاغة تشبيه

---

(١) الطراز ، ١ / ٢٧٤ – ٢٧٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ١ / ٢٧٤ .
(٣) الكهف ، الآية ٤٥ .
(٤) الطراز ، ١ / ٢٧٦ – ٢٧٧ .
(٥) البقرة ، الآيات : ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ .
(٦) الطراز، ١ / ٢٧٧ – ٢٧٨ .

الأدنـــى بـــالأعلى[1] . ومثل له بتشبيه المحسوس بالمعقول الذي حكاه الله تعالى عن مستحلي الـــربا حيث قالوا : ﴿ إنما البيع مثل الرّبا ﴾[2] إغراقاً منهم في المبالغة ، وذهاباً إلى أن الربا في باب الحلّ أدخل من البيع وأقوى حالاً ، وهذا من أنواع التشبيه يلقب ***بالمعكوس***[3] .

وقســـم التشـــبيه المطـــرد أربعة أوجه : صورة بصورة ، ومعنى بمعنى ، ومعنى بصورة ، وصـــورة بمعـــنى . ومـــن الأمـــثلة على **تشبيه صورة بصـــورة** . قوله تعالى : ﴿ كالفراش المبثوث ﴾[4]يقول العلوي : " شبه الناس يوم القيامة في الضعف والهوان بالفراش، لما فيه من الدقـــة ، وضـــعف الحـــال "[5] . وقوله تعالى : ﴿ وتكون الجبال كالعهن المنفوش ﴾[6] يقول العلـــوي : " شـــبه الجبال مع اختصاصها بالصلابة والقوة ، بأضعف ما يكون وأرخاه ، وهو الصوف لأنه ألين ما يكون عند نفشه، وما ذاك إلا لإظهار باهر القدرة ، مبالغة على من أنكر المعاد الأخروي ، وتكذيباً لمن حاك في صدره استبعاد ذلك "[7] .

ومثل ***لتشبيه معنى بصورة*** بقوله تعالى: ﴿ والذين كفروا أعمالهم كرماد اشتدت به الريح ﴾[8] وقولـــــه تعـــالى: ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة .. ﴾[9] يقول : " مثلها في تلاشيها وبطلانهـــا بأمريـــن أسرع ما يكون في الزوال ، واعظم شيء في البطلان ، وهما الرماد مع شـــدة العصف ، والتراب في الصحارى ، فإنهما عن قريب ، وكأنهما ما كانا "[10] ، وأكد أن تشـــبيه معـــنى بصـــورة كثير الورود ، ويختص بالبلاغة ، لما فيه من الحاق غير المحسوس بالمحسوس .

وأوضح كيفية ورود التشبيهات القرآنية ، وأنها تكون على وجوه أربعة :

١. **أن يكـــون المشبه والمشبه به جميعاً حسيين** ، نحو قوله تعالى : ﴿ وعندهم قاصرات الطـــرف عيـــنٌ كأنّهـــن بـــيض مكنون ﴾[11]، فالجامع بينهما هو البياض وقد اشترك الطـــرفان فـــي الصفة المبصرة، وكذا قوله تعالى: ﴿ كأنهن الياقوت والمرجان ﴾[12]

---

(١) الطراز ، ١ / ٣٠٣ – ٣٠٩ .
(٢) البقرة ، الآية ٢٧٥ .
(٣) الطراز ، ١ / ٢٨٣ .
(٤) القارعة ، الآية ٤ .
(٥) الطراز، ١ / ٣٠٥ .
(٦) القارعة ، الآية ٥ .
(٧) الطراز، ١ / ٣٠٥ . وينظر : من بلاغة القرآن ، أحمد بدوي ، ص١٩٢ .
(٨) إبراهيم ، الآية ١٨ .
(٩) النور ، الآية ٣٩ .
(١٠) الطراز، ١ / ٣٠٦ .
(١١) الصافات ، الآية ٤٩ .
(١٢) الرحمن ، الآية ٥٨ .

فالجـــامع الحمـــرة ، ورأى أنّ هـــذا الـــنوع من تشبيهات القرآن الذي طريقة الحس والمشاهدة أوضح التشبيهات لقوته وظهور طريقه[١] .

٢. **أن يكونا جميعاً عقليين من غير إحساس** ، كتشبيه العلم بالحياة ، لما فيه من النفع في الآخـــرة ، وتشبيه الجهل بالموت ، لما فيه من خمول الذكر ، كقوله تعالى : ﴿ أو من كـــان ميـــتاً فأحييـــناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخـــارج منها ﴾ [٢]. وأوضح العلوي أن الإحياء والإماتة هنا مجاز في العلم والجهل ، وأن المقصود من الآية ، تفاوت ما بين الحالتين ، بين من أحياه الله تعالـــى بالـــعلم ، و من أماته الله تعالى بالجهل ، كمثل من جعل الله له نوراً يمشي به مستضيئاً به ليس كمن بقي على الضلالة يخبط في ظلماتها[٣] .

٣. **أن يكـــون احدهمـــا حســـياً ، والآخر عقلياً** ، كتشبيه المنية بالسبع ، فالمنية ههنا هي المشـــبهة وهي عقلية ، والسبع هو المشبه به وهو حسي ، وكتشبيه الضلال عن الحق بالعمى ، والاهتداء إلى الخير بالإبصار[٤] ، وكقوله تعالى : ﴿ ومن يشرك بالله فكأنّما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾[٥] الذي علق عليه بقولـــه: " مثل حال من تلبس بالشرك واعتقده وشرح به صدره بمنزلة من سقط من السماء فقطعته الطير،أو أبعدته الريح في أبعد ما يكون وأقصاه، شبه الشرك في بعده، وتلاشيه، وبطلانه، وزواله، بهذه الأمور التي هي النهاية في البعد والبطلان "[٦].

٤. **أن يكـــون المشبه حسياً والمشبه به عقلياً** ، كتشبيه العطر بخلق الكريم ، ومنه قوله تعـــالى : ﴿ والذيـــن كفروا أعمالهم .... أو كظلمات في بحر لجّيّ ﴾[٧]، " فشبه حال الكفـــرة فـــيما هم فيه من الكفر والجحود والإصرار والتمادي على الباطل ، بظلمات بعضـــها فوق بعض فلا يدرك لها حالة في النور ولا يهتدى إليه "[٨] ، وقيل نزلت هذه

---

(١) الطراز ، ١ / ٢٦٧ و ٣ / ٣٣١ .
(٢) الأنعام ، الآية ١٢٢ .
(٣) الطراز ، ١ / ٢٧٢ و ٣ / ٣٣١ وينظر الكشاف للزمخشري ، ٢ / ٦٠ .
(٤) الطراز، ١ / ٢٧١ و ٣ / ٣٣١ .
(٥) الحج ، الآية ٣١ .
(٦) الطراز ، ١ / ٢٧١ – ٢٧٢ .
(٧) النور ، الآيتان ٣٩ – ٤٠ .
(٨) الطراز، ٣ / ٣٣٢ .

الآيـــة فـــي عتـــبة بن ربيعة بن أمية ؛ فقد كان تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ، ثم كفر في الإسلام[١].

وعـــرض لأحكام التشبيه عامة ، فأوضح أنه ربما كان قريباً ، وربما كان بعيداً، وتارة يكـــون واضحاً ، ومرة يكون خفياً، وربما كان غريباً وحشياً ، وربما كان مألوفاً ، لكنه توقف عـــند التشبيهات القرآنية والنبوية ، فقرر أنها كلها قريبة وخالية من شوائب البعد والغرابة في قسميها المفرد والمركب ، وما ذاك إلا لأنها أدخل في التحقيق ، وأقرب إلى التيقن مما لا يكاد يقـــع ، فلـــــهذا كانت حقائق قريبة ، كقولـــه تعالى: ﴿ أو كظلمات في بحر لجي ﴾[٢]، وقوله تعـــالى : ﴿ كمـــثل الحمـــار﴾[٣]، وقولـــه : ﴿ فمثله كمثل الكلب ﴾[٤]، وغيرها من التشبيهات القرآنية الواقعية ، ولذلك قرر العلوي أن جميع التشبيهات في القرآن العظيم واضحة جلية[٥] .

وفصَّـــل فـــي تشـــبيهات القرآن المفردة والمركبة ، فعرف المفردة بأنها : ما كان التشبيه فيها حاصـــلاً باعتـــبار صـــورة بصورة ، أو معنى بمعنى من غير زيادة ، وعرف المركبة بأنها: تشبيه أمرين بأمرين ، أو أكثر ، إلى غير ذلك من التركيبات [٦].

وقسم التشبيهات المركبة وفقاً لذلك ضروباً أربعة ، وجد لثلاثة منه أمثلة من تشبيهات القرآن ، ولم يعثر للرابع منها على تشبيه قرآني ، وهي :

١- **تشـــبيه المفـــرد بالمفرد** ، كقوله تعالى : ﴿ فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان ﴾[٧] فشـــبه السماء يوم القيامة بالدهان لحمرتها ، وهو الجلد الأحمر ، وكقوله تعالى : ﴿ فلما رآها تهتزُّ كأنها جانّ ﴾[٨] فشبه العصا بالجان . وأكد أن التشبيهات المفردة كثيرة الورود في القرآن علـــى جهـــة القـــرب في تشبيهها غير بعيدة ، ومألوفة غير مستنكرة ، ولطيفة رقيقة ، ليست ببعـــيدة ، وبمعـــزل عن الخفاء يقول : " التشبيهات الواردة في القرآن جامعة للأوصاف التامة المعتبرة في البلاغة ليس فيها غرابة ولا بعد عن المألوف والله أعلم بالصواب "[٩] .

---

(١) الكشاف للزمخشري ، ٣ / ٢٣٧ .
(٢) النور ، الآية ٤٠ .
(٣) الجمعة ، الآية ٥ .
(٤) الأعراف ، الآية ١٧٦ .
(٥) الطراز ، ١ / ٢٨١ – ٢٨٢ و ٣ / ٣٣٢ .
(٦) المصدر نفسه ، ٣ / ٣٣٢ ، ٣٣٣ .
(٧) الرحمن ، الآية ٣٧ .
(٨) القصص ، الآية ٣١ .
(٩) الطراز، ٣ /٣٣٤ ، ١ / ٢٨٦ .

٢. **تشبيه المركب بالمركب** . يقول العلوي : " وحاصل المركبة أنها في مقصود التشبيه تشبيه أمرين بأمرين أو أكثر إلى غير ذلك من التركيبات "[١] . ومثل له بقوله تعالى : ﴿ ومثلُ كلمةٍ خبيثةٍ كشجرةٍ خبيثةٍ ﴾ [٢]، فقد شبه شيئين بشيئين يقول : " فقد مثل الكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة ، وقد قررنا من قبل أنا نريد بالتشبيه المركب ذلك "[٣] ، ويبدو ههنا أنه ينظر إلى تناسب التركيب في الصورة وعدد أجزائها ، فالمركب عنده ما يتعذر فيه الإفراد ، فالمقصود تشبيه كلمة موصوفة بالخبث بشجرة موصوفة بالخبث أيضا يقول العلوي : " فلو سلبت الكلمة صفة الخبث قائلا . ومثل كلمة كشجرة خبيثة ، أبطلت بلاغة الآية ، وأزالت عنها رونق الفصاحة "[٤] ، ويؤكد ذلك في موضع آخر قائلا : " وسائر الأحاديث التي أسلفناها تمثيلا للمفرد بالمفرد ، وهي ههنا صالحة للتمثيل المركب بالمركب في شيئين بشيئين ، فإن كان بالإضافة إلى الموصوف فقط فهو من باب المفرد بالمفرد ، وإن كان بالإضافة إلى الموصوف مع صفته ، فهو من باب المركب بالمركب "[٥] . وهذا ما ذهب إليه ابن الأثير ، فالمركب عنده " تشبيه شيئين اثنين "[٦] . وقد وهمت باحثة فرمت العلوي بالسير على نهج ابن الأثير بلا تدقيق أو تمحيص ، وأنه لم يميز بين المركب والمتعدد [٧]، متناسية أن التشبيه المركب يتركب من أمور مجتمعة ، لو أخللت بواحد منها لم يحصل الشبه ، وكذلك لو خالفت الوجه المخصوص في الاجتماع والاتصال بطل الغرض ، فالمعتبر فيه هيئة تحصل من اقتران شيئين، أمَّا المتعدد فهو تشبيه شيئين بشيئين ضربة واحدة ، لا يداخل أحدهما الآخر في الشبه ، يعني أن أحد التشبيهين ليس موقوفا على الآخر في الفائدة ، ويمكن الفصل بين أجزائه[٨]. كما أن الغرض من التشبيه المتعدد :الإيجاز والاختصار ، أما الغرض من التشبيه المركب – فليس كذلك – إنما هو : جمال الصورة ، وقوة التأثير في النفس ، وخصوبة الخيال، ولطف المنشأ ، وجليل الغاية ، وحلاوة الثمرة [٩].

---

(١) الطراز ، ٣ / ٣٣٣ .
(٢) إبراهيم ، الآية ٢٦ .
(٣) الطراز، ١ / ٢٩٠ .
(٤) المصدر نفسه ، ١ / ٢٥٩ .
(٥) المصدر نفسه ، ١ / ٢٩٠ .
(٦) المثل السائر ، ابن الأثير ، ١ / ٣٨٢ .
(٧) البحث البلاغي عند يحيى بن حمزة العلوي، منيرة الفاعور ، ص٣٢٥ (رسالة دكتوراة ، جامعة دمشق ، ١٩٩٩) .
(٨) أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، ص١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٩٢ .
(٩) البلاغة فنونها وأفنانها ، د.فضل حسن عباس ، ٢ / ٥٣ .

ومن الأمثلة التي اصاب العلوي في سوقها على تشبيهات القرآن المركبة قوله تعالى : ﴿ مثل الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً ﴾[1]، ورأى أن هذا التشبيه مما يمكن إفراد أحد أجزائه بالذكر ، يقول : " فإن شئت جعلت التشبيه مُطلق الحمار في الغباوة والجهل والبلادة وسقوط النفوس عن كريم الخصال ، وشريف الفعال ، وهذه حالة اليهود ، وإن شئت جعلته مركباً ، وهو أنه ليس الغرض إفراد الحمار بالتشبيه ، ولكن الغرض تشبيه حالهم في كونهم حُملوا التوراة ثم لم يحملوها حمل مثلها في امتثال أوامرها ونواهيها ، كمثل الحمار في حمله للأسفار ، فمثلوا في السخف بحال الحمار الحامل فوق ظهره ، جُعِلَ مثلاً لما كُلفوه من الأحكام الشرعية و (أسفاراً) جُعِلَ مثلاً لنفاسة المحمول ، وعدم انتفاع الحامل به ، فصار حاصل الأمر أنهم مشبهون بالحمار الحامل فوق ظهره كُتباً لا يدري حالها، ولا ينتفع بها "[2] .

وكذلك مثل للتشبيه المركب بقوله تعالى : ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء ﴾[3] ، يقول : " فمثل الكفار في إعراضهم عن الحق والهدى وعدم الإصغاء إلى ما جاء به الرسول برجل يتكلم بما لا يفهم منزلة نعيق البهائم "[4] وقد أجمل العلوي ولم يفصل تفصيل الزمخشري وغيره من البلاغيين المفسرين في وجوه تأويل هذا التشبيه القرآني[5] .

٣. **تشبيه المفرد بالمركب** : ومثل له بقوله تعالى : ﴿ مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكبٌ دريٌّ ﴾[6]، يقول : " فشبه النور المفرد بالمشكاة المركبة من هذه الأجزاء والأوصاف "[7] ، ويقول في موضع آخر : " فهذه الأمور المعدودة كُلُّها أشباه لنور الله ، إما على أنَّ المراد به ذات الله تعالى ، أو يُراد به الرسول صلى الله عليه وآله "[8] . ونلحظ أن العلوي لم يتغلغل لأعماق الصورة التشبيهية ، فوقف على طرفي التشبيه وإظهار أداته ، ولم يسبر غور الشبه الذي كان ابن الأثير أقدر في استجلائه[9] .

---

(١) الجمعة ، الآية ٥ .
(٢) الطراز، ١ / ٣٥٨ .
(٣) البقرة ، الآية ١٧١ .
(٤) الطراز، ١ / ٢٩٠ .
(٥) ينظر : هذه الدراسة ، ص١٧٠ ، والكشاف للزمخشري ، ١ / ٢١٢ .
(٦) النور ، الآية ٣٥ .
(٧) الطراز ، ٣ / ٣٣٤ .
(٨) المصدر نفيه ، ١ / ٢٩٣ .وينظر ١ / ٢٧٤ .
(٩) ينظر المثل السائر، ابن الأثير ، ٢ / ١٢٥ – ١٢٦،وينظر : من بلاغة القرآن ، أحمد بدوي ، ص١٩٥ .

هـــم فيه من الكفر والعناد ، بمنزلة من هو أصم أبكم أعمى ، فلا يهتدي إلى الحق ولا يرعوي عما هو عليه من الباطل "[1] .

وبعد فهذه تشبيهات القرآن عند العلوي ، التي اجهد نفسه في تبيان حدودها ، وأبعادها وأقســـامها وقواعدهـــا ، وأغنى طرازه بعرض أمثلتها الكثيرة ، ودراستها وتوزيعها ، ضمن أبواب وأقسام ، وكانت له نظرات فيها ، وإن كانت لا ترتقي إلى الأصالة ، إذ جُلها نقول عن ســـابقيه مـــن أعـــلام البلاغة كعبد القاهر والزمخشري والفخر الرازي والسكاكي وابن الأثير وغـــيرهم مـــن المتأخرين ، لذلك رأيناه يمزج في مصنفه بين الصبغتين الأدبية والكلامية التي اســـتفادها ممن تأثر بهم، ونقل عنهم بطريقة مباشرة كابن الأثير ، أو غير مباشرة كعبد القاهر والزمخشري [2].

وإجمـــالاً فـــإن العلـــوي اليمنـــي أعاد لتشبيهات القرآن التناول الأدبي الذي برز عند الرمانـــي وأبي هلال العسكري وعبد القاهر وابن الأثير وابن أبي الإصبع المصري في حقبة زمنـــية مفصـــلية تُعدُ بداية لعصر الشروح والتلخيصات ، فكان " الطراز " حلقة من الدراسة الأدبـــية لتشبيهات القرآن في عصر جنحت فيه البلاغة إلى التقعيد والتقنين في دراسة الشواهد دون تعليل لجمالياتها وكشف لأسرارها البلاغية .

---

[1] الطراز ، ٣ / ٣٤٥ .
[2] المصدر نفسه، ١ / ٤ – ٥ .

الخاتمة

لقد تضمنت الدراسة : مقدمة ، وتمهيداً ، وأربعة فصول ، وهذه الخاتمة .

تناولت المقدمة : أهمية تشبيهات القرآن الكريم ، واهتمام الدارسين بها قديماً وحديثاً ، وتعرضت لأهم المؤلفات التي تناولت أشياء منها ، ومناهج الباحثين فيها ، ثم ختمت بالمنهج الذي اتبعته في دراستي هذه .

فأمّا **التمهيد** ، فمهّد للموضوع بالكلام في مكانة التشبيه في البلاغة العربية ، وأوضح أن العناية به لم تقف عند اهتمام الشعراء ، إنّما تجاوزته إلى اهتمام اللغويين والبلاغيين والنقاد الذين وضعوه في أشرف مراتب البيان العربي، وكان عندهم عنوان البلاغة، وزمام المهارة ، وغرة أساليب البيان العربي ، وهذا يضاف إلى الأسباب التي تبوّأت بها تشبيهات القرآن الكريم مكانة متميزة في موروثنا البلاغي والنقدي .

و عرض في التمهيد،كذلك، لأثر القرآن الكريم وتشبيهاته في نشأة البلاغة العربية ، موضحة أن خدمته كانت سبباً في تعلمها والبحث فيها ، إذ كان التشبيه القرآني في قوله تعالى : ﴿ طلعها كأنه رؤوس الشياطين ﴾ سبباً في تأليف أبي عبيدة لكتابه "مجاز القرآن ".

أما **الفصل الأول** ، فقد حاول تفسير أسباب اهتمام القدماء بتشبيهات القرآن ، الذين عَمَدَ جُلُّهم إلى تكرارها في مصنفاتهم ، وردّها لما يأتي :

(١) **الأهمية الدينية** : عدَّ القدماء التشبيهات من معاني القرآن الرئيسة ؛ إذ تستقي منها العبر والعظات بما فيها من وعد أو وعيد أو ذم أو لوم أو توبيخ . وقد جاءت لتثبت قضايا إيمانية مهمة ؛ كالوحدانية ، ووصف مشاهد القيامة والبعث ، وبيان أعمال الكفار والمؤمنين ، ووصف نعيم الجنة وعذاب الآخرة ، وتصوير قصر الحياة الدنيا وسرعة زوالها ، ومظاهر القدرة الإلهية في عقاب الكافرين ... حتى قيل إنَّها سرج القرآن لما لها من دور في كشف محور الشر الثلاثي ، المتمثل باليهود والمشركين والمنافقين . وظهر أنَّ معالجتها لقضايا حساسة لها شأو رفيع جعل علماء اللغة والأدب والبلاغة والنقد والتفسير يعتنون بها حتى غدت جُزءاً مهماً من دراسات البلاغة القرآنية .

(٢) **الحجاج العقلي** : نهضت تشبيهات القرآن على الحجج والبراهين ، فاتخذها القدماء أداة حجة الله في العقول؛ ففيها تبكيت للخصم ، وحجة لإزالة الشك والريب . وقد ربط عبد القاهر أسباب تأثير التمثيل بالانفعال النفسي المفضي إلى الاستمالة والإقناع العقلي .

(٣) **الأبعاد النفسية** : أوضح كيف تعمق البلاغيون كشف المنحى النفسي في جماليات تشبيهات القرآن ، وما لها من أبعاد في رسم صورة موضحة لموضوعاته .

(٤) **القيمة الفنية الأسلوبية** : أوضح أنّ التشبيه من أصول التصوير القرآني ، وأنّ لتشبيهات القرآن قدرة على التشخيص والتجسيم وإبراز القضايا العقلية بصورة حسّيّة مشاهدة ، مما جعل منها لوحات فنية رائعة الجمال ، تنفرد عن غيرها من تشبيهات البشر بإعجاز بياني منماز في لحمته وعناصر تشكله ، حتّى أقامها القدماء شواهد استدلوا بها على إعجازه ، والاحتجاج لنظمه ، وتجلية لطائف تصويره ووصفه .

وأما الفصل الثاني ، فقد تناول تشبيهات القرآن في جهود الدارسين في التواليف التراثية المستقلة الآتية :

(١) " **الأمثال من الكتاب والسنة " للحكيم الترمذي**؛ الذي جمع نماذج لأمثال القرآن، ولم يحشدها جميعاً، بل كان يتخير ما فيه عظة وعبرة ، وتعليم وفقه ، وحكمة وتدين ، وكان تفسيره لآيات الأمثال تفسيراً صوفياً فيه بعض الغموض ، وله فضل السبق في التأليف بتشبيهات القرآن والحديث النبوي الشريف ، وقد بوّبها وفق موضوعاتها ، وبدأها مرتبة وفق ورودها في كتاب الله تعالى .

(٢) " **الجمان في تشبيهات القرآن "لابن ناقيا البغدادي** ؛ الذي يعد أول كتاب مستقل يفرد لتشبيهات القرآن وحدها وتناول سبعاً وثلاثين سورة ذكر فيها ستةوخمسين من تشبيهات القرآن ؛ مرتبة بترتيب سوره وآياته ابتدأها بسورة البقرة وانتهى بسورة الفيل ، ولم يَعرض لكل التشبيهات أو جُلّها. بل اقتصر على تفسير بعض فرائدها وقدّم لها تحليلات طريفة . وهو موسوعة أدبية رائعة بث فيها ابن ناقيا آيات معرفته العميقة ، وثقافته المتنوعة في معارف شتى ، واتبع منهجاً نقدياً تطبيقياً ، وكان يوازن بين تشبيهات القرآن وعيون الشعر العربي المشابهة لها كاشفاً أنها لا تدانيها في سمو صورتها وإشراقها وإيجاز عباراتها وإحكام معانيها ، مما يثبت إعجاز القرآن وتفرد تشبيهاته وعلو مرتبتها البيانية وتفوقها البلاغي . وأثبت أن القرآن أنزل بلغة العرب وعلى مقتضى طرائقهم في إيراد التشبيهات إمعاناً في التحدي والإعجاز . ومن السمات الظاهرة في منهجه ظاهرة اقتران النظائر في التشبيهات القرآنية ، والاعتماد على الفهم والذوق والتحليل الأدبي والموازنة بين التشبيهات القرآنية والشعرية ويعد جهده في سبر حقل التشبيهات القرآنية وكشف أسرارها عملاً تطبيقياً مهد الطريق لمن جاء بعده من البلاغيين الذين استلهموا منهجه في بحث التشبيه ورأوه ركناً أساسياً في الآية لا يتم المعنى دونه ، وهو ليس بعنصر إضافي مكمل لها . وعلى الرغم من ذلك يؤخذ عليه الاستطراد وإغفاله لجل التشبيهات التي لم تذكر فيها الأداة ، وميله إلى مذهب أهل

الصرفة في إعجاز القرآن ، الذي أفاض الدارسون في بيان بطلانه لأنه يعزو سر الإعجاز لأمر خارج عن القرآن ، وهو سلب القدرة عن النطق بمثله .

(٣)" **الأمثال في القرآن " لابن قيم الجوزية** ، الذي بحث فيه – وفي " إعلام الموقعين عن رب العالمين " تشبيهات القرآن ، لا سيما التشبيه التمثيلي ، لإعلام المجتهدين والفقهاء بأصل مهم من مصادر التشريع وهو القياس ، استخدمه الله عزّ وجلّ في القرآن بطريقة التشبيهات وضرب الأمثال ، لتقريب المراد وتفهيم المعنى وإيصاله إلى ذهن السامع بصورة المثال . وتتبع " الأمثال في القرآن " ثلاثة وأربعين مثلاً قرآنياً في مواضيع مختلفة . وقد ضمن ذلك في فصول متتابعة ، يعرض في كل فصل لآية تشتمل على مثل ، يعلق عليها موضحاً طرافة التشبيه ، وتكامل الصور ، وما تنطوي عليه من أسرار تعبيرية. لكنه لم يتجاوز بذلك عقلية التفسير التقليدية ، وإن ظهر متأثراً بابن ناقيا في غير موضع .

و تناول **الفصل الثالث تشبيهات القرآن في آثار ستة من اللغويين والنحاة** ، وأوضح غياب التبويب العلمي الدقيق لها عند أعلام اللغة والنحو أمثال سيبويه، والفرّاء، وأبي عبيدة، والأخفش الأوسط، وابن قتيبة ، إذ لم يرد للتشبيه تعريف عندهم ، ولم يسموا أركانه ، ولم يعرضوا لأنواعه ، ولم يفتحوا له أبواباً في مصنفاتهم ، باستثناء المبرد الذي أفرد له باباً مستقلاً ، كانت تقسيمات التشبيه فيه ضبابية غائمة ، وليس لها حدود متمايزة ، وكانت أحكامه في جملتها انطباعية.

وظهر اضطراب المصطلحات عندهم ، وبرزت إشكاليتها ، فلم يفرقوا بين التشبيه والتمثيل ، واختلط التشبيه بالاستعارة عند بعضهم ، وحال تركيزهم على الجانب اللغوي دون إدراك الأسرار البلاغية للصورة التشبيهية في القرآن ؛ فافتقروا للمنحى التصويري ، وعلى الرغم من ذلك تظلّ جهودهم مهمة وقيّمة في إطارها الزمني ؛ فقد أثرت ملاحظاتهم الدقيقة ، ونظراتهم الصائبة في جهود لاحقيهم ، وشكلت حلقة ثرّة في دراسة تشبيهات القرآن التي تناولوها بمؤلفاتهم التي تنازعتها علوم اللغة والتفسير والبلاغة .واقتربوا فيها من النص يحللونه ليتوصلوا إلى نتائج يؤيدها الواقع اللغوي ، فكانت جهودهم نواة للدراسات البلاغية التطبيقية .

وعرض **الفصل الرابع لتشبيهات القرآن في آثار البلاغيين والنقاد** . **فالجاحظ** عرض لتشبيهات القرآن ، ووقف أمام بعضها ، وحللها تحليلاً دقيقاً بأسلوب جمع فيه بين معرفة علم الكلام والرسوخ في اللغة وآدابها ، وتجاوز سابقيه فاستكنهها مبتعداً عن النظرات

السطحية ، ليخرج بإشارات ذكية ، وتأملات عميقة ، ولمحات نافذة . وأدرك الأثر النفسي لها، لكنه لم يكن يعنى بوضع المصطلحات أو صياغة التعريفات والحدود ، بل كان أديباً بليغاً بطبعه وذوقه ، يقف على مواطن الجمال فيها ، مبيناً حسنها ، واتساق معناها ومبناها ، رادا بذلك على مطاعن أهل الخلاف منافحاً عن معنى التشبيه القرآني .

أمّا **الطبري** فتنبّه في تفسيره لتشبيهات القرآن لكل حقائق التشبيه وألوانه وصوره وتقسيماته، ولحظ أغراضه ، وتحدث عن أدواته وقيمتها البيانية ، وتنبّه للفائدة البلاغية للتشبيه المعكوس، لكنّه لم يهتم بالمصطلحات، ولم يفرق بين التشبيه والتمثيل، وكان يلتزم الدلالات اللغوية في تحديد معاني التشبيهات، إلى جانب النقول المأثورة برواياتها المختلفة، التي كان يفاضل بينها ويختار أرجحها مما يتفق والنسق المعنوي للتشبيه القرآني الذي يفسره .

و أمّا **ابن وهب الكاتب** ، المعروف باتجاهه المنطقي الفلسفي في الدرس البلاغي ، فمثل لقسمي التشبيه عنده ببعض تشبيهات القرآن ، وكان في تقسيمه وأمثلته قريباً مما أورده المُبرّد .

و عرّف **الرّماني** التشبيه، ولعلّه أوّل من فرّق بين التشبيه والتشابه أو تشبيه البلاغة وتشبيه الحقيقة ، وأنه أضاء جوانب مهمة من تشبيهات القرآن ، وحلل كثيراً منها ، ولم يكن في ذلك متأثراً بسابقيه،إذ جعل تشبيه البلاغة على أربعة وجوه ، مثّل لكل وجهٍ من تشبيهات القرآن الكريم محللاً لها ، بإيضاح مغزاها ، ومنبهاً على أسرارها البلاغية ، وكان تقسيماته الأربعة منارة للاحقيه من علماء البلاغة والنقد ، وكان تحليله العميق لأصول التشبيه القرآني دون تأثر بأسلافه يكشف أصالته في التفكير والبحث والتحليل ، ولعله أوّل من جاب غمار التشبيهات القرآنية بعمق ، وانماز منهجه بغزارة الاستشهاد من القرآن لتحقيق الغاية من " النكت في إعجاز القرآن " في تجلية إعجاز القرآن وبلاغته .

وأكثر تشبيهات القرآن التي أوردها تمثيلات ، وكانت له لمحات دقيقة فيها ، وقف عند أثرها النفسي ، واهتم ببنائها واشتملت عناصر حسن التشبيه عنده على حسن النظم وعذوبة اللفظ وكثرة الفائدة وصحة الدلالة .

واستقصى **أبو هلال العسكري** في مصنفه جهود سابقيه ، واستفاد منهم لا سيما الرّماني خاصة في أقسام التشبيه الأربعة ، فقد اتفق معه في هذه الوجوه والنواحي الجمالية لتشبيهات القرآن حتى لتكاد تكون مقاييس البلاغة والنقد عند كليهما متطابقة . ولم يفرق أبو هلال بين التشبيه والتمثيل ، ولم يوفق في عدّ بعض أمثلة التشبيه القرآني البليغ من الاستعارة .و كان

جهده في الجمع أكبر منه في النقد والتحليل ، لكنه أفصح في مقدمة " الصناعتين " بأنّه جمع للبلاغة ، ليستفيد الدارسون من مادته العلمية بما يغنيهم عن مراجعة كتب السابقين .

والتقى **الباقلاني** مع الرّماني في عدّ تشبيهات القرآن معجزة بالنظر إلى دلالات التأليف وأسرار النظم داخل أسلوب التشبيه القرآني ، وبمراعاة السوابق واللواحق التي تحيط بالصورة من أقطارها ، لأنّ هذه التشبيهات بكلّ دلالاتها التصويرية من مقتضيات النظم، وعنه تحدث، وبه تكون .ويؤخذ على نظرات الباقلاني في تشبيهات القرآن أنّها لم تلامس الجوانب التطبيقية ، كما فعل في تطبيق منهجه على الشعر . كذلك لم نقع في تحليله لسورة النمل على نظرات نقدية تطبيقية في تشبيهات القرآن .

و تعرّض **القاضي عبد الجبار** في مصنفاته لتشبيهات القرآن من خلال ردّه على المطاعن التي تناوشت القرآن ، وكشف بعض جمالياتها وأسرارها . وكان في دفوعه عن تشبيهات القرآن ، يدرك أبعاد التشبيه ، ويوضح طرفيه ووجهه ، ويجليه بريئاً من كل نقد . وكان يرى أن جمال التشبيه القرآني ينبع من وشائج الصلة بين طرفيه ، فكلما قويت الصلة بينهما حسن وقعه في نفس متلقيه . وكان يعد التشبيه من المجاز ، لكنّه خلط بين التشبيه البليغ والاستعارة حتى أدخل التشبيه البليغ في الاستعارة، وجعله من أحسن ضروب المجاز .

و كان **ابن رشيق القيرواني** في مصنفه التعليمي كسلفه أبي هلال يجمع آراء السابقين ، ويصنفها ، ويمتاز بالدقة في الجمع والتنسيق مع خبرة ودراية . ساق من تشبيهات القرآن أمثلة على الأمثال السائرة القصار والطوال، وكان يرى أن المثل والاستعارة من التشبيه لكنهما بغير أدوات التشبيه ، وأسلوبهما يختلف عن أسلوبه . وكانت له بعض النظرات النقدية الجديدة في تشبيهات القرآن تنبئ عن إدراك بطبيعتها ، وكان يرى أن قوتها وإعجازها لا تعود إلى التشبيه الحسي المحدود التأثير فقط ، إنما إلى اتساع الصورة وثراء مدلولها وإشعاعها المستمر ، وآثارها النفسية العميقة في المتلقي ، وهو ما يتحقق – أحياناً – من خلال تشبيه المحسوس بالمعقول أو التشبيه الوهمي .

أمّا **ابن سنان الخفاجي** فكانت جلّ شواهده من التمثيلات القرآنية ، واتضح تأثره بالرّماني فيما ذهب إليه من أنّ حسن التشبيه إنما يرجع إلى تشبيه الخفي بالظاهر المحسوس ، واستشهاده بما استشهد به . ودخوله في الجدل الذي تثيره الصورة التشبيهية في القرآن ، وتأكيده مقولة : إنّ الأصل في التشبيه هو التوضيح والإبانة .

و أمّا **عبد القاهر الجرجاني** فأول من تميز بالتحليل والعمق فيما عرض له من تشبيهات القرآن ، وإن كانت نماذج قليلة ، ركز جهده في تشبيهين منهما ، تعمقهما وفصّل كثيراً في

كشف أسرارهما . ولم يعرض لكثير منها ، لأنّ بلاغتها لا تتفاوت ، وإن تنوعت صورها ، واختلفت أسرارها .

ولعلّ من أبرز ما تميز به عن غيره تفريقه بين التشبيه والتمثيل ، فكل تمثيل تشبيه ، وليس كل تشبيه تمثيلاً ، واعتماده تحليله للتشبيهين القرآنيين في سورتي يونس والجمعة لبيان المزية في التمثيل ، والطريقة المثلى التي ينبغي أن يكون عليها القول كي يعظم أثره في النفوس ، ومن أهم أسرار الفضل وأسباب المزية التي أوضحها في تشبيهات القرآن : التركيب في التمثيل ، والتفصيل ، والاستقصاء .

و كانت لعبد القاهر رؤية كلية للصورة التشبيهية في القرآن بتماسك أجزائها ، واتخاذه تشبيهات القرآن ميزاناً لفن التشبيه عامة ، ومقياساً وقانوناً لسائر الأقوال . لذا جعل قسماً كبيراً من " أسرار البلاغة " تفصيلاً أو تأصيلاً للمزايا التي وردت في تشبيهي سورتي الجمعة ويونس ، وجُعل التشبيه القرآني أصل مزايا التشبيهات الرائعة ؛ فكان كلامه في التشبيه الشعري متصلاً بكلامه في التشبيه القرآني ، وكان منهجه يتلخص في أنّه يتدرج بالقارئ إلى المزايا العالية في القرآن بأمثلة كثيرة من الشعر ، وكان مقصوده أن بلاغة القرآن لا يمكن أن يذوقها إلا من تمرس طويلاً بالشعر الرفيع .

و ترسّم **الزمخشري** خطوات عبد القاهر ، وصدر عن أراءه في تفسيره لتشبيهات القرآن ، وجمع في تحليلها مصطلحات التمثيل والتخييل والتصوير ، وأكّد أن أغلبها من التمثيلات المركبة على العكس من تشبيهات الشعراء العرب الذين درجوا على التشبيهات المفردة أو المتعددة ، ونبّه على ضرورة عدم التوقف عند الكلمة التي تلي أداة التشبيه ، لأنّه لا يتأتى بها التشبيه لكونه مراعى فيه الكيفية المنتزعة من عدة أمور كما يبدو من صورة النظم .

لكنّه يُؤخذ عليه إلحاحه على الجانب البصري في تحليله للصورة التشبيهية في القرآن ، وتشابهه في هذا مع الرّماني والعسكري . وكذلك جعله التمثيل مرادفاً للتشبيه وعدم تفريقه بينهما ، وذكره بعض الإسرائيليات ، ومسايرة منهجه لما اتسم به البحث البلاغي على مدى العصور ، وهو النظرة الجزئية إلى العبارة أو العبارتين في النص ، لا تعدوه إلى النص كُله . ولو أخذ بالنظرة الشمولية في تحليل النص كان يمكن أن يصل إلى نتائج أكثر قيمة .

وعلى الرغم من ذلك فقد أحرز نتائج مهمة في كشف تشبيهات القرآن من خلال وقفاته الجمالية القصيرة عند تفسيرها ، وتطبيقه نظريتي عبد القاهر في المعاني والبيان تطبيقاً واعياً ينم على علم وذوق .

وعرضَ **ابن عطية الأندلسي** في تفسيره لتشبيهات القرآن لكلّ أنواعها ، لكنه لم يهتم بالمصطلحات ، ولم يفرق بين الاستعارة والتشبيه في بعض المواضع حتى اتهم بالعجز عن فهم أسرار البلاغة .

و تأثر **فخر الدين الرازي** بآراء من سبقه فأفاد منها ، وقدح في بعضها ، وحدّد أغراض التشبيه التي لم يتعرضوا لها ، ,أبرز روعة التصوير الفني في التشبيهات القرآنية التي حظيت باهتمامه ، وبيّن فائدة ضرب الأمثال . ولعله أوّل بلاغي ضبط أطراف الموضوع ، وبوّبه وحدّد أصوله ، واستجمع شذراته بأسلوب تعليمي يسهل على الدارس تناوله وإدراكه . وأمتاز في تفسيره لها بتركيزه على تفاصيل الأمثال ، التي كان يسعى إلى تقريب صورتها من ذهن القارئ ، فيعرض لغير وجه وتأويل وهو يوضح الصورة التشبيهية في المثل . لكنَّه لم يفرّق بين التشبيه والتمثيل ، كما لم يفرق بين التشبيه الوهمي والخيالي .

وامتاز **السكاكي** في بحثه للتشبيه بالتقسيم والتفريغ والترتيب المنطقي ،إذ استشهد بعدد من تشبيهات القرآن ، لكن دراسته لها خلت من الحس الفني واستكناه أسرار التشبيه وقيمه الجمالية ، وعجز عن المحافظة على الروح الأدبية لبلاغة كل من الرماني وعبد القاهر وابن ناقيا والزمخشري . ويمكن القول إنَّ دراسته التقعيدية التي استفادت من الدراسات السابقة لها تعَدُّ آخر محطة تنظيرية للتشبيه لم يتجاوزها البلاغيون بعده إلا في القليل من القضايا الجزئية التي لا تخرج عن الإطار العام للقواعد والقوانين التي حدّدها .

ووازن **ابن الأثير** بين بعض تشبيهات القرآن وتشبيهات البشر مفصّلا وموضحاً لطرفي التشبيه ، ووجه الشبه ، مبرزاً المواطن التي تفوقت بها تشبيهات القرآن على تشبيهات بعض الكُتاب . وغلبت الصبغة الأدبية على أسلوبه لأنه أديب ناقد ، لكنَّه لم يزد على سابقيه تقسيماً وتفريعاً في الباب الواسع الذي عقده للتشبيه ، ونعى على البلاغيين الذين فرقوا بين التشبيه والتمثيل .

و ذكر **الزملكاني** بعض الملاحظات المهمة في تشبيهات القرآن ، اتسمت بمنهج علمي يعتمد الحجة في عرض الآراء ومناقشتها ، ونجد روح عبد القاهر في تحليله ، ويتراءى لنا النضج في تنبيهاته ودقائق ملاحظاته التي نجد لها أثراً في " كتاب الطراز " للعلوي اليمني .

وحفلت دراسة **ابن أبي الإصبع** التطبيقية في البلاغة القرآنية بالتشبيهات القرآنية التي شكلت جُلَّ أمثلته التي تأثر بها بالرماني والعسكري والسابقين مع بعض الفضل في الجمع والانتقاء والتهذيب .ولم يسجل أيَّ إضافة سوى الوجه الخامس بالتشبيه وهو إخراج الكلام بالتشبيه مخرج الإنكار ,وليست بإضافة نوعيّة ,وأخطأ في إجراء مثاله.وأكد أنه لم يأتِ في القرآن

من أقسام التشبيه المتحد والمتعدّد إلا تشبيه شيء واحد بشيئين.وتكلّم على التشبيه أدواته أفعال الشك واليقين بالإضافة للأدوات الخمس :الكاف,وكأنّ,ومِثل ,وشِبْه,والمصدر بتقدير الأداة. وأورد **الطوفي البغدادي** بعض ما قاله البلاغيون في تشبيهات القرآن ,فأبان أقسامهاوفائدتها وغرضها ,واستفاد من أسلافه ,خاصّة ابن الأثير,وسُجّلت له بعض اللمحات فيها .

وعرض **محمد بن علي الجرجاني** في إشاراته وتنبيهاته لتشبيهات القرآن؛أقسامها وأدواتهاوأنواعها,وتأثر بأسلافه ومعاصره القزويني,خاصة ,فأخذ عنه كثيراً ,ولم يُصرّح باسمه وكنّىعنه بالمعاصر ، وحاول إظهار مخالفته .

وتناول **القزويني** ,كأسلافه الطوفي ومحمد بن علي الجرجاني وغيرهم من أتباع مدرسة السكاكي,بعض تشبيهات القرآن,وتأثر بعض آراء عبد القاهر,وهو يشرح أمثلة السكاكي.لكنّ جهده انصبَّ على جمع قواعد التشبيه بإيجاز ،فكانت تقسيماته عقلية جافة,لم تتعمق الأثر النفسي للتشبيه القرآني.

وتأثر **الطيبي** في معالجته لتشبيهات القرآن بآراء أسلافه البلاغيين والنقاد والنحاة,ومعاصريه أتباع مدرسة السكاكي أمثال الطوفي ومحمد بن علي الجرجاني والقزويني الذين يظهر أثرهم فيه جليّاً في غير موضع من تشبيهات القرآن منهجاوتطبيقاً .

وكان **العلوي اليمني** من أكثر البلاغيين استشهاداً بتشبيهات القرآن وتحليلها. تأثر بأعلام البلاغيين خاصة عبد القاهر والزمخشري وفخر الدين الرازي وابن الأثير ,وفصّل القول في أغراض الشبيه القرآني وأقسامه وفائدته وحدوده,.وكانت له نظرات فيه لا ترتقي إلى الأصالة ,وإنْ أعاد لتشبيهات القرآن التناول الأدبي في عصر جنحت فيه البلاغة إلى التقعيد والتقنين في دراسة الشواهد دون تعليل لجمالياتها,أو كشف لأسرارها البلاغية.

واتّضح من هذا الفصل أنّ البلاغيين والنقاد وظفوا قواعد البلاغة وفنونها في تحليل تشبيهات القرآن .وتبلورت جهودهم في **الاتجاه الأدبي** ,الذي ظهر في آثار الجاحظ وأبي هلال وابن رشيق وابن سنان وعبد القاهر وابن الأثير والعلوي اليمني ,وفي **الاتجاه المنطقي الفلسفي**,الذي ظهر عند كلّ من فخر الدين الرازي, والسكاكي ،والطوفي البغدادي، ومحمد بن علي الجرجاني, والقزويني ,والطيبي ,و في **الاتجاه الكلامي** ,الذي امتدّعند الأدباء كالجاحظ, وابن أبي الإصبع, وعند الإعجازيين كالرماني, والباقلاني والقاضي عبد الجبار, وعبد القاهر الجرجاني, والزملكاني . وظهرت النزعة الكلاميّة في

تفسير تشبيهات القرآن عند من فسّره بالرأي كالزمخشري ،في حين طغى منهج التفسير بالمأثور في تفسيرها عند الطبري وابن عطيّة .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية .

ثانياً: المراجع العربية والمترجمة .

ثالثاً:المراجع غير العربية.

رابعاً:الرسائل الجامعية.

خامساً:الدوريات.

أولاً : المصادر العربية :

١- **القرآن الكريم .**

٢- **الآمدي** ؛ أبو القاسم الحسن بن بشر : **الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري** ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعارف بمصر ، ط٢ ، ١٩٧٢م.

* **ابن الأثير** ؛ أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد :

٣- **الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور** ، تحقيق مصطفى جواد ، مطبعة المجمع العلمي – بغداد ، ١٩٥٦م .

٤- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** ، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، دار نهضة مصر ، ط٢ ، د. ت.

٥- **الأخفش الأوسط** ؛ أبو الحسن سعيد بن مسعدة :**معاني القرآن** ، تقديم وتحقيق فائز فارس ، الكويت ، ط٢، ١٩٨١م .

* **الأسد آبادي ؛ القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني :**

٦ – **تنزيه القرآن عن المطاعن** ، دار النهضة الحديثة – بيروت ، د.ط ،د.ت.

٧- **متشابه القرآن**، تحقيق عدنان محمد زرزور، دار التراث – القاهرة ، د. ط ، د.ت.

٨- **المغني في أبواب التوحيد والعدل** ، الجزء السادس عشر (إعجاز القرآن)، تحقيق أمين الخولي ، دار الكتب المصرية – القاهرة ، ١٩٦٠م .

• **ابن أبي الإصبع المصري :**

٩- **بديع القرآن**، تحقيق حفني محمد شرف، دار نهضة مصر– القاهرة، ط٢، ١٩٧٢م.

١٠- **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن** ، تحقيق حفني محمد شرف ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، الجمهورية العربية المتحدة – القاهرة ، ١٣٨٣هـ .

* **الباقلاني ؛ القاضي أبو بكر محمد بن الطيب :**

11- **إعجاز القرآن** ، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت ،ط١، ١٩٩١م .

12- **نكت الانتصار لنقل القرآن** ، تحقيق محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، د.ط ، د.ت .

13- **البيضاوي** ؛ ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر الشيرازي ، **تفسير البيضاوي المسمّى أنوار التنزيل وأسرار التأويل** (وبهامشه حاشية الكازروني) تحقيق عبد القادر عرفات العشا حسونة ، إشراف مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر – بيروت ن ١٩٦٦م .

14- **التفتازاني** ؛ سعد الدين مسعود بن عمر ، **المطوّل** ؛ شرح تلخيص المفتاح ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ٢٠٠١م .

١٥- **التهانوي** ؛ محمد بن علي الفاروقي ، **كشاف اصطلاحات الفنون** ، تحقيق لطفي عبد البديع ، ترجم النصوص الفارسية عبد النعيم محمد حسنين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢م .

١٦- **الثعالبي** ؛ أبو منصور عبد الملك بن محمد ، **الاقتباس من القرآن الكريم** ، تحقيق ابتسام الصفّار ومجاهد بهجت ، دار الوفاء – المنصورة ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، ط١ ، ١٩٩٢م .

* **الجاحظ ؛ أبو عثمان عمرو بن بحر :**

١٧- **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٥،١٩٨٥م .

١٨- **الحيوان** ، تحقيق عبد السلام هارون ، المجمع العلمي – بيروت ، ط٣ ، ١٩٦٩م .

* **الجرجاني ؛ أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن :**

١٩- **أسرار البلاغة** ، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر ، الناشر مطبعة المدني بالقاهرة ودار المدني بجدة ، ط١، ١٩٩١م.

٢٠- **دلائل الإعجاز** ، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط٢، ١٩٨٩م .

٢١- **الرسالة الشافية في الإعجاز** ، ملحقة بكتابه دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود محمد شاكر .

٢٢- **الجرجاني ؛ محمد بن علي بن محمد** ، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ، تحقيق عبد القادر حسين ، الناشر مكتبة الآداب – القاهرة ، طبعة جديدة مزيدة ومنقحة ، ١٩٩٧م .

٢٣- **ابن جنّي** ؛ أبو الفتح عثمان ، **الخصائص** ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر – بيروت ، ط٢ ، د. ت.

٢٤- **الجوهري** ؛ أبو نصر إسماعيل بن حماد ، **الصحاح** : تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين – بيروت ، ١٩٧٩م .

٢٥- **حاجي خليفة** ؛ مصطفى بن عبدالله ، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ، دار الفكر ، ١٩٨٢م .

٢٦- **ابن حجر العسقلاني** ؛ أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي ، **لسان الميزان** ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١، ١٩٩٦م .

٢٧- **الحضرمي** ، محمد بن إبراهيم ، **شرح ديوان امرئ القيس** ، تحقيق أنور عليان أبو سويلم وعلي الهروط ، دار عمّار – عمّان ، ط١ ، ١٩٩١م .

٢٨- **الحكيم الترمذي** ؛ أبو عبدالله محمد بن علي بن حسن ، **الأمثال من الكتاب والسنة** ، تحقيق علي البجاوي ، دار التراث – القاهرة ، د. ت .

٢٩- **أبو حيان الأندلسي** ؛ محمد بن يوسف الغرناطي ، **تفسير البحر المحيط** وبهامشه تفسير النهر الماد من البحر لأبي حيان نفسه ، دار الفكر ، ط٢، ١٩٨٣م .

٣٠- **ابن خلدون** ؛ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ، مقدمة ابن خلدون ، تحقيق علي عبد الواحد وافي ، ط٣، دار نهضة مصر ، د. ت .

٣١- **ابن خلكان** ؛ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر – بيروت ، ١٩٧٨م .

* **الرازي ؛ فخر الدين محمد بن عمر :**

٣٢- **تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب** ، قدّم له فضيلة الشيخ خليل محي الدين الميس ، طبعة جديدة ، دار الفكر – بيروت ، ١٩٩٥م .

٣٣- **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز** ، تحقيق إبراهيم السامرائي ، ومحمد بركات أبو علي ، دار الفكر – عمّان ، ١٩٨٥م .

٣٤- **الرامهرمزي** ؛ أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد ، **كتاب أمثال الحديث** ، تحقيق أمة الكريم القرشية ، المكتبة الإسلامية ، استانبول – تركيا ، د. ت .

٣٥- **ابن رشيق القيرواني** ؛ أبو علي الحسن ، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده** ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل – بيروت ، ط٥ ، ١٩٨١م .

٣٦- **الرّماني** ؛ أبو الحسن علي بن عيسى ، **النكت في إعجاز القرآن** ؛ ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف بمصر ، ط٢، ١٩٨٦م .

٣٧- **الزجّاج** ؛ أبو اسحق إبراهيم بن السري ، **إعراب القرآن** ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، ط٢ ، ١٩٨٢م .

٣٨- **الزركشي** ؛ بدر الدين محمد بن عبدالله ، **البرهان في علوم القرآن** ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١، ١٩٨٨م .

* **الزمخشري ؛ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد :**

٣٩- **أساس البلاغة** ، تحقيق عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة – بيروت ، د. ت .

٤٠- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ، تحقيق محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١، ١٩٩٥م .

٤١- **مقامات الزمخشري** ، ط٢، مصر ، ١٣٢٥هـ .

٤٢- **الزملكاني** ؛ كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم ، **البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن**، تحقيق خديجة الحديثي وأحمد مطلوب، مطبعة العاني– بغداد، ط١٩٧٤،١م.

٤٣- **السبكي** ؛ بهاء الدين أبو حامد أحمد بن علي ، **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**؛ ضمن شروح التلخيص، دار الإرشاد الإسلامي – بيروت، د. ط ، د. ت .

٤٤- **السبكي**؛ تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي، **طبقات الشافعية الكبرى** ، تحقيق محمود الطناهي وعبد الفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية– القاهرة، د.ط، د.ت .

٤٥- **السكاكي**؛ ابو يعقوب يوسف بن أبي بكر، **مفتاح العلوم** ، المطبعة الميمنية بمصر ، على نفقة مصطفى البابي الحلبي وأخويه ، د. ط ، د. ت .

٤٦- **ابن سنان الخفاجي** ؛ عبدالله بن محمد الحلبي ، **سر الفصاحة** ، شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح – القاهرة ، ١٩٦٩م .

٤٧- **سيبويه** ؛ أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنب ، **الكتاب** ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار القلم ، ١٩٦٦م ، د.م .

* **السيوطي ؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر :**

٤٨- **الإتقان في علوم القرآن** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث – القاهرة ، د.ط ، د.ت .

٤٩- **الإكليل في استنباط التنزيل** ، مطابع دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٣٧٣هـ .

٥٠- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢، دار الفكر ، ١٩٧٩م ، د.م .

٥١- **معترك الأقران في إعجاز القرآن** ، تحقيق علي البجاوي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د. ت .

٥٢- **ابن طباطبا العلوي** ؛ أبو الحسن محمد أحمد ، **عيار الشعر** ، تحقيق عباس عبد الساتر ، مراجعة نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١، ١٩٨٢م .

٥٣- **الطبري** ؛ أبو جعفر محمد بن جرير ، **تفسير الطبري** ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تحقيق : بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤م .

٥٤- **الطوسي** ؛ ابو جعفر ، **التبيان في تفسير القرآن** ، تحقيق أحمد القصير ، المطبعة العلمية ، النجف الأشرف ، ١٩٥٧م .

٥٥- **الطوفي البغدادي** ؛ سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري ، **الإكسير في علم التفسير** ، تحقيق عبد القادر حسين ، المطبعة النموذجية – القاهرة ، د. ت .

٥٦- **الطيبي** ؛ شرف الدين حسين بن محمد ، **التبيان في علم المعاني والبديع والبيان** ، تحقيق وتقديم د. هادي عطية مطر الهلالي ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، ط١ ، ١٩٨٧م .

٥٧- **العباسي** ؛ عبد الرحيم ، **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص** ، تحقيق وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب – بيروت ، ١٩٤٧م .

٥٨- **أبو عبيدة** ؛ معمر بن المثنى ، **مجاز القرآن** ، تحقيق محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، د.ت ، د.ط .

٥٩- **عز الدين بن عبد السلام** ، **الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز** ، دار الحديث – القاهرة ، د.ط ، د. ت .

٦٠- **العسكري** ؛ أبو هلال الحسن بن عبدالله ، **كتاب الصناعتين ؛ الكتابة والشعر** ، تحقيق مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٩٨١م .

٦١-**ابن أبي عصرون الكنجي** ؛ محمد بن أحمد ، **كتاب رشف النبيه من ثغر التشبيه** ، دراسة : فريد النكلاوي ، مطبعة الأمانة – القاهرة ، ١٩٨٦م .

٦٢- **ابن عطية الأندلسي** ؛ أبو محمد عبد الحق بن عطية بن غالب ، **تفسير ابن عطية = المُحرَّرُ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، تحقيق الرحالي فاروق وعبدالله بن إبراهيم الأنصاري والسيد عبد العال إبراهيم ، والسيد محمد الشافعي العناني.

٦٣- **العلوي اليمني** ؛ يحيى بن حمزة :، **كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز** ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٩٨٠م .

٦٤ -**ابن أبي عون** ؛ إبراهيم بن محمد : **كتاب التشبيهات** ، عني بتصحيحه محمد عبد المعيد خان ، مطبعة جامعة كمبردج ، ١٩٥٠م

٦٥- **الفرّاء** ؛ أبو زكريا يحيى بن زياد ، **معاني القرآن** ، تحقيق محمد النجار وأحمد نجاتي ، عالم الكتب – بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٠م .

٦٦- **الفيروز آبادي** ؛ مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي ، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق محمد علي النجار، مطابع شركة الإعلانات الشرقية ، القاهرة ، ١٩٦٩م .

* **ابن قتيبة الدينوري** ؛ **أبو محمد عبدالله بن مسلم :**

٦٧- **الاختلاف في اللفظ والردُّ على الجهمية والمشبهة** ، تحقيق محمد زاهد الكوثري ، مكتبة القدسي – القاهرة ، ١٩٢٩م .

٦٨- **تأويل مختلف الحديث** ، شرح ومراجعة سعيد محمد اللحام ، دار مكتبة الهلال – بيروت ، ١٩٨٩م .

٦٩- **تأويل مشكل القرآن** ، شرحه ونشره السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط٣ ، ١٩٨١م .

٧٠- **تفسير غريب القرآن** ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٩٧٨م .

٧١- **الشعر والشعراء**، تحقيق مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، ١٩٨٥م .

٧٢- **عيون الأخبار**، تحقيق محمد الأسكندراني ، الهيئة العامة للكتاب – القاهرة ، د. ط ، د. ت .

٧٣- **قدامة بن جعفر** : نقد الشعر ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ط١ ، ١٩٧٨م .

٧٤- **القرطاجني**: أبو الحسن حازم ، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** ، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة ، دار الغرب الإسلامي – بيروت ، ط٢ ، ١٩٨١م .

٧٥- **القرطبي** ، أبو عبدالله محمد بن أحمد : **الجامع لأحكام القرآن** ، دار الكتب الحديثة .

* **القزويني ؛ جلال الدين محمد بن عبد الرحمن :**

٧٦- **الإيضاح في علوم البلاغة** ، قدَّم له وبوّبه وشرحه : علي بوملحم ، دار مكتبة الهلال – بيروت ، ط٢ ، ١٩٩١م .

٧٧- **التلخيص في علوم البلاغة** ، شرح عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي – بيروت ، د. ت .

٧٨- **القفطي** ؛ جمال الدين علي بن يوسف : **إنباه الرواة على أنباه النحاة** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة ، ١٩٥٢م .

* **ابن قيم الجوزية ؛ شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب :**

٧٩- **إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين** ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر – بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٧م .

٨٠- **الأمثال في القرآن الكريم** ، تحقيق سعيد محمد نمر الخطيب ، طبعة دار المعرفة – بيروت ، ١٩٨١م .

٨١- **ابن كثير** ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ، **مختصر تفسير ابن كثير** ، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ط٣ ، ١٣٩٩هـ .

٨٢- **ابن مالك**؛ أبو عبدالله بدر الدين ابن الناظم ، **المصباح في المعاني والبيان والبديع** ، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م .

٨٣- **المُبَرِّد** ؛ أبو العباس محمد بن يزيد ، الكامل ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي – القاهرة ، د.ط ، د. ت .

٨٤- **المظفر بن الفضل العلوي** ، **نضرة الإغريض في نصرة القريض** ، تحقيق نهى الحسن ، مطبعة طربين – دمشق ، ١٩٧٦م .

٨٥- **ابن منظور المصري** ؛ أبو الفضل محمد بن مكرم ، **لسان العرب** ، دار صادر – بيروت ، د. ت .

٨٦- **الميداني** ؛ أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد ، مجمع الأمثال ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، منشورات دار النصر ، دمشق وبيروت ، د. ت .

* **ابن ناقيا البغدادي ؛ أبو القاسم عبدالله بن مهر بن الحسين :**

٨٧- **الجُمان في تشبيهات القرآن** ، تحقيق مصطفى الصاوي الجويني ، الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية ، د.ت.

٨٨- **الجُمان في تشبيهات القرآن** ، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي ، دار الجمهورية – بغداد ، ١٩٦٨م .

٨٩- **الجُمان** ، تحقيق محمد رضوان الداية ، وعدنان زرزور ، دار الفكر – بيروت ، ٢٠٠٢م .

٩٠- **ابن النقيب** ، أبو عبدالله جمال الدين محمد بن سليمان البلخي المقدسي الحنفي ، **مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن** ، تحقيق زكريا سعيد علي ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط١، ١٩٩٥م .

٩١- **ابن وهب الكاتب** ؛ أبو الحسين اسحاق بن إبراهيم بن سليمان ، **البرهان في وجوه البيان** ، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي ، جامعة بغداد ، ط١ ، ١٩٦٧م .

ياقوت الحموي ؛ ياقوت بن عبدالله الرومي ، **معجم الأدباء** ، دار المستشرق بيروت ، د.ط ، د.ت .

ثانياً : المراجع العربية والمترجمة :

٩٢- الأطرقجي ؛ واجدة مجيد ، **التشبيهات القرآنية والبيئة العربية** ، منشورات وزارة الثقافة والفنون – الجمهورية العراقية) ، ١٩٧٨م .

٩٣- الأنصاري ؛ أحمد مكي ، **أبو زكريا الفرّاء ومذهبه في النحو واللغة** ، مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، القاهرة ، ١٩٦٤م .

٩٤- بخش؛ ملك حسن، **أسرار التنوع في تشبيهات القرآن**، دار المجتمع – جدة ، ط١ ، ١٩٩٣م .

٩٥- بدوي ، أحمد أحمد ، **من بلاغة القرآن** ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة – القاهرة .

٩٦- بركة ، عبد الفتاح ، **الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية** ، القاهرة ، ١٩٧١م .

* **بكّار ؛ يوسف :**

٩٧- **اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري** ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧١م .

٩٨- **العين البصيرة ؛ قراءة نقدية** ، سلسلة كتاب الرياض (٨٦) ، مؤسسة اليمامة الصحفية – الرياض ، ٢٠٠١م .

٩٩- **قضايا في النقد والشعر** ، دار الأندلس – بيروت ، ط١ ، ١٩٨٤م .

١٠٠- بلمبح ؛ إدريس ، **الرؤية البيانية عند الجاحظ** ، دار الثقافة ، الدار البيضاء – المغرب، ط١، ١٩٨٤م .

١٠١- بيرك؛ جاك ، **القرآن وعلم القراءة** ، ترجمة منذر عياشي، دار التنوير – بيـــروت ، ط١، ١٩٩٦م .

١٠٢- جاد الله ؛ زهدي حسن ، **المعتزلة** ، النادي العربي – يافا ، ١٩٤٧م .

١٠٣- جاسم؛ يونس ، **الوصف في القرآن الكريم**، دار المكتبي – دمشق ، ط١، ١٩٩٥م

١٠٤ – جبري ؛ شفيق : **الجاحظ معلم العقل** ، دار المعارف – مصر ، ١٩٤٨م .

١٠٥- الجويني ؛ مصطفى الصاوي : **منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه** ، دار المعارف – القاهرة ، ط٣ ، د. ت .

١٠٦- الحربي ؛ محمد رمضان : **ابن قتيبة ومقاييسه البلاغيـــة والأدبيـــة والنقديـــة** ، المنشأة العامة للنشر، طرابلس – ليبيا ، ط١ ، ١٩٨٤م .

١٠٧- حسن ؛ عبدالله علي : **دراسة حول أسلوب التشبيه وآيات الوحدانية** ، مركز فجر – القاهرة ، ١٩٩٣م .

١٠٨- حسين؛ عبد القادر: **أثر النحاة في البحث البلاغي** ، دار قطري بن الفجاءة – قطر ، ط٢ ، ١٩٨٦م .

*** حسين ، محمد الخضر :**

١٠٩- **بلاغة القرآن** ، اشرف على طبعه ونشره علي رضا التونسي ، ١٩٧١م .

١١٠- **الخيال في الشعر العربي ودراسات أدبية** ، جمعه وحققه علي رضا التونسي ، ط٢ ، ١٩٧٢م .

*** أبو حمدة ؛ محمد علي :**

١١١- **البهيج في أساليب البيان العربي في القرآن الكريم والحديث الشريف ونصوص مـــن العربية** ، دار عمّار – عمّان ، ط١ ، ١٩٩٩م .

١١٢- **في التذوق الجمالي للآية (٢٤) من سورة يونس**، مكتبة الأقصى، عمّان،١٩٩٣م.

١١٣- **من أساليب البيان في القرآن الكريم**، جمعية عمّال المطابع التعاونية– الأردن، ط١ ، ١٩٧٨م .

١١٤- الحوفي ؛ أحمد : **الزمخشري** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٢ ، د. ت .

١١٥- الخالدي ، صلاح : **البيان في إعجاز القرآن**،دار عمّار–عمّان,١٩٨٩ م.

١١٦- خورشيد ؛ إبراهيم (مترجم بالاشتراك مع محمد الشنتناوي وعبـــد الحميـــد يـــونس ومحمد الفندي)، دائرة المعارف الإسلامية ؛ انتشارات جهان ، تهران – بوُ رجمهري .

١١٧- درابسة ؛ محمود ، **ابن أبي عون وكتابه التشبيهات** ، المركز الجامعي – إربد ، ١٩٩٤م .

١١٨- الدسوقي ؛ **حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص** ،دار الإرشاد الإسلامي- بيروت،د.ت.

١١٩- دوب ؛ رابح ، **البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري** ، دار الفجر للنشر والتوزيع – القاهرة ،ط١ ، ١٩٩٧م .

* **الذهبي ؛ محمد حسين :**

١٢٠- **التفسير والمفسرون** ؛ بحث تفصيلي عن نشأة التفسير وتطوره ، دار الكتب الحديثة – القاهرة ، ١٩٦١م .

١٢١- رستم ؛ سعد ، **الذات الإلهية والمجازات القرآنية والنبوية وإزالة شبهة التشبيه والتجسيم من أساسها** ، الأوائل ، دمشق ، ٢٠٠٢م .

١٢٢- الروبي ؛ ألفت ، **المثل والتمثيل في التراث النقدي والبلاغي** ؛ ضمن كتاب المجاز والتمثيل في العصور الوسطى ، مشترك بين مجموعة باحثين ، دار قرطبة – الدار البيضاء ، ط٢ ، ١٩٩٢م .

١٢٣- زايد ؛ علي عشري ، **البلاغة العربية : تاريخها مصادرها مناهجها** ، مكتبة الشباب – الإسكندرية ، ط٣ ، ١٩٩٦م .

١٢٤- زرزور ؛ عدنان محمد ، **علوم القرآن ؛ مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه** ، المكتب الإسلامي – بيروت ، ط٣ ، ١٩٩١م .

١٢٥- الزركلي ؛ خير الدين ، **الأعلام** ، دار العلم للملايين – بيروت ، ط١٠ ، ١٩٩٢م .

١٢٦- زموط ؛ عبد الستار حسين ، **الوساطة بين البلاغيين ومحمد بن علي الجرجاني** ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٤م .

١٢٧- زيتون ؛ علي مهدي ، **إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي** ، دار المشرق – بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢م .

١٢٨- السامرائي ؛ مهدي ، **تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية** ، المكتب الإسلامي – دمشق ، ط١ ، ١٩٧٧م .

* **سلام ؛ محمد زغلول :**

١٢٩- **أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري** ، ط٣ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨م .

١٣٠- ضياء الدين بن الأثير وجهوده في النقد ، ط القاهرة ، ١٩٥٨م .

١٣١- شرف ؛ حفني محمد ، **الصورة البيانية بين النظرية والتطبيق** ، دار نهضة مصر - القاهرة ، ط١ ، ١٩٦٥م .

١٣٢- الصّغير ؛ محمد حسين علي ، **الصورة الفنية في المثل القرآني** ، دار الهادي - بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢م .

١٣٣- صمود ؛ حمادي ، **التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره حتى القرن السادس** ، منشورات الجامعة التونسية - تونس ، ١٩٨١م .

١٣٤- ضيف ؛ شوقي ، **البلاغة تطوّر وتاريخ** ، دار المعارف ، ط١١ ، د. ت .

***طبانة ؛ بدوي :**

١٣٥- **البيان العربي دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى** ، دار المنارة - جدة ، ط٧ ، ١٩٨٨م .

١٣٦- **معجم البلاغة العربية** ، دار ابن حزم - بيروت ، ط٤ ، ١٩٩٧م .

١٣٧- ابن عاشور ؛ محمد الطاهر ، **التحرير والتنوير** ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٩م .

*** عامر ؛ فتحي أحمد :**

١٣٨- **بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ** ؛ دراسة تاريخية فنية مقارنة ، دارالنهضة العربية - القاهرة ، ١٩٧٥م .

١٣٩- **فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن**، منشأة دار المعارف بالإسكندرية،١٩٨٨م .

١٤٠- عباس ؛ إحسان ، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب (نقد الشعر) من القرن الثاني الهجري حتى القرن الثامن الهجري** ، طبعة جديدة ومزيدة ومنقحة ، دارالشروق - عمّان ، الإصدار الثاني ١٩٩٧م .

١٤١- عباس ؛ فضل حسن ، **البلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع)** ، دار الفرقان - الأردن ، ط١ ، ١٩٨٧م .

١٤٢- عبد النور ؛ جبور ، **المعجم الأدبي** ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط١ ، ١٩٧٩م .

١٤٣- عثمان ؛ عبد الفتاح ، **التشبيه والكناية بين التنظير البلاغي والتوظيف الفني** ، الناشر مكتبة الشباب - القاهرة ، ١٩٩٣م .

١٤٤- عرفة ؛ عبد العزيز ، **قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية** ، عالم الكتب - بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥م .

١٤٥- عصفور ؛ جابر ، **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي** ، دار المعارف ، مطبعة القاهرة الجديدة ، ١٩٧٧م .

١٤٦- عزّام ، محمد ، **مصطلحات نقدية من التراث الأدبي** ، منشورات وزارة الثقافة – دمشق ، ١٩٩٥م .

١٤٧- ابن علي أمير ؛ جابر بن أدريس ، **مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها** ، أضواء السلف ، مجلد٣ ، الرياض ، ط١ ، ٢٠٠٢م .

١٤٨- عمايرة ؛ إسماعيل (بالاشتراك مع عبد الحميد مصطفى السيد) ، **معجم الأدوات في القرآن** ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٨م .

١٤٩- العمري ؛ أحمد جمال ، **المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني** ، مكتبة الخانجي ,القاهرة ، ١٩٩٠م .

١٥٠- عويضة ؛ كامل ، **الحكيم الترمذي الفقيه الناقد** ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣م .

١٥١- العيسوي ؛ عبد الحميد ، **بيان التشبيه دراسة تاريخية فنية** ، مطبعة القاهرة الجديدة ، ط١ ، ١٩٨٨م .

١٥٢- فايد ؛ عبد الوهاب ، **منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم** ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية-الكويت ، ١٩٧٣م .

١٥٣- فرّاج ؛ نزيه ، **من مباحث البلاغة والنقد بين ابن الأثير والعلوي** ، مكتبة وهبة – القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٧م .

١٥٤- فرهود ؛ محمد ، **أسرار البلاغة في التشبيه والتمثيل** – شرح ، دار الطباعة المحمدية – القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٩م .

١٥٥- فرويد؛ سيجموند، **التحليل النفسي**، ترجمة محمد الشنيطي ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٥٦م .

١٥٦- قصّاب؛ وليد، **التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري** ، دار الثقافة – قطر ، ١٩٨٥م .

١٥٧- قطب ، سيّد ، **التصوير الفني في القرآن** ، دار الشروق – بيروت ، ط٨ ، ١٩٨٣م .

١٥٨- قنيبي ؛ حامد صادق ، **المشاهد في القرآن الكريم دراسة تحليلية وصفية** ، مكتبة المنار – الزرقاء ، ط١ ، ١٩٨٤م .

* **لاشين ؛ عبد الفتاح :**

١٥٩- **بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار** ، دار الفكر العربي ، مطبعة دار القرآن ، القاهرة ، د. ت .

١٦٠- **البيان في ضوء أساليب القرآن** ، دار المعارف - القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٥م .

١٦١- مالك بن نبي ؛ **الظاهرة القرآنية** ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، دار الفكر - دمشق ، ١٩٨١م .

١٦٢- مخلوف ؛ عبد الرؤوف ، **الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن** ؛ دراسة تحليلية نقدية ، مكتبة الحياة - بيروت ، ١٩٧٨م .

١٦٣- المشني ؛ مصطفى ، **التخييل ؛ مفهومه وموقف المفسرين منه قدامى ومحدثين** ، دار الرازي - عمّان ، ط١ ، ٢٠٠١م .

٦٠٦٦٨٧

*** مطلوب ؛ أحمد :**

١٦٤- **البلاغة عند السكاكي** ، منشورات مكتبة النهضة - بغداد ، ط١ ، ١٩٦٤م .

١٦٥- **فنون بلاغية (البيان - البديع)** ، دار البحوث العلمية - الكويت ، ط١ ، ١٩٧٥م .

١٦٦- **القزويني وشروح التلخيص** ، مكتبة النهضة ببغداد ، ط١ ، ١٩٦٧م .

*** أبوموسى ؛ محمد :**

١٦٧- **الإعجاز البلاغي** ؛ دراسة تحليلية لتراث أهل العلم ، مكتبة وهبة - القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٤م .

١٦٨- **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات القرآنية** ، دار الفكر العربي - القاهرة ,د.ت.

١٦٩- **التصوير البياني ؛ دراسة تحليلية لمسائل البيان** ، دار التضامن - القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٠م .

١٧٠- الميداني ؛ عبد الرحمن حبنكة ، **أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع** ، دار القلم - دمشق ، ط٢ ، ١٩٩٢م .

١٧١- ناصف ؛ مصطفى ، **الصورة الأدبية** ، دار الأندلس - بيروت ، ط١ ، ١٩٨١م .

١٧٢- نوفل ؛ سيّد ، **البلاغة العربية في دور نشأتها** ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٨م .

١٧٣- هلال ؛ أحمد هنداوي ، **المباحث البيانية في تفسير الفخر الرازي** ، مكتبة وهبة - القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٩م .

ثالثاً : المراجع غير العربية :

١٧٤- Encyclopaedia of Islam,Leyden. London1208-38 (4 Vols and supplement).

رابعاً : الرسائل الجامعية :

١٧٥- بلخضر ؛ أحمد الزهري ، **التشبيه صوره وألفاظه** ؛ دراسة تطبيقية في القرآن الكريم ، رسالة ماجستير – جامعة باتنة – الجزائر ، ١٩٩٢م .

١٧٦- الفاعور ؛ منيرة ، **البحث البلاغي عند يحيى بن حمزة العلوي** ، رسالة دكتوراة ، جامعة دمشق ، ١٩٩٩م .

١٧٧-الكاف ؛ أحمد عبدالله ، **صورة الإنسان في التشبيهات القرآنية** ، رسالة ماجستير – جامعة مؤتة ، ١٩٩٦م .

١٧٨-كتانة ؛ حسين ، **مفهوم البلاغة عند ابن قيم الجوزية** ، رسالة ماجستير – الجامعة الأردنية ، ١٩٩٥م .

١٧٩-محمد؛ أحمد سعد، **الأصول البلاغية في كتاب سيبويه وأثرها في الدرس البلاغي** ، رسالة ماجستير – جامعة عين شمس ، ١٩٩٩م .

خامساً : الدوريات :

١٨٠- الزرقا ؛ مصطفى أحمد ، **مقارنة بين أسلوب الحديث النبوي وأسلوب القرآن الكريم** ، مجلة البحوث الإسلامية، الرياض، العدد الأول، ١٣٩٥هـ، ١٠٣- ١٠٨.

١٨١-شيخون ؛ محمد السيد ، **نظرات في التمثيل البلاغي** ، مجلة الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة، العدد : ٤٥ ، السنة : ١٢ ، ١٩٨٠م ، ٢٧٣ – ٢٩٢.

١٨٢-عروي ؛ محمد إقبال ، **ابن قتيبة بين أسلوب التشبيه ومذهب المشبهه** ، وقفة مع حمادي صمود ، مجلة دعوة الحق ، العدد ٣٧ ، ١٩٩٦م ، ٨١ – ٨٤ .

١٨٣-فلاورجاني ؛ علي ميرلوحي ، **بلاغة التشبيه في القرآن الكريم** ، مجلة التراث العربي ، إتحاد الكتاب العرب – دمشق ، العدد : ٥٤ ، السنة : ١٤، كانون الثاني ، ١٩٩٤م ، ٢٩ – ٤٠ .

١٨٤-قطامش ؛ عبد الحميد السيد ، **التمثيل بالحيوان في القرآن الكريم** ، مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي – الرياض ، العدد : ٤ ، ١٩٨١م ،: ١٠٩ – ١٢٠ .

١٨٥-القيسي ؛ نوري حمودي (محقق) ، فصل من كتاب الجاحظ في النساء ، مجلة المورد ، عدد : ٤ ، ١٩٧٨م ، ٢٥٥ – ٢٦٦ .

Abstract

Quran`s similes in rhetoric and critical heritage.

PhD.thesies,Yarmouk university-2003.

Prepared by

Ibrahim Mohammad salim abu Aloush

Supervisor

Prof . Dr .Yousef Bakkar.

This thesis includes an introduction , four chapters and conclusion .**The introduction** discussed the importance of the subject ,the reason for its selection ,the research method and the difficulties .

The first chapter explained the intrest reasons of the old masters of the Quran similies , refered it to the religious belief , legislation importanse , the mental arguments styles , psychological min states which reflect on human self , in addition to the artistic stylistic values .

The second chapter discussed the heritage independent writings of the Quran Similes which are:(similes from Al-Quran and Al-Sunah) for Al-Hakim Al-temidi ,(Al-joman of Quran simililies) for Ibn nakia Al-Baghdadi and (similies in the holy Quran) for Ibn Qaym Al-jawziah .

In **the third chapter** I displayed the Quran similies in six achievements of the linguists and grammarians which are: (Alkitab) for Sebaweh, (Maani Al-Quran) for Al-Fara'h, (Majaz Al-Quran) for Abu Obeidah, (Maani Al-Quran) for Al-Akhfash Al-Awsat, (Ta'weel mushkil Al-Quran) for Ibn Qutaiba Al-dainori, (Al-Kamil) for Al-mubarid.

In **the fourth chapter** I discussed the Quran similies in twenty -two of the greatest Arab rhetorictions in their writings . I followed their sayings making comparison between them and I stopped on the the important things of their studying for Al-Quran 's smilies explaining their roles in defining it ,showing

its effects and discovering its artistics, miraculous styles .I displayed the different reasons for their classifications and I cleared up its kinds , purposes , the way for making use of its materials in forming the smilies image in the Quran to appear its coherent building , activities and its influence on the reciever self .

It was appeared from this chapter that the rhetoricians and the criticizers used the rhetoric grammers and its arts in analysing the Quran similes.Their efforts crystalized in the literature direction which appeared in the writings of Al-Jahid, Abu Hilal , Ibn Rasheeg , Ibn Sinan ,Abdul Al-Qahir ,Ibn Al-Atheer and Al-Alawi Al-Yamani, and in the logical ,philosophic direction which appeared in Faker Al-din Al-Razi ,Al-Sakaki, Al-Toufi Al-Baghdadi,Mohammad Ibn Ali Al-Jurjani, Al-Qazwini and Al-Teebi and the argumentative dialectic direct which extended among the literature like Al-Jahid , Ibn Abi Al-Esbah and among the scientists who worked in the Quran miraculous like Al-Rumani , Al-BaQilani, Abdul Jabar, Abdul-Qahir Al-Jurjani ,and Al-zamalkani The argument dialectic appeared in the explaining Quran similes among explained by their opionios like Al-zamakshari .In the time when the method explaining Quran by Quran or Al-Sunah appeared in scientists like Al-Tabari and Ibn Ateeah .

The conclusion consisted of receptulation of the major issues addressed in the thesis.